

جوهر خُطِّب العَرَبِيَّةِ

فِي عِصْوَ الْعَرَبِيَّةِ الزَّاهِرَةِ

لِلْجَنَّةِ الثَّالِثَةِ

الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ

وَيْلِيهِ ذِيْلُ الْجُمْهُورِ

تَأْلِيفُ

أَبِي حَمْدٍ زَكِيٍّ صَفْوَتِي

أَسْتَاذُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَارِ الْعُلُومِ

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وفقتني إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء والنهاية ، وأصلي وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب العصر العباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ، ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة .

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : في ثر الأعراب .

» الرابع : في خطب النكاح .

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أبتهل إلى المولى القدير

أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسدد خطانا جميعا إلى سبيل

أحمد زكي صفوت

الرشاد ، إنه الكبير المتعال

ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ

سنة ١٩٣٤ م

حرر بالقاهرة في

فهرس

مآخذ الخطب فى هذا الجزء

الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى

الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « التاسع

صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : « الأول - التاسع

نهاية الأرب : اشهاب الدين النويرى : « السادس

عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى

الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول

العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث

زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث

البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث

شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى

أمالى السيد المرتضى : « الأول - الرابع

مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الأول

تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « التاسع - العاشر

تاريخ الكامل : لابن الأثير : « السادس

مروج الذهب : للمسعودى : « الثانى

وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيتي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى

~~~~~



## الباب الرابع

# الخطبة والبوصايا

في

## العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة  
( توفي سنة ١٣٦ هـ )

صعد أبو العباس<sup>(١)</sup> السفّاح المنبّر حين بويع له بالخلافة ، فقام في أعلاه ،  
وصعد عمه داود بن عليّ فقام دونه ، وتكلم أبو العباس ، فقال :  
« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعَظَمَهُ ، واختاره  
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ<sup>(٢)</sup> وَحِصْنَهُ ، والقُوَّام به ، والذابّين عنه ،  
والناصرين له ، وألزمنا كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وجعلنا أْحَقَّ بها وأهلها ، وخصنا

---

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة  
سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر والملعأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ <sup>(١)</sup> ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزاً عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا <sup>(٢)</sup> ، حَرِيصاً عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَحِيماً ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ <sup>(٣)</sup> أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَاللَّهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى فَأَعْمَهُمْ جَل ثَنَاؤُهُ فَضَّلْنَا ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمَوَدَّتَنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ النَّفَى <sup>(٥)</sup> وَالْغَنِيمَةَ نَصِيبَنَا ، تَكْرِمَةً لَنَا ، وَفَضْلاً عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبْيِيَّةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيْرَنَا <sup>(٦)</sup> أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتِ <sup>(٧)</sup> وَجُوهُهُمْ ! بِمَ وَلِمَ أَيُّهَا النَّاسُ ؟ وَبَنَّا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ ، وَأَنْقَذَهُمْ بَعْدَ هَلَاكَتِهِمْ ، وَأَظْهَرَ بِنَا الْحَقَّ ، وَأَذْهَضَ بِنَا الْبَاطِلَ ، وَأَصْلَحَ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِداً ، وَرَفَعَ بِنَا الْخَسِيسَةَ ، وَأَتَمَّ بِنَا النِّقِيسَةَ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاطُفٍ وَبِرٍّ ، وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَانًا عَلَى سُورٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنةً وَمِنَّةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَثَرُهُمْ شُورَى

[١] النِّبْعُ فِي الْأَصْلِ : شَجَرٌ لِلْفَسَى وَالسَّامِ . [٢] الْمَتُّ بِالْتَحْرِيكِ : دُخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْإِنْسَانِ .

[٣] الرِّجْسُ ، وَكُلُّ مَا اسْتَقْفِرُ مِنَ الْعَمَلِ . [٤] مَا أَطَادَهُ عَلَيْهِ أَيْ صَبَرَهُ لَهُ .

[٥] الْغَنِيمَةُ . [٦] يَرِيدُ الْمُلُوكِيِّينَ . [٧] شَاءَ وَجْهَهُ شَوْهَاً بِالْفَتْحِ : قَبِجَ .

يَبْنِيهِمْ ، فُخُوا مَوَارِيثَ الْأُمِّ ، فَعْدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،  
وَخَرَجُوا خِمَاصًا <sup>(١)</sup> مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانُ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ،  
فَجَارُوا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلَى <sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ <sup>(٣)</sup> ،  
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا  
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَتَحَ بَنَا ،  
وَإِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمُ الْخَيْرِ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ  
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُمْ مَحَلٌّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلُ مِرْدَّتِنَا ، أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْتَبِهُوا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْتَبِهِكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ . حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَنَا كَمُ  
اللَّهِ بِدَوْلَتِنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَهُهُمْ عَلَيْنَا ، وَفَدَّ زِدْتَكُمْ فِي أُعْطَايَاكُمْ  
مِائَةَ دَرْهَمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَإِنَّا السَّفَّاحُ الْمُبِيحُ ، وَالنَّائِرُ الْمُبِيرُ <sup>(٤)</sup> ،  
وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاسْتَدَّ بِهِ الْوَعْكَ <sup>(٥)</sup> ، فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ . وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،  
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَاقِي <sup>(٦)</sup> الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ :

( تَارِيخُ الطُّبْرِ ٩ : ١٢٥ . وَشَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ : ص ٢١٣ )

## ٢ — خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُونَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِرَائِنَا  
مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعَتْ <sup>(٧)</sup> حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] حِيَاةُ جَمْعِ حَمِيسٍ مِنْ حَمْسٍ الطَّنْ مِثْلَةُ الْمِمْ أَيْ خَلَا ، وَانْخَمَصَتْ : انْخَمَصَتْ : الْحَاجَةُ ، وَهُوَ جَمْعَانُ بِالضَّمِّ ،  
وَحَمِيسُ الْمَشَا ضَامِرُ الطَّنْ . [٢] أَمَلَهُمْ . [٣] أَعْيَسُوهُ . [٤] أَنَارَهُ : أَهْلَكَهُ .  
[٥] الْوَعْكَ : أَدَّى الْجَمْعُ وَوَجَعَهَا ، وَالْمِنْ مِنْ شِدَّةِ الْعَبَثِ . [٦] جَمْعُ مِرْفَاقَةٍ فَتَتَحَفُّ الْمِمْ وَكَمْهَهَا .  
[٧] أَقْشَعَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَأَمْشَعَهُ فَأَعْيَسَتْ وَأَقْشَعَتْ وَتَقَشَّعَتْ ، وَالْحَنَادِسُ جَمْعُ حَنْدَسٍ يَكْسِرُ الْحَاءَ  
وَالدَّالَ ، وَهُوَ الظَّلْمَةُ .

وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مَطلعها ،  
وَبَزَغَ القمر من مَبْزَغِهِ ، وأخذ القوسَ باريها ، وعاد السهم إلى التَّزَعَةِ <sup>(١)</sup> . ورجع  
الحق إلى نِصابه <sup>(٢)</sup> ، في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم .  
أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لِنُكْثِرَ لُجَيْنًا ، ولا  
عِيقِيَانًا <sup>(٣)</sup> ، ولا نَحْفِرَ نَهْرًا ، ولا نَبْنِي قَصْرًا ، وإنما أَخْرَجْنَا الْأَنْفَةَ من ابْتِزَامِ  
حَقِّنَا ، والغضبُ لبني عَمْنَا ، وما كَرَرْتَنَا <sup>(٤)</sup> من أُمُورِكُمْ ، وبَهَظْنَا من شَتُونِكُمْ ،  
ولقد كَانَتْ أُمُورُكُمْ تُرْمِضُنَا <sup>(٥)</sup> ونحن على قُرُوشِنَا ، ويشتد علينا سوء سيرة بني أُمِيَّة  
فيكم ، وَخُرْقُهُمْ بَكُمْ ، واستذلالُهم لَكُمْ ، واستثَارُهم بفيثكم وصدقاتكم وَمَغَانِمَكُم  
عليكم ، لكم ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِمَّةُ الْعَبَّاسِ  
رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ نَحْكُمَ فِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَنَعْمَلَ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَنَسِيرَ فِي الْعَامَّةِ مِنْكُمْ  
وَالْخَاصَّةِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَبًّا تَبًّا لبني حرب بن أُمِيَّة وَبني  
مَرْوَانَ ، آثَرُوا فِي مَدَنِهِمْ وَعَصَرَهُمُ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ ، وَالِدَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ  
الْبَاقِيَةِ ، فَرَكِبُوا الْآثَامَ ، وَظَلَمُوا الْأَنَامَ ، وَاتَّهَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَغَشُّوا الْجَرَائِمَ ،  
وَجَارُوا فِي سِيرَتِهِمْ فِي الْعِبَادِ ، وَسُنَّتِهِمْ فِي الْبِلَادِ ، الَّتِي بِهَا اسْتَلْدُوا تَمَرَبُلاً الْأَوْزَارَ ،  
وَتَجَلَّبَبُوا الْآصَارَ <sup>(٦)</sup> ، وَمَرَحُوا فِي أَعْيَةِ الْمَعَاصِي ، وَرَكَضُوا فِي مِيَادِينِ النَّعْيِ ،  
جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ ، وَأَمْنًا لِمَكْرِ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمْ بِأَسُّ اللَّهِ بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحُوا  
أَحَادِيثَ ، وَمُزَقَّوَا كُلَّ مُمَزَّقٍ ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدَالْنَا <sup>(٧)</sup> اللَّهُ مِنْ مَرْوَانَ ،

[١] جمع نازع وهو الرامي شد الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى التزعة أي قام بإصلاحه  
أهل الأنفة ، وعاد السهم إلى التزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذمياً .  
[٤] كثره الغم كثر وبهر : اشتد عليه كآثرته . [٥] أرميه : أوجسه وأحرقه ،  
أرومض الحر القوم : اشتد عليهم قاذام . [٦] جمع لصر كحمل وهو الذنب . [٧] نصرنا عليه .

وقد غرّه بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عنانه ، حتى عثر في فضل خطامه ،  
 فظن عدو الله أن لن تقدر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكائده ، ورمى بكتائبه ،  
 فوجد أمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه وتقمته ، ما ألمات  
 باطله ، وتحق ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، ورد إلينا  
 حقنا وإرثنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر  
 بعد الصلاة ، أنه كره <sup>(١)</sup> أن يخاطب بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام  
 الكلام ، بعد أن أسخنفر <sup>(٢)</sup> فيه شدة الوعك ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،  
 فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان . المنع للسفلة الذين  
 أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسامين ،  
 الشاب <sup>(٣)</sup> المتكهل المنمهل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا  
 الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ، وناهج التقوى « - فمع الناس له بالدعاء -  
 ثم قال :

« يا أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين . قهورين على حقنا ، حتى أتاح  
 الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج <sup>(٤)</sup> بهم حجبتنا ، وأظهر  
 بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تنشوقون ، فأظهر فيكم  
 الخليفة من هاشم ويص به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم  
 السلطان وعز الإسلام ، ومن عليكم بإمام منحة العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة <sup>(٥)</sup> ،

[١] أي لأنه كره . [٢] اسجهر الخليل : اتسع في كلامه . [٣] كاتب اسمه حين ولى  
 الخلافة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل الملك رعيته إيالا : سامهم ،  
 وآل على القوم إيالا وإيالة : ولى .

نخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخَدَعُوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ماصعِد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

( تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ )

### ٣ — خطبة داود بن عليّ وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف . فاستحيا فلم يتكلم، فنهض داود بن عليّ حتى صعد المنبر، فقال المنصور: فقامت في نفسي: شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه، فلا يختلف عليه اثنان، فاتضيت سيفي . وغطيته بنوبي<sup>(١)</sup>، وقلت: إن فعل ناجزته، فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: « أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن ينفدم فواه فعله، ولأثرُ الفِعال أجدي عليكم من تشقيق<sup>(٢)</sup> المقال، وحسبكم بكتاب الله مُتمثلاً<sup>(٣)</sup> فيكم، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم، والله - قسما برّا لا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من عليّ بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا، فليظنّ ظانكم، وليهمس هامسكم » قال أبو جعفر: ثم نزل، وشمت<sup>(٤)</sup> سيفي .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣، ومواهب الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار: « وغطيت ثوبي » وهو تحريف . [٢] شق الكلام: أخرجه أحسن مخرج .  
[٣] إمتثال طريقته: تبعها فلم يعدها . [٤] شام سيفه يشبهه: غمده ( واستله أيضاً: ضد ) .

## ٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مفرط - فأرتج عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته ، عُقل من لسانه ، عند ما يُعهد من بيّانه ، ولكل مرتقي بهر<sup>(١)</sup> ، حتى تنفسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورعد عيسكم » . ( أمالي السيد المرتضى : ١٦ )

## ٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعِدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأعملن الذين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأُغمدن السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأعطيّنكم حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة<sup>(٢)</sup> الملعونة في القرآن . كانوا انكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها ، ولا يلي عليكم منهم والٍ إلا تمنّيتم من كان قبله . وإن كان لا خير في جميعهم ، منعوكم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المقبل بالمدبر<sup>(٣)</sup> ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد محق الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبيكم ، فما تؤخر لكم عطاء ، ولا

[ ١ ] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [ ٢ ] هي شجرة الرقوم التي تنبت في أصل الحميم ، جعلها

الله فسة للمشركين إذ قالوا : إن الدار تحرق الشجر فكيف تنبت .

[ ٣ ] انظر قول زياد بن أبيه في خطبة البراء الجزء الثاني ص ٢٥٧ .



نضيق لأحد منكم حقاً ، ولا تُجْمَرُكم في بَعث ، ولا نَخْطِرُ بكم في قتال ، ولا نَبْذُلُكم دون أنفسنا ، وَاللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»  
ثم نزل . ( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣ )

## ٦ — خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قتل مروان بن محمد — آخر خلفاء بني أمية — خطب السفاح ، فقال :  
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ،  
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » نكص بكم ي أهل الشام آل حرب وآل مروان ،  
يتسكعون<sup>(١)</sup> بكم الظلم ، ويتهورون بكم مَدَاحِضَ<sup>(٢)</sup> الزَّلَقِ ، يَطَّشُونَ بكم حَرَمَ  
الله<sup>(٣)</sup> وَحَرَمَ رسوله<sup>(٤)</sup> ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا  
فَأَتَيْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ  
لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد اتنف<sup>(٥)</sup> بكم التوبة ، واغفر لكم الزلة ،  
وبسط لكم الإقالة<sup>(٦)</sup> ، وعاد بفضله على نقصكم ، وبجله على جهلكم ، فليفرخ  
رؤعكم<sup>(٧)</sup> ، ولتطمئن به داركم ، وليقطع مَصَارِعُ أوائلكم ، « قَتَلْتَ يَوْمَهُمْ  
خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » ( العقد الفرید ٢ : ١٤٥ )

## ٧ — خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي — عم السفاح — لما قتل مروان ، فقال :

[١] تسكع : مشى مشياً متصفاً . [٢] جمع مدحضة : وهي المرة . [٣] يشير إلى ما كان من  
مقاتلة الحجاج عبد الله بن الربيع بمكة ، ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان .  
[٤] يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة المري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .  
[٥] استأنهه وابتدأ . [٦] أماله عثرته : دفعه من سقوطه . [٧] الروع بالصم القلب ، أو  
موضع الفزع منه ، والروع بالفتح : الفزع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرج منها ، أي ليخرج الروع  
عن رؤعكم ولتهدهوا وتطمئنوا .

« الحمد لله الذى لا يفوته من طلب ، ولا يُعجزه من هرب ، خدعت والله الأشقر نفسه ، إذ ظن أن الله مُمهله ، ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ ثورته ولو كره الكافرون ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كرهتهم العيدان <sup>(١)</sup> التى اقترعوها ، وأمسكت السماء دررها <sup>(٢)</sup> ، والأرض ريعها <sup>(٣)</sup> ، وقحل الضرع <sup>(٤)</sup> ، وجفز الفنيق <sup>(٥)</sup> ، وأسمل <sup>(٦)</sup> جلباب الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ، وكان ربك بالمرصاد ، قد مدم <sup>(٧)</sup> عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها ، وملكنا الله أمركم عباد الله ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ، فإنه من دواعى الزيد ، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء ، وبغئات الفتن ، فإنما نحن به وله » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

## ٨ خطبة داود بن علي بمكة <sup>(٨)</sup>

وخطب داود بن علي الناس بمكة فى أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال : « شكراً شكراً ، إنا والله ما خرجنا لنخفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً ، أظن عدو الله أن لن نقدر عليه ، أن رُوخى <sup>(٩)</sup> له من خطامه ، حتى عثر فى فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعادت التبل إلى التزعة ، ورجع الملك فى نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كنا نتوَّجع لكم ونحن

[١] أى أعواد المناير ، واقتروها : أى علوها . [٢] مطرها . [٣] الربيع : النماء والريادة . [٤] قحل : يبس جلده على عظمه . [٥] الصيق : الفعل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، والجمر : كشمس السرعة فى المشى ، ولم تذكر كتب الأمانة صط فعله ، وحاء فى اللسان : « الحفز : سرعة المشى يمانية ، حكاه ابن دريد ، قال : ولا أدري ما صحتها » ، وفى رواية : « مواسم الأدب : » وحمل فنيق الصرك . [٦] أسمل الثوب وسمل ، كدخل وكرم : أخلق . [٧] دمدم القوم ، ودمدم عليهم : طعنهم وأهلكهم ، فسواها : أى الدممة ، أى عنهم بها ولم يفلت منهم أحد . [٨] ولأه أبو العباس السكوتة وسوادها ، ثم ولأه المدينة ومكة واليمن واليامة سنة ١٣٢ وولأه إمارة الحاج فى هذه السنة ، ومات بالمدينة فى ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبرى ج ٩ ص ١٤٧) . [٩] أى لأن رُوخى له ، ظن أن لن نقدر عليه .

في قُرُشْنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ<sup>(١)</sup>، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَنْهَيجُ مِنْكُمْ أَحَدًا . ( تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

#### ٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : حَتَّامٌ يَهْتِفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ<sup>(٢)</sup> ؟ أَمَا آنَ لِرِاقِدِكُمْ أَنْ يَهُبَّ مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ<sup>(٣)</sup> عَنِ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَغَرَّكُمْ الْإِهْمَالُ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَاهُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كَفَى ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ<sup>(٤)</sup> ! حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً فَقَبِيلَةً وَيَعْضُ كُلُّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ<sup>(٥)</sup> وَيُقَمِّنَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَرَّاسِرًا يَمَسَحْنَ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ<sup>(٦)</sup> » ( العقد الفريد ٢ : ١٤٦ )

#### ١٠ - خطبة أخرى له<sup>(٧)</sup>

وخطب فقال : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، ائْتَمَطَ أَمْرُوهُ بِغَيْرِهِ ، ائْتَمَطَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ » ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ

[١] الجراء : المعجم لأن المال على ألوانهم البياض والحمر .  
[٢] الصريح : المستعيث ( والمعيث أيضا ) . [٣] حلب . [٤] شهر سيفه كجع ، وشهره بالشديد : انتصاه فروعه على الناس . [٥] تنقف الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويقمن : أي الرماح ، والصمير يعود على ( كل متقف ) . [٧] هذه الخطبة أوردتها ابن قتيبة ، وعزاها إلى داود بن علي ، ونسبها صاحب المقد إلى المنصور ، وأنه قالها لما قتل الأمويين ( راجع القديج ٢ : ص ١٤٥ ) .

ونصها كما أوردتها : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، ائْتَمَطَ أَمْرُوهُ لِحَطَّهِ ، نَظَرَ أَمْرُوهُ فِي يَوْمِهِ لِفَعْدِهِ ، فَشَى الْقَصْدَ ، وَقَالَ الْفَضْلُ ، وَجَانِبُ الْهَجْرِ » ، ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ بِكُمْ دَاءٌ هَذَا دَوَاؤُهُ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، فَلْيُعْتَبَرِ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَإِنَّمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ الْإِنْقِطَاعُ ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِيبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ » والمهر : الفج من الكلام ..

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ١١ — خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس

و بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَغْدَرًا يَا أَهْلَ الْخَتَرِ <sup>(١)</sup> وَالتبديل ؟ أَلَمْ يَرُدَّ عَنْكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ <sup>(٢)</sup> ، عَنْ الْخَوْضِ فِي ذَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْ زَارَكُمْ وَأَوْ زَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهُكُمْ بِالشَّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بَعْدَ أَنْ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَانْبَعَثَ دِمَاؤُكُمْ فَحَقَّنَهَا ، مَا لَآنَ يَا مَنَازِبَ الدِّمَنِ ، مَشِيتُمُ الضَّرَاءَ <sup>(٣)</sup> ، وَدَبَّيْتُمُ الْخَمَرَ <sup>(٤)</sup> ، أَمَّا مُحَمَّدٌ وَالْعَبَّاسُ إِنْ عُدْتُمْ لِمَلِّ مَا بَدَأْتُمْ ، لَأَحْضُدَنَّكُمْ بِظُبَّاتِ السَّيُوفِ ، ثُمَّ يُغْنِي رَبُّنَا عَنْكُمْ . وَنَسْتَبْدِلُ بِكُمْ ، نَمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ .

مَهْلًا يَا رَايَا <sup>(٥)</sup> الْإِرْجَافَ ، وَأَبْنَاءَ النِّفَاقِ ، عَنْ الْخَوْضِ فِيمَا كَفَيْتُمْ ، وَالتَّنْخِطَى إِلَى مَا حُدِّرْتُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ نَهْمُوسٌ ، وَيَقْلُ عَدَدٌ ، وَيَذُلُّ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتِلْكَ ؟ أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِبْرَاطِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؟ بَلَى وَالْحَجَرِ وَالْحِجْرِ <sup>(٦)</sup> ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ ، وَحَسَاكُ <sup>(٧)</sup> فِي الصَّدُورِ ، فَرَنَمًا لِلْمَعَاطِسِ <sup>(٨)</sup> ، وَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ <sup>(٩)</sup> » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

[١] الختر : العذر ، أر أقبحه . [٢] في الأصل « أَلَمْ يَرُدَّ عَنْكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ » عن الخووس في دم أمير المؤمنين « وهو تحريف . [٣] الضراء : الشجر المتلف في الوادي ، يقال : توارى السيد منه في صراء ، وولان يمشى الصراء : إذا مشى مستحفاً فيما توارى من الشجر . [٤] في الأصل « وَدَبَّيْتُمُ الْخَمَرَ » وهو تحريف ، وصوابه ما ذكرنا ، والخمر بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو ماء أو غيره ، وجر كهرج : توارى ، ومن أمثالهم : « يدبُّ له الصراء ، ويمشي له الجر » وهو مثل يضرب للرجل يحتمل صاحبه . [٥] الروايا جمع راوية : وهي المزايدة فيها الماء . [٦] الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار ذلكمبه من جانب الشمال . [٧] الحسك : الحقد والعداوة . [٨] المعاطس : جمع معطر ، كجاس ، ومقعد وهو الأدب ، والرعم : الدل . [٩] وروى صاحب العهد

## ١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :  
« أما بعد ، فقد يجِدُ المُعْسِر ، وَيُعْسِرُ المُوسِر ، وَيُقْلُ الحَدِيد ، وَيَقْطَع الكَلِيل ، وإِنَّمَا الكلام بعد الإِخَام ، كَالإِشْرَاق بعد الإِظْلَام ، وقد يعزُب البَيَان ، وَيُعَقِّم الصَّوَاب ، وإِنَّمَا اللِّسَان ، مُضْغَةٌ مِنَ الْإِنْسَان ، يَفْتُرُ بِفُتُورِهِ إِذَا نَكَل ، وَيُثَوِّبُ بِإِبْدَاسِهِ إِذَا ارْتَجَلَ ، أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنَحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءُ الْقَوْل ، فِينَا وَشَجَّتْ <sup>(١)</sup> أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَّا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَتَخَيَّرُ مِنْهُ مَا اخْلَوْلَى وَعَذُب ، وَنَطْرَحُ مِنْهُ مَا ائْتَلَوْحَ وَخَبِث ، وَمَنْ بَعْدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرِفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَان ، وَفَضْلُ الْخُطَاب ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانٍ » ثُمَّ نَزَلَ <sup>(٢)</sup> .

( كتاب الصواعيق ص ٢١ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٥ )

نص هذه الخطبة وعراها إلى أبي جعفر المصور ، فقال : « حطب المنصور حين خروجه إلى الشام قال :

شِئْنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا روايا الإرجاف ، وكهوف الفاق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع المقدم العريد ٢ : ١٤٥ - والشفقة : الطمينة والمادة ، وهو مثل لأبي أخزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان طاماً ، مات وترك بنين ، فوثبوا يوماً على جدم أبي أخزم وأدموه فقال :

إِنْ بِي صَرْجُونِي بِالدَّمِ شَفْقَةً أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

أَيَّ إِنْ هَؤُلَاءِ أَشْبَهُوا أَبَايَ فِي الْعُقُوقِ : يَصْرَبُ فِي قَرَبِ الشَّيْبِ ، وَيَكْلِمُ : يَمْرَحُ .

[١] وشجت العروق والأعصاب كوعد وشحا ووشحاً : اشتبكت ، والواشجة : الرحم المشتبكة .

[٢] يروى المصنف في زهر الآداب نص هذا القول وعراها إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد

المرتضى في أماليه قال :

« صعد أبو العباس السفاح المنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، بَضْعَةٌ

## ١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي <sup>(١)</sup> عم السفاح ، فقال :

يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرَّكم لين أساسي ، وطولُ إيناسي ؟  
حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لفلولِ حدٍّ ، وفتورِ جدٍّ ، وخَوَرِ قناةٍ <sup>(٢)</sup> ، كذَّبتِ  
الظنونُ ، إنها العِترَةُ بَعْضُهَا من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فعندي فِطام  
وفِكَاك ، وسيف يَقْدُ الهام ، وإني أقول :

|                                 |                                       |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| أغرَّكم أني بأكرمِ شيمةٍ        | رفيقٌ ، وأني بالفواحشِ أخرقٌ ؟        |
| ومثلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ سعيه  | تَكَلَّمُ نَعْمَاهُ بِفِيهَا فتَنطِقُ |
| لعمري لقد فاحشَتَنِي فغلبَتَنِي | هنيئًا مريثًا أنت بالفُحشِ أرفقُ      |

( المقدم المريد ٢ : ١٤٦ )

## ١٤ خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب العقد قال :

لما قَدِمَ العَمَرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السَّفَّاح في ثمانين

من الإنسان ، يَكِلْ إذا كَلَّ ، وينفسيح بانفساحه إذا فسَّح ، ونحن أمراء الكلام ، منا  
تفرعت فروعه ، وعلينا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هَذرا ، ولا نسكت إلا  
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر ،  
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي » اه .

والبصعة بفتح الباء وقد تكسر : القفظة من اللحم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال  
مصدر هذر في منطقه كصرب وصر .

[ ١ ] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاه السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،  
ثم ولاه مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره المنصور على  
عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو حامل حمص بقنسرين . [ ٢ ] ضعف .

رجلا من بنى أمية ، ووضعت لهم الكراسي ، ووضعت لهم مآرق<sup>(١)</sup> ، وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشييعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون<sup>(٢)</sup> ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قوساً ، وكان طويلاً آدم<sup>(٣)</sup> ، فقام خطيباً .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حَبِطت<sup>(٤)</sup> أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلمَ وبِمَ أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصحابة ، دون حق ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأَكفَاء في الحَسَب ، الخاصة في الحياة ، الوفاة<sup>(٥)</sup> عند الوفاة ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الأولى جائعكم ، فكم قصَمَ الله بهم من جبارٍ باغٍ ، وفاسق ظالم ، لم يُسْمَعْ بِمَثَلِ العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبورسول الله صلى الله عليه وسلم بعدأبيه ، وجِلدة ما بين عينيه<sup>(٦)</sup> ، أَمِينُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ<sup>(٧)</sup> ، وَرَسُولُهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَحَامِيهِ يَوْمَ حُتَيْنٍ<sup>(٨)</sup> ، لَا يَرُدُّ لَهُ رَأْيَا ، وَلَا يَخَالِفُ لَهُ قَسَمًا ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ مَا اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ حَيْثُ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لَكُمْ ، تَيَمَّمِي<sup>(٩)</sup> مَرَّةً ، وَعَدَوِي<sup>(١٠)</sup> مَرَّةً ، وَكُنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ فَدَاثَرُوا الْعَاجِلَ عَلَى الْآجِلِ ، وَالْفَانِي عَلَى الْبَاقِي ،

[١] نمارق جمع نمرقة كقنفذة : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبي العباس السفاح .

[٣] وصف من الأدمة ، وهي كالسمرة ورنا ومعنى . [٤] فسدت . [٥] الوفاة جمع واف .

[٦] خطب الوايد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحاج جِلدة ما بين عيني » ألا وإنه جِلدة وجهي كله » - البيان والتبيين ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .

[٧] يوم مبايعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً معهم امرأتان

وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحصر

أمر ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة

حنين ، حينئذ انبزم المسلمون أول الموتمة ، وكان آخداً بلجام سلته . [٩] يريد أبا بكر الصديق رضي

الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو من

عدى بن كعب بن لؤي .

وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ ، فِي الشَّهَوَاتِ ، وَالْفِئَاءِ ، فِي اللَّذَاتِ وَالْغَنَاءِ ، وَالْمَغَانِمِ ، فِي الْحَارِمِ ،  
إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ لَمْ يَذْكُرُوا ، وَإِذَا قُدِّمُوا بِالْحَقِّ أَذْبَرُوا ، فَذَلِكَ زَمَانُهُمْ ، وَبِذَلِكَ  
كَانَ يَعْمَلُ شَيْطَانُهُمْ <sup>(١)</sup> . (العقد المريد ٢ : ٣٠١)

## ١٥ خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح <sup>(٢)</sup> ، فقال :  
« الحمد لله الذي حمّد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد  
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى . واختاره من خلقه ، نفسه من  
أنفسهم ، وبيته من بيوتهم » ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ،  
وَأَشْهَدَ مَلَائِكَتُهُ عَلَى حَقِّهِ . قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » . ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل  
بيته ، فصبر مَنْ صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللاؤاء <sup>(٣)</sup>  
والشدة . وَأَغْضَى عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ وَالْأَثَرِ ، ثم إن فوماً من أهل بيت الرسول  
صلى الله عليه وآله . جاهدوا على مِلَّةِ نَبِيِّهِ وَسُنَّتِهِ بعد عصر من الزمان . مَنْ  
عَمِلَ بِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ ، بَيْنَ ظَهْرَانِي فَوْمِ آثَرُوا الْعَاجِلَ عَلَى  
الْآجِلِ ، وَالْفَانِي عَلَى الْبَاقِي ، إِنْ رُمِّقَ جَوْهَرُ فَتَقَوَّه ، أَوْ فُتِّقَ حَقٌّ رَتَّقَوَّه ، أَهْلُ مُخْمُورٍ  
وَمَخْمُورٍ ، وَطَنَانِيرٍ <sup>(٤)</sup> وَمَزَامِيرٍ ، إِنْ ذُكِّرُوا لَمْ يَذْكُرُوا ، أَوْ قُدِّمُوا إِلَى الْحَقِّ  
أَذْبَرُوا ، وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ ، فِي الشُّبُهَاتِ ، وَالْمَغَانِمِ ، فِي الْحَارِمِ ، وَالْفِئَاءِ ، فِي

[١] فقر هذه الخطبة مروية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآتية بعدها ، ولكي آثرت إيرادها للروايتين  
جميعاً كما وردتا . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة  
[٤] الطناير : جمع طنبور كعصفور ، وهو الذي يلعب به



الْفَتَى ، هَكَذَا كَانَ زَمَانُهُمْ ، وَبِهِ كَانَ يَعْمَلُ سُلْطَانُهُمْ ، وَزَعَمُوا أَنَّ غَيْرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ ؟ أَلَيْسَ الْفَضْلُ بِالصَّحَابَةِ ، دُونَ ذَوِي الْقُرَابَةِ ، الشُّرَكَاءِ فِي النَّسَبِ ، وَالْوَرَثَةِ فِي السَّلْبِ <sup>(١)</sup> ، مَعَ ضَرْبِهِمْ عَلَى الدِّينِ جَاهِلَكُمْ ، وَإِطْعَامِهِمْ فِي الْجَذْبِ جَائِعَكُمْ ، وَاللَّهُ مَا اخْتَرْتُمْ مِنْ حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ سَاعَةَ فِطْرٍ ، وَمَا زِلْتُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِ تَحْتَارُونَ تَيْمِيًّا مَرَّةً ، وَعَدَوِيًّا مَرَّةً ، وَأُمَوِيًّا مَرَّةً ، وَأَسَدِيًّا <sup>(٢)</sup> مَرَّةً ، وَشُفِيَانِيًّا مَرَّةً ، وَمَرْوَانِيًّا مَرَّةً ، حَتَّى جَاءَكُمْ مَنْ لَا تَعْرِفُونَ اسْمَهُ وَلَا بَيْتَهُ <sup>(٣)</sup> ، يَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِهِ ، فَأَعْطَيْتُمُوهَا عَنُودًا ، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، أَلَا إِنَّ

[١] مَا يَسْلُبُ ، وَالْمُرَادُ وَرَثَتُهُ فِي الْخِلَافَةِ . [٢] هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَامِ بْنِ حَوِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ . [٣] قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : « يَسَى نَفْسُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَسْلُومَ النَّسَبِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ بِهِ أَهْلُ مَوْلَى أُمِّ عَرَبٍ » وَقَالَ ابْنُ حُلْكَانَ فِي ( وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١ : ٢٨٠ ) فِي تَرْجُمَتِهِ : « أَبُو مُسْلِمٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ وَقِيلَ عَثْمَانُ الْحُرَّاسِيُّ الْقَائِمُ بِالدَّعْوَةِ الْعَاسِيَةِ ، وَقِيلَ هُوَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ إِسَارَ بْنِ سَدُوسَ بْنِ حَوْذَرٍ مِنْ وَلَدِ بَزْرَجَهْرَ بْنِ الْبَحْتِكَانِ الْعَاسِيِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي سَبِّهِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقِيلَ لَهُ مِنَ الْعَجَمِ ، وَقِيلَ مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو دَلَامَةَ :

أَبَا مَحْرَمٍ مَا غَيَّرَ اللَّهُ أُمَّةً عَلَى عَدَمِهِ حَتَّى يَغْيِرَهَا الْعَبْدُ  
أَبَى دَوْلَةَ الْمَنْصُورِ حَاوَلَتْ غَدْرُهُ أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ آبَاؤُكَ الْكَرْدُ

وَقَالَ ابْنُ طَبَاطَبَا فِي الْفَرَجِ ص ١٢٣ : « أَمَّا نَسَبُهُ فَبِهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ ، فَقِيلَ : هُوَ حَرٌّ مِنْ وَلَدِ بَزْرَجَهْرَ ، وَأَنَّهُ وَلَدٌ بِأَسْفَهَانَ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، فَاتَّصَلَ بِإِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَغَيَّرَ اسْمَهُ وَكَتَبَهُ بِأَبِي مُسْلِمٍ ، وَثَقَفَهُ وَفَقَّهَهُ ، حَتَّى كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ . وَقِيلَ هُوَ عَدُوٌّ تَقَلُّ فِي الرِّقِّ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْجَبَهُ سَمَتَهُ وَتَقَلُّهُ ، فَابْتَدَأَهُ مِنْ مَوْلَاهُ وَتَقَفَهُ وَفَقَّهَهُ ، وَصَارَ بِرَسُولِهِ إِلَى شِيعَتِهِ وَأَصْحَابِ دَعْوَتِهِ بِحُرَّاسَانَ ، وَمَا زَالَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا كَانَ .

وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ لَمَّا قَوِيَتْ شُوكَتُهُ ادَّعَى أَنَّهُ ابْنُ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ حَارِيَّةً فَوَقَعَ عَلَيْهَا مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَزَلَهَا مَدَّةً ، فَاسْتَنْكَحَهَا عَبْدًا مَوْطِيًّا ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ عَلَامًا سَمَتَهُ سَلِيطًا ، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِعَدُوِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبْكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَمْ يَعْتَرَفْ بِهِ ، وَنَشَأَ سَلِيطٌ ، وَهُوَ أَكْرَهُ الْخَلْقِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ نَازَعَ سَلِيطٌ وَرَثَتَهُ فِي مِيرَاثِهِ ، وَأَعْجَبَ ذَلِكَ بَنِي أُمَيَّةَ لِيَعْضُوا مِنْ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَعَانُوهُ وَأَوْصَوْا قَاصِيَّ دِمَشْقَ فِي السَّاطِنِ ، فَقَالَ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَحُكْمِهِ بِالْمِيرَاثِ ، فَادَّعَى أَبُو مُسْلِمٍ حِينَ قَوِيَتْ شُوكَتُهُ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ سَلِيطَ هَذَا .

وَذَكَرَ ابْنُ خُلْكَانَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ قَبْلَ قَتْلِهِ ، وَقَدْ عَدَّدَ لَهُ مَسَاوِيَّ وَقَعَتْ مِنْهُ : « تَزَعَمُ أَنَّكَ ابْنُ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، لَقَدْ ارْتَقَيْتَ لَا أُمَّ لَكَ مَرْتَقَى صَبَا ! » .

آل محمد أئمة الهدى ، ومَنَارُ سبيل التقى ، القادة الذّادة السّادة ، بنوعم رسول  
 لله صلى الله عليه وسلم ، وَمُنَزَّلُ جبريل بالتنزيل ، كم قصّم الله بهم من جبّار طاغ ،  
 فاسق باغ ، شَيّد الله بهم الهدى ، وَجَلَّى بهم العمى ، لم يُسمع بمثل العباس ،  
 كيف لا تخضع له الأمم لواجب حقّ الحرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 مد أبيه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَةٌ بين عينيه ، أَمِينُهُ يومَ الْعَقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ<sup>(١)</sup> ،  
 رسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يومَ حُنَيْنٍ ، عند ملتقى الْفَتَتَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ،  
 لا يَعْصِي له حكماً ، الشافع يوم نيقِ الْعُقَابِ<sup>(٢)</sup> ، إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ .

( شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٥ )

## ١٦ — خالد بن صفوان وأخوال السفاح .

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْتَمِيُّ مِنْ سُتَمَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ  
 عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْخَارِثِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :  
 لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَالُ<sup>(٤)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ  
 أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ خَالِدٌ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا بَيْنَ  
 نَاسِجٍ بُرْدٍ ، وَدَابِغٍ جِلْدٍ ، وَسَائِسٍ قِرْدٍ ، وَرَاكِبٍ عَرْدٍ<sup>(٥)</sup> ، ذَلِكَ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في عروّة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لمحاربة الرسول  
 صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب بعث به لإيـسـه عمه العباس الذي  
 لم يخرج معهم في هذه الحرب متعباً مما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أخبار المشركين ( وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه ) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شفع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة  
 دعماً للنبي صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ريطة بنت عبيد الله  
 ابن عبد الله بن عبد المطلب بن الهاشم بن عبد المطلب ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية . [٥] العرد : الحمار .

هَذِهِ<sup>(١)</sup> ، وَغَرَّقْتَهُمْ فَأَرَتْ<sup>(٢)</sup> ، وَمَلَكَتَهُمْ امْرَأَةٌ<sup>(٣)</sup> « ٩ » . ( البیان والتبيين ١ : ١٨٤ )

\* \* \*

وروى الحضري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة<sup>(٤)</sup> الشرف ، وعرينين<sup>(٥)</sup> الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لِمًا<sup>(٦)</sup> ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طُعْمًا<sup>(٧)</sup> ، وأوفاهم ذِمًّا ، وأبعدهم هِمًّا ، الجَمْرَة في الحرب ، والرّفْد<sup>(٨)</sup> في الجَدْب ، والرأس في كل خَطْب ، وغيرهم بمنزلة العَجَب<sup>(٩)</sup> » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنْتَ ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

[١] يشير إلى حديث المروم مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يرميه المؤرخون من أن سيل المرم الذي خرب اليمن كان سببه قرض الجرذ لسد مأرب - انظر الجزء الأول من ٣٤٣ . [٣] هي بلفظ ( بالكسر ) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : وأس كل شيء . [٥] العرين : الأنف ، أو ماصلب من عظمه ، ومن كل شيء . أوله . [٦] في الأصل « أمما » وأواه بحرفا ، وصوابه « لِمًا » واللم جمع لمة بالكسر ، وهي الشعر الجاوز شحمة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرّفْد : العطاء والمالة . [٩] العجب : أصل الذب ، وهو خر كل شيء . و

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدْهد ، وغرّقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . ( زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦ )

## ١٧ — خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهتم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ »<sup>(١)</sup> ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ »<sup>(٢)</sup> ، وأنت ابن الأهتم ، والصحيح خير من الأهتم<sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هَشَمَتِكَ هاشم ، وأمَّتِكَ<sup>(٤)</sup> بنو أمية ، وخَزَمَتِكَ بنو مخزوم ، وَجَمَحَتِكَ بنو جَمَح<sup>(٥)</sup> ؟ فأنت عبْد دارهم<sup>(٦)</sup> تفتح إذا دخلوا ، وتُغْلِقُ إذا خرجوا ، فقام العبدري محموراً . ( أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢ )

[١] وتام الآية الكريمة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحجر الصلد الضخم كالصفواء والصفاء ، والآية الكريمة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

[٣] هم كفروح : انكسرت ثنياه من أصولها فهو أهتم . [٤] قاذبك . [٥] انظر الجزء الثاني ص ٩٠ . [٦] وكات المجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٠ أيضاً

## ١٨ — خالد بن صفوان يرثى صديقاله

وقال الجاحظ : قيل لرجل — أراه خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> — مات صديق لك، فقال :  
« رحمة الله عليه ، لقد كَانَ يَمْلَأُ العَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ يَانَا ، وَلَقَدْ كَانَ يُرْجَى  
فَلَا يَخْشَى ، وَيُنْعَشَى فَلَا يَنْعَشَى ، وَيُعْطَى فَلَا يُعْطَى ، قَلِيلًا لَدَى الشَّرِّ حُضُورُهُ ،  
سَلِيمًا لِلصَّدِيقِ ضَمِيرُهُ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والأمالى ٢ : ١٧٤ )

## ١٩ — خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :  
« كَانَ وَاللَّهِ بَدِيعَ الْمَنْطِقِ ، دَلِقَ <sup>(٢)</sup> الْجُرْأَةُ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، عَرَبَى اللِّسَانِ ،  
ثَابِتَ الْعُقْدَةَ ، رَفِيقَ الْحَوَاشِي ، خَفِيفَ الشَّقَاتَيْنِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، رَحْبَ الشَّرَفِ ،  
قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، خَفِيَ الْإِشَارَاتِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، حَسَنَ الْطَلَاوَةِ <sup>(٣)</sup> ، حَيًّا جَرِيثًا ،  
قَتُولًا صَمُوتًا ، يَفُلُّ الْحَزَّ <sup>(٤)</sup> وَيُصِيبُ الْمَفَاصِلَ ، لَمْ يَكُنْ بِالْمَعْذَرِ <sup>(٥)</sup> فِي مَنْطِقِهِ ،  
وَلَا بِالزَّمِينِ <sup>(٦)</sup> فِي مُرُوءَتِهِ ، وَلَا بِالْخَرِقِ <sup>(٧)</sup> فِي خَلِيقَتِهِ ، مُتَبَوِّعًا غَيْرَ تَابِعٍ ،  
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ : » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٧ )

## ٢٠ — كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الأولاد : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلًّا بِقِسْطِهِ

[١] ورواية القالي : عن الأصمعي قال خالد بن صفوان لقي بين يديه : رحم الله أباك . . . الخ .  
[٢] مأخوذ من : « سيف دلق » أى سهل الخروج من نحره ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،  
واندلق العيب : أى شق جفنه فخرج منه . [٣] الطلاوة مثناة : القبول . [٤] الحز : القطع .  
[٥] عذر فى الأمر تعذيرا ، إذا قصر ولم يجتهد . [٦] أى المعيب ، والزمانة كسحابة : الماهة ،  
زمن كفرح فهو زمن وزمين . [٧] الخرق الذى لا يحسن العمل والتصرف فى الأمور

مَنْ وَجَّهَكَ وَكَرَّامَتَكَ <sup>(١)</sup> ، حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَحَتَّى كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ . (الأمالى ١ : ٢١٦ ، ، وزهر الآداب ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شَيْبَةَ لخالد بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »  
قال : « مَنْ سَدَّ خَلَجِي ، وَغَفَرَ زَلَّتِي ، وَقَبِلَ عَلَيَّ » . (الأمالى ١ : ١٩٨)  
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ ، وَلَا عَدُوٌّ فِي الْعَلَانِيَةِ » . قال الجاحظ : « وَهَذَا كَلَامٌ لَيْسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ إِلَّا الرَّاسْخُونَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ » . (البيان والتبيين ١ : ١٨٤ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « مَا الْإِنْسَانُ ، لَوْلَا اللِّسَانُ ، إِلَّا صُورَةٌ مُمَثَّلَةٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ مُهْمَلَةٌ » ،  
وفال : « اتَّقُوا مَجَانِيْقَ <sup>(٢)</sup> الضُّعْفَاءِ » يريد الدعاء (البيان والتبيين ١ : ١٩٠)  
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجُلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ ! » . (زهر الآداب ٢ : ٨٥)

## ٢١ — عمارة بن حمزة والسفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوائز نفيسة وكسوة وصيلة ، وأذن مجلسه :

« وَصَلِّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَرَدْنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ <sup>(٣)</sup> صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيَقْصُرُ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مَنَازِلِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلاً عَلَيْنَا ، بِالتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْْنَا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ <sup>(٤)</sup> شُكْرُنَا » .  
(زهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زهر الآداب : « مَنْ نَظَرَكَ وَمَجْلَسَكَ فِي صَوْنِكَ وَعَدْلِكَ » .

[٢] جمع منجنيق بفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . [٣] كنه الشيء : حقيقته .

[٤] الأصل : « لِنَقْصِ » .

## خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

### ٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأييده ، وحارسته على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلا ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشد والصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

( العقد الفرید ٢ : ١٤٥ ، وعیون الأخبار ٢ : ٢٥١ ، تاریخ الطبری ٩ : ٣١ )

### ٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه <sup>(١)</sup> :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ <sup>(٢)</sup> مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أَمْرٌ مُبْرَمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَضْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ <sup>(٣)</sup> حُجَّتُهُ ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكعبةَ غَرَضًا ، وَالنَّيَّاءَ إِرْثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عز صاحب العقد هذه الخطبة إلى سليمان بن علي (الطراز ٢ ص ١٤٥) ، وكذا صاحب  
مواسم الأدب (الطراز ٢ ص ١١٥) . [٢] قيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة ، وبالدكر  
اللوح المحفوظ . [٣] نصر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ حَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من بُرِّ  
مُعْطَلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَصْرِ مَشِيدٍ ، أمهلهم الله حتى بدلوا السنَّةَ ، واضطهدوا العِترَةَ<sup>(٣)</sup> ،  
وَعَنَدُوا<sup>(٤)</sup> واعتَدَوْا واستَكْبَرُوا ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحِسُّ  
مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟<sup>(٥)</sup> .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ )

## ٢٤ — خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ،  
وظلم ظالم ، لمَشَيْتُ بين أظهركم في أسواقكم ، ولوعِمتُ مكانَ من هو أحقُّ  
بهذا الأمر مني لأتيتُهُ حتى أدفعهُ إليه » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٥١٠ )

## ٢٥ — خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن<sup>(٦)</sup> وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل  
بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ثم قال :

[١] العضة : الفرقة والقطعة والجمع عضون ، وجعل المشركون القرآن عِضِينَ أى فرقا : فرقوا فيه  
القول ، فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة وشعرا ، فهم قد ( عضّوه ) بالنشيد أعضاء ، أى جزءوه أجزاء ،  
وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطلوا بعض أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من رمى الكعبة ،  
واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقى منها هلاك أهلها ، ومشيد : مرفوع ، أو مطلق بالشيد  
( بالكسر ) وهو ما طلى به الحائط من جص ونحوه ، أى معطل خال من ساكنيه أيضا .  
[٣] العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون . [٤] عند (مثلث النون) عن الطريق : مال .  
[٥] الصوت الخى . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حمله المنصور  
هو وأهل بيته ، من المدينة إلى العراق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في غيايات السجون حتى ماتوا بسجن  
الكوفة ، وكان يتخوف أن يغالبه على الخلافة محمد بن عبد الله هذا ( وهو محمد الملقب بالنفس للوكية ) وقد  
خرج عليه بالمدينة فوجه المنصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم على المنصور بالبصرة  
فقتل أيضا في هذه السنة .



« يَـأْهُلْ خُرَاسَانَ : أَتُمْ شِيعَتُنَا وَأَنْصَارُنَا ، وَأَهْلَ دَوْلَتُنَا ، وَلَوْ بَايَعْتُمْ غَيْرَنَا لَمْ تَبَايَعُوا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَّا ، وَإِنْ أَهْلُ يَتِي هَؤُلَاءِ مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، تَرَكَنَا مِثْلَ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْخِلَافَةُ ، فَلَمْ نَعْرِضْ لَهُمْ فِيهَا بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَقَامَ فِيهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَلَطَّخَ ، وَحَكَّمَ عَلَيْهِ الْحَكَمِينَ ، فَافْتَرَقَتْ عَنْهُ الْأُمَّةُ ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْكَلِمَةُ ، ثُمَّ وَثِبَتْ عَلَيْهِ شِيعَتُهُ وَأَنْصَارُهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَبِطَانَتُهُ وَثِقَاتُهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ فِيهَا بَرَجُلٌ ، قَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ فَقَبِلَهَا ، فَدَسَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : إِنِّي أَجْعَلُكَ وَلِيًّا عَهْدِي مِنْ بَعْدِي ، نَخْدَعُهُ فَنَسْلُخُ لَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ يَتَزَوَّجُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَاحِدَةً فَيُطَلِّقُهَا غَدًا ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، نَخْدَعُهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ ، أَهْلُ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَالْإِغْرَاقِ فِي الْفِتَنِ ، أَهْلُ هَذِهِ الْمَدْرَةِ السُّودَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ - فَوَاللَّهِ مَا هِيَ بِمَحَرَّبٍ فَأَحَارَبَهَا وَلَا مِسْلَمٍ فَأَسَالِمَهَا ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، نَخْدَعُوه وَأَسْلَمُوهُ حَتَّى قَتَلُوا ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، نَخْدَعُهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَغَرَّوهُ ، فَلَمَّا أَخْرَجُوهُ <sup>(١)</sup> وَأَظْهَرُوهُ أَسْلَمُوهُ ، وَقَدْ كَانَ أَتَى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ <sup>(٢)</sup> ، فَنَاشَدَهُ فِي الْخُرُوجِ ، وَسَأَلَهُ أَلَّا يَقْبَلَ أَقَاوِيلَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي بَعْضِ عَلَمِنَا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ يَتِنَا يُصَلِّبُ بِالْكَوْفَةِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الْمَصْلُوبَ ، وَنَاشَدَهُ عَمِّي دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَحَذَرَهُ غَدَرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَتَمَّ <sup>(٣)</sup> عَلَى خُرُوجِهِ ، فَقُتِلَ وَصَلِبَ بِالْكُنَاسَةِ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ وَثِبَ عَلَيْنَا بَنُو أُمَيَّةَ ، فَأَمَاتُوا شَرَفَنَا ،

[١] وَقَدْ خَرَجَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَاتَلَهُ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو التَّمِيمِيُّ وَالْإِصْرَاقِيُّ ، وَقَتْلُ وَصَلِبِ  
سَنَةِ ١٢١ هـ . [٢] يُرِيدُ أَبَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ .  
[٣] تَمَّ عَلَى الْأَمْرِ : اسْتَبْرَأَ عَلَيْهِ . [٤] مَوْضِعٌ بِقُرْبِ الْكُوفَةِ .

وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا تِرَّةٌ<sup>(١)</sup> يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد ، فصيرنا مرة بالطائف . ومرة بالشَّام ، ومرة بالشَّراة<sup>(٢)</sup> ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا ، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه ، فقر الحق مقرّه ، وأظهر مناره ، وأعز أنصاره ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها ، وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظامًا وحسدًا منهم لنا ، وبغيا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته ، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْبِنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغني عنهم بعض السَّقم والتعرُّم<sup>(٣)</sup> ، وقد دسست لهم رجالا ، فقلت : قم يا فلان ، قم يا فلان ، نخذ معك من المال كذا ، وحدوت لهم مثالا يعملون عليه ، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فدسُّوا إليهم تلك الأموال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير ، إلا بايعهم بيعة استحلت بها دماءهم وأموالهم ، وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروج على ، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين » ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية

[١] نأر . [٢] موضع بين دمشق والمدينة ( الذرك الآن ) .

[٣] الأصار فيه : تعرّفه ونزعه عما عليه من اللجم .

« وَحِيلَ يَنْتَهُمَ وَيَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١ )

٢٦ — خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شنَّ<sup>(١)</sup> المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفَكِفُ عَنْ سَعْدِي وَتَشْتُمْنِي؟ وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتْ اَلْخَلَتَانِ اَلْجَهْلُ وَالْجُبْنُ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزَا عَمَّا قَنَاهُ ، فَمَا عَصَدُوا اَلْكَافِي ، وَمَا شَكَرُوا اَلْمُنْعِمَ ، فَإِذَا حَاولُوا أَشْرَبَ رَثَقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّتُ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا رَحِمٍ حَاولَ قَطِيعَتَهَا ، وَلَئِنْ لَمْ يَرْضَ بِالْعَفْوِ لِيَطْلُبَنَّ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيُبْقِ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُتْ ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . ( موسم الأدب ٢ : ١١٩ )

٢٧ — خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ . لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا غَشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيدهُ ، وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِإِمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنْ

[١] شنَّ عليه درعه : صبَّها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب ممه عبد الله بن عليّ — وكان قد خرج عليه بالشام كما سيأتي — فلما ظفر أبو مسلم ، وغنم جميع ما كان في حوزة عبد الله ، وانتهز عبد الله إلى البصرة ، أرسل المنصور بعض خدمه للحفاظ على ما في المعسكر من الأموال ، فنضب أبو مسلم ، وقال : آمين على الدماء ، خائن في الأموال ! وشم المنصور ، وعزم على الخلاف ، وأن يتوجه إلى خراسان ، فجعل المنصور يتلفعه به حتى استقدمه إليه وقتله

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقَّكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَازَعَنَا عُرْوَةً هَذَا الْقَمِيصَ أَجْزَرَنَا خَبِيٍّ هَذَا الْغِمْدَ ، وَإِنْ أَبَامَسْلَمَ بَايَعَنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَكْتٍ بَنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتُ بَنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنْفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَمْنَعْنَا رِيعَايَةَ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٢١٣ ، وجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٨ — خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمَةُ ، وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأُتْمَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِ نَظَرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقَّكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا نَنْسَى الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَّرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَازَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ طَانَا أُمَّ رَأْسِهِ خَبَاءٌ <sup>(١)</sup> هَذَا الْغِمْدَ ، وَالسَّلَامَ » . ( ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٩ — قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم الجمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَذْكَرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعًا سَمْعًا لِمَنْ فَهَمَ عَنِ اللَّهِ ، وَذَكَرَ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَائِلُ ، فَوَاللَّهِ

ما أردت بها وجه الله ، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فعُوب فصَبَرُ  
وأهونُ بها ! ويلك لو همتُ <sup>(١)</sup> ! فاهْتَبِلْهَا <sup>(٢)</sup> ! إذ غفرتُ ، وإياك وإياكم معشرَ  
الناس أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فرُدوا الأمر إلى  
أهله ، تُوردوه مَوَارِدَه ، وتُصدِرُوهُ مَصَادِرَه « ثم عاد في خطبته ، فكأنه  
يقرؤها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٦ ،  
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢ )

### ٣٠ . المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى  
والعباس بن محمد وغيرهما ، فتذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا  
عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَبَّارًا لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ لَحْنًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ  
سُلَيْمَانُ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَقَرْجُهُ ، وَكَانَ عُمَرُ أَعْوَرَ بَيْنَ عُمَيَّانَ ، وَكَانَ هِشَامُ رَجُلَ  
الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَزَلْ بَنَوَامِيَّةَ ضَابِطِينَ لِمَا مُهَّدَ لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ ، يَحْوَطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ  
وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْنُئِهِمْ مَعَ الْإِمَارَةِ الْأُمُورِ ،  
وَرَفْضِهِمْ أَدَانِيَّهَا ، حَتَّى أَقْضَى أَمْرَهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَغَمَطُوا <sup>(٣)</sup>  
النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّعَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النَّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ  
اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَخَفِّينَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ،  
ضَعِيفِينَ عَنِ رُسُومِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .

( شرح ابن أبي المديد م ١ : ص ٢١٥ )

[١] أى لو همت بمقابلك . [٢] اغتنمها . [٣] غمط النعمة : بطرها وحفرها .

### ٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صَقْر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :  
أمير المؤمنين ، الذي راضَ <sup>(١)</sup> المَلِك ، وسَكَنَ الزلازل ، وحَسَمَ الأدواء ، وأباد  
الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك  
ابن مَرْوان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن  
معاوية <sup>(٢)</sup> ، الذي عَبَرَ البحر ، وقطع القَفْر ، ودخل بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فصرَّ  
الأمصار ، وَجَنَّدَ الأجناد ، ودوَّن الدواوين ، وأقام مُلْكًا بعد انقطاعه ، بحسن  
تدبيره ، وشدة شِكِمته ، إن معاوية نهض بِمَرْكَب حَمَلَهُ عَلَيْهِ عُمرُ وعثمان ،  
وذَلَّلَ لَهُ صَعْبَهُ ، وعبد الملك بِبَيْعَةٍ تَقْدَمُ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين بِطَلَبِ غِيَرِهِ  
واجتماع شِيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّد بِرَأْيِهِ ، مستصحب لعزمه .  
( العقد الفريد ٢ : ٣٠٢ )

### وصايا المنصور لابنه المهدي

#### ٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا مُبْنِي لَا تُبْرِمَ أَمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ، فَإِنْ  
فِكْرَةُ الْعَاقِلِ مِرَاتُهُ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا  
التَّقْوَى ، وَالسُّلْطَانَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى  
النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَنْتَقِصُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُودُونِهِ .  
( نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والعقد الفريد ١ : ١٤ )

---

[١] ذال . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل  
مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسياق .

### ٣٣ - وصية أخرى له

ووصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك  
بمخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سَقَط فيه دَفَتر علمه ، وعليه  
قُل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرَّ مفتاحه في كُمِّ قيصه - فقال  
للمهدي : انظر هذا السقط فاحتفظ به ، فإن فيه علم آباءك ما كان وما هو كائن  
إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمرٌ فانظر في الدِّقتر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،  
وإلا فالثاني والثالث حتى بلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فإنك  
واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإنك أن تستبدل بها ،  
فإنها بيتك وعزك ، قد جمعت لك فيها من الأموال ، ما إن كُبر عليك الخراج  
عشر سنين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة  
الشفور ، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً ، وما أظنك  
تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم وتُقدّمهم ، وتُكثر الإحسان  
إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتُوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزهم ،  
وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم ، وقربهم ،  
واستكثر منهم ، فإنهم مادّة لك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،  
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في  
دولتك ، وديارهم دونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ،  
وتتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتُخلف من مات منهم في  
أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُتم  
بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سلم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدْخِلَ النساءَ في مَشُورَتِكَ في أمرك ، وأظنك ستفعل .  
( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٩ )

### ٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي<sup>(١)</sup> أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ، يجعل لك فيما كَرَبَكَ وَحَزَنَكَ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقَكَ السَّلامَةَ وحسن العاقبة من حيث لا تحسب ، احفظ يا بنى محمد<sup>(٢)</sup> صلى الله عليه وسلم في أمته ، يحفظ الله عليك أمورَكَ ، وإياك والدمَ الحرام ، فإنه حُوبٌ<sup>(٣)</sup> عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلالَ ، فإن فيه ثوابَكَ في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقيم الحدود ، ولا تَعْتَدِ فيها فتبور<sup>(٤)</sup> ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصْلَحَ لدينه ، وأزَجَرَ عَن معاصيه من الحدود ، لأمرَ به في كتابه ، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً ، مع ما دَخَرَ له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان يا بنى حَبْلُ الله المتين ، وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وَحُطَّهُ ، وحصنه وَدُبُّه ، وأوقع بالملُحِدِينَ فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، وَالْمَثَلَاتِ<sup>(٥)</sup> بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحْكَمِ الْقُرْآن ، واحكم بالعدل ولا تُشْطِطْ ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجح في



الدواء ، وَعَفَّ عَنْ النَّفْسِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك  
بصلة الرَّحِيمِ وَبِرِّ الْقَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ<sup>(١)</sup>  
الشمور ، وَاضْبِطِ الْأَطْرَافَ ، وَأَمِّنِ السُّبُلَ ، وَخُصَّ الْوَاسِطَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَوَسَّعِ الْمَعَاشَ ،  
وَسَكَّنِ الْعَامَةَ ، وَأَدْخِلِ الْمُرَافِقَ عَلَيْهِمْ ، وَأَصْرِفِ الْمَكَارِهَ عَنْهُمْ ، وَأَعِدِّ الْأُمُورَ  
وَاخْزُنْهَا ، وإياك والتبذير ، فَإِنَّ النُّوَابِغَ غَيْرَ مَأْمُونَةٍ ، وَالْحَوَادِثَ غَيْرَ مَضْمُونَةٍ ،  
وهي مِنْ شَيْمِ الزَّمَانِ ، وَأَعِدِّ الرِّجَالَ وَالْكَرَاعَ<sup>(٣)</sup> وَالْجُنْدَ مَا اسْتَطَعْتَ ، وإياك  
وتأخيرَ عمل اليوم إلى غد ، فَتَتَذَكَّرُ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَتُضَيِّعُ ، جِدِّ فِي إِحْكَامِ الْأُمُورِ  
النازلات لأوقاتها أَوْ لَا فَأُولَا ، وَاجْتَهِدْ وَشَمِّرْ فِيهَا ، وَأَعِدِّ رِجَالًا بِاللَّيْلِ لِمَعْرِفَةِ  
مَا يَكُونُ بِالنَّهَارِ ، وَرِجَالًا بِالنَّهَارِ لِمَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ بِاللَّيْلِ ، وَبِأَشْرَ الْأُمُورِ بِنَفْسِكَ  
وَلَا تَضْجِرَ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْشَلْ ، وَاسْتَعْمِلْ حَسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ ، وَأَسِئْ  
الظَّنَّ بِعَمَالِكَ وَكُتَّابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بِالتَّيْقِظِ ، وَتَفْقِدْ مَنْ يَبِيتُ عَلَى بَابِكَ ،  
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِ النَّزَاعِ إِلَيْكَ ، وَوَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ ،  
وَنَفْسًا غَيْرَ لَاهِيَةٍ ، وَلَا تَنْتَمِ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْتَمْ مِنْذُ وَلِيَّ الْخِلَافَةِ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ  
غَمَضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَيْقِظٌ ، هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣٢٠ )

### ٣٥ — خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب  
بالنفس الزكية<sup>(٤)</sup> على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

[١] أى أملاها بالدافعة . [٢] التوسطة . [٣] الكراع : اسم بجمع الخيل .  
[٤] كان بنو هاشم — الطالبون والعباسيون — قد اجتمعوا أخريات العصر الأموي ، وتذاكروا ما لهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء ، التي بناها معاندةً لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعونَ حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحقَّ الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأَنْصارِ المُواسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعَمِلُوا بغير كتابك ، وغيرُوا عهدَ نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفّت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصّهم عدداً ، وأقتلهم بدداً <sup>(١)</sup> ، ولا تُبقِ على الأرض منهم أحداً » . ( ذيل الأمل م ١٢١ )

### ٣٦ — وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :

« أَيُّ بُنَى ، إِنِّي مُؤَدِّحٌ حَقَّ الله في تأديبك ، فأدِّ إلى حقِّ الله في الاستماع مني ،

وما هم عليه من الاصطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، واتفقوا على أن يدعوا الناس لهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نأيه ، فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وعلماً ، وشاء القدر أن يعمر العباسيون بالخلافة ، فوليا السداح ثم المنصور ، ولم يكن للمنصور هم منذ تبوأ عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقتله ، وأغرام بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يمتقدون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيهما عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما — وكانا قد تقييا خوفاً منه — فلما أطل عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي ، لما رفعتهما عنهما ، سبحان الله ! آتيك بولدي لثقتاهما ! فقبض عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحبسهم في سجن السكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدّم ، ولم يزل النفس الزكية متفرّجاً منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفاً منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده واقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبّه أعيان المدينة ، ثم غلب عليها ، وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها حاملاً وقاضياً ، فوجه المنصور لقتاله جيشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لعسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفَّ الأذى ، وارْقُضْ البَذَا<sup>(١)</sup> ، واستعِنْ عَلَى الكلام بطول الفِكر ،  
 فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإنَّ للقول سَاعَاتٍ يضر فيها  
 الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإنَّ كَانَ ناصحاً ، كما  
 تحذر مشورة العاقل إذا كَانَ فاشئاً ، لَأنَّه يُرْذِيكَ بِمَشُورَتِهِ ، واعلم يا بنى أنَّ رأيكَ  
 إذا احتجبت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظاناً ، فإياكَ أن تستبدَّ برأيكَ ،  
 فإنَّه حينئذ هواك ، ولا تفعل فِعْلاً إلَّا وأنت على يقين أنَّ عاقبته لَأُثْرُودِيكَ ، وأنَّ  
 نتيجة لا تبجى عليك . ( زمر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨ )

### ٣٧ — قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً - وكان عبد الله فى السجن - بَعَثَ برأسه إليه  
 مع الربيع حاجبه ، فوضع بين يديه ، فقال :  
 رَحِمَكَ اللهُ أبا القاسم ، فقد كنت من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا  
 يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَمْحَشُونَ رِجْلَهُمْ ،  
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثم تمثل :

فَإِذَا كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ النَّفْلِ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم التفت إلى الربيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن  
 نعيمك مثلها ، والموعِدُ اللهُ تعالى » قال الربيع : فما رأيتُ المنصور قطُّ  
 أَكْثَرَ انكساراً منه حين أبلغته الرسالة . ( زمر الآداب ١ : ٩٥ )

### ٣٨ — امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأة معها مَبِيَّانٌ ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَمَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضَرَّعَهُمَا <sup>(١)</sup> خَوْفُكَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لِهَما خَدَّكَ ، فَيَنأَى عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعْطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوْابِكُ النِّسْبِ ، وَأَوَاصِرُ <sup>(٢)</sup> الرَّحِيمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ . ( زمر الآداب ١ : ٩٦ )

### ٣٩ — جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصَرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ <sup>(٣)</sup> بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمْعُورٍ <sup>(٤)</sup> عِيُونَهُمْ ، وَيَجْمُرُ <sup>(٥)</sup> نَخْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانٌ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبُ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفُ قَدَّرَ فَغَفَرَ ، فَاقْتَدِ بِأَيَّهِمْ شِئْتَ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنْ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَمَمْتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنْ قَدَرْتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . ( زهر الآداب ١ : ٩٦ )

\* \*

وروى صاحب العقد قال :

[١] أذلها . [٢] أواصر جمع آصرة ، والآصرة : جبل صغير يشد به أسفل الحباء ( وهي أيضاً الرحم والقراصة ) . [٣] هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام وتوفي سنة ١٤٨ . [٤] في الأصل « ينور » وأراه محرفاً ، وقد أصلحته « يعمور » يقال : يعمور البئر أي طمها ، وسد عيونها التي ينبع منها الماء . [٥] جرم الحل : قطع جواره .

لما حج المنصور مرّ بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : علىّ جعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ، فطُل به ، ثم ألح عليه ، فخر ، فلما كُشِف السترينه وبينه ، ومثل بين يديه ، همّس جعفر بِشَفَتَيْهِ ، ثم تقرب وسلّم ، فقال : « لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله ، تعمل على الغوائل في ملكي ؟ قتلني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أُعطيَ فشكر ، وإن أيوب ابْتُلِيَ فصَبَرَ ، وإن يوسف ظُلِمَ فَفَقَرَ ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقُّ مَنْ تأسى بهم » ، فنكس أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلىّ أبا عبد الله فأنت القريب القربة ، وذو الرحم الواشجة <sup>(١)</sup> ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاحف يمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : يا ربيع ، محجّل لأبي عبد الله كُسنوته وجائزته وإذنه . ( العقد الفريد ١ : ١٤٥ )

٤ . - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله <sup>(٢)</sup> ، وصار إلى المنصور ، أتمر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رأس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرّفتم ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شقّ العصا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : المشبكة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، أخو النفس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتال النفس الزكية فقاتله وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .

فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمامَ بَلَاءِهِ الجليل لديه ، وَرَبِّ<sup>(١)</sup> نَعْمَاتِهِ السابقةِ عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَتَهُمْ لِحُسْنِهِمْ ، وغادِروهم لَوَفِّيهِمْ .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٨٥ )

#### ٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup> من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن الغفاري ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباهاة ، وإنما نحن وقد تَوْبَةُ ، وإنا ابتُلينا بفتنة استخفَّتْ كريمنا ، واستفزَّتْ حَكِيمنا ، ونحن بما قَدَّمنا مُعْتَرِفُونَ ، ومما سَلَفَ منا مُعْتَذِرُونَ ، فَإِنْ تُعَاقِبْنَا فَمَا أَجْرُنا ، وَإِنْ تَعَفُّ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصْفَحْ عَنَّا إِذْ مَلَكَتَ ، وَامْنُنْ إِذْ قَدَرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفِرْتَ ، فطالما أحسنتَ إلى من أساء مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحرسِيّ : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بالغُوطَة<sup>(٣)</sup> .

( العقد المرید ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

[١] رب الشيء : جمعه وزاده ، ورب الصبي : ربه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان الجعدي — وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشام — فأنت ولي العهد بعدي ، وشهد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أبا مسلم الحراساني لمحاربتة فهزموه ، وهرب عبد الله إلى البصرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فشفع فيه سليمان إلى المنصور فأمنه ، فلما جاء إليه خبسه ومات في حبسه ، وقيل إنه بنى له بيتا ، وجعل في أساسه ملحا ، ثم أُجْرِى الماء فيه ، وسقط البيت عليه فمات .

## ٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلالهم <sup>(١)</sup> مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أُعْطيتَ فشكرتَ ، وابتُلِيتَ فَصَبَرْتَ ، وَقَدَرْتَ فَعَفَوْتَ » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقامُ عدلٌ ، والتجاوزُ فضلٌ ، والمتفضلُ قد جاوزَ حدَّ المنصِفِ ، فنحنُ نُعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوْكَسِ <sup>(٢)</sup> النصيبيّين ، دون أن يبلغَ أرفعَ الدرَجَتَيْنِ » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقَى غيظَ نفسه ، وأخذَ أَقْصَى حَقِّه ، وإذا انتقمْتَ فقد اتَّقِصْتَ <sup>(٣)</sup> ، وإذا عفوت تطوَّلتَ <sup>(٤)</sup> ، ومن أخذَ حقه ، وشقَى غيظَه ، لم يجبْ شكرُه ، ولم يُذكر في العالمين فضله ، وَكَظُمَ الغيظُ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، والتشقى طَرَفٌ مِنَ الْعَجْزِ <sup>(٥)</sup> ، ومن رَضِيَ أَلَّا يكونَ بين حاله وبين حال الظالم إلا سِتْرٌ رقيقٌ ، وحجابٌ ضعيفٌ ، لم يجزَمْ في تفضيلِ الحِلْمِ ، وفي الاستيثاقِ مِنْ تركِ دواعي الظلمِ ، ولم ترأهْلُ النُّهى ، والمنسويين إلى الْحِجَابِ وَالتُّقَى ، مَدَحُوا الْحُكَّامَ بِشِدَّةِ الْعِقَابِ ، وقد ذكروهم بحسن الصَّفْحِ ، وبكثرة الغتْفَارِ ، وشِدَّةِ التَّغافلِ ، وبعْدُ فَاْلَمَعَابِ مُسْتَعْدٌّ <sup>(٦)</sup> لعداوة أَوْلِيَاءِ الْمُذْنِبِ ، والعافى مُسْتَدْعٍ لشكرهم ، آمِنٌ مِنْ مَكَاثِمِهِمْ <sup>(٧)</sup> أَيَّامُ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَأَنْ يُبَثَّنَى عَلَيْكَ بِاتِّسَاعِ الصَّدْرِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُبَثَّنَى عَلَيْكَ بِضَيْقِ الصَّدْرِ <sup>(٨)</sup> ، على أن إقالتك عثرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلالهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلالهم » أى فى فتيتهم وحياجهم من الجلبة بالتحريك وهى الصياح . [٢] من الوكس كودد : وهو التقصا .

[٣] أى انقص حقاك بخروجها عليك ، غنى لك الانتقام منا لأخذ حقاك .

[٤] تطوّل عليه : امتدّ وتغلّص . [٥] وفى زهر الآداب : « من الجزع » .

[٦] وفى زهر الآداب : « مستودع » . [٧] مجازاتهم .

[٨] وفى زهر الآداب : « خير من أن توصف بضيقه » .

مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عِثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابُكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

### ٤٣ — أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ : دعا المنصور بالربيع <sup>(١)</sup> ، فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ، فَقَدْ سَكَتَ حَتَّى نَطَقْتَ ، وَخَفَفْتَ حَتَّى ثَقُلْتَ ، وَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرْتَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَرْهَبُ بِخُلُوكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عَنْكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْتَمُّ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنِ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَنِّي بِشُكْرِكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصَحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ » قَالَ : صَدَقْتَ ، عَلِمْتُ بِهَذَا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْمَحَلَّ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الْفَضْلُ » <sup>(٢)</sup> وَتَوْثِرَهُ وَتَحَبَّهُ ، قَالَ : يَارَبِيعُ ، إِنْ الْحُبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوهَبُ ، وَلَا رِيبَةَ تُبْذَلُ ، وَإِنَّمَا تَوْكُّدُهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ، لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي ، قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَا رَبِيعُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَّبُ بِهَا عِنْدُكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ ، قَالَ : صَدَقْتَ .

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزير المنصور ، وكان مهيباً فصيحاً كافياً حازماً فطناً ، ولم يزل وزيراً للمنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة المهدي ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزير للرشيد بعد البرامكة ، ولابنه الأمين كما سيأتي .



#### ٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن عُبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يديك ، لو بقى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فاحذر ليلةً تَخْضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صعبك عشرين سنة ، لم يَرَ لك عليه أن يَنْصَحَكَ يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتعال وأصحابك فاكفنى ، قال عمرو : « أدعنا بعدلك ، نَسْخُ أنفسنا بعَوْنِكَ ، يبابك أَلْفُ مَظْلَمَةٍ ، أَرُدُّ منها شيئاً نَعْلَمُ أنك صادق » . (مروج الذهب ٢ : ٢٤٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٤٨)

#### ٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يَحُولُ بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يَحُولُ بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي <sup>(١)</sup> ، قال : يا أمير المؤمنين إن أَمْنَتَنِي عَلَى نَفْسِي ، أَنبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا ، وَإِلَّا احْتَجَزْتُ مِنْكَ ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَفِيهَا لِي شَاغِلٌ ، فقال : أَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ فَقُلْ ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغى والفساد لَأَنْتَ ، قال : وَيَحْكُ ، وَكَيْفَ يَدْخُلُنِي الطمع ، وَالصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ <sup>(٢)</sup> فِي قَبْضَتِي ، وَالْحُلُوُّ وَالْحَامِضُ عِنْدِي ؟ قال : وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنَ الطمع مَا دَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسامين وأموالهم ، فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ ، وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أُمُورِهِمْ ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصِّ وَالْآجُرِّ ، وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَحَاجِبَةً مَعَهُمُ السِّلَاحَ ، ثُمَّ سَجَّنتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ ، وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ فِي جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمَعَهَا ، وَقَوَّيْتَهُمْ بِالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ ، وَأَمَرْتَ بِالْأَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، نَفَرٌ سَمَّيْتَهُمْ ، وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِيصَالِ الْمَظْلُومِ وَلَا الْمَلْهُوفِ ، وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي ، وَلَا الضَّعِيفِ الْفَقِيرَ ، وَلَا أَحَدًا إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ ، فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ ، وَأَمَرْتَ أَلَّا يُحْجَبُوا عَنْكَ ، تَجَنَّبِي الْأَمْوَالِ وَتَجَمَّعَهَا وَلَا تَقْسِمَهَا ، قَالُوا : هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ ، فَمَا بَالُنَا لَا نَخُونَهُ وَقَدْ سَجَّجْنَا لَنَا نَفْسَهُ ؟ فَأَتَمَّرُوا بِالْأَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا ، وَلَا يُخْرِجُ لَكَ عَامِلٌ ، فَيُخَالِفَ أَمْرَهُمْ إِلَّا قَصَبُوهُ <sup>(٣)</sup> عِنْدَكَ وَنَفَوْهُ ، حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ ، وَيَصْغُرَ قَدْرُهُ ، فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، أَعْظَمَهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَانَعَهُمْ عُمَّالُكَ بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ ، لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظِلْمِ رِعْيَتِكَ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُووُ الْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ

[١] أَوْجَعْنِي وَآلَمْنِي . [٢] الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ : الدنانير والدرام .

[٣] طَابُوهُ وَشَتَمُوهُ ، وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « خَوَّنُوهُ » .

رعيّتك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلاّت بلادُ الله بالطمع بغيًا وفسادًا ، وضار  
هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيلَ بينه  
وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصّته إليك عند ظهورك ، وجَدّك قد  
نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجال ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك  
الرجل ، فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن  
المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفًا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ،  
ويُلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتلّ عليه ، فإذا أُجهد وأُخرج  
وظهرت ، صرّخ بين يديك ، فضرِب ضربًا مُبرِّحًا ليكون نكالًا لغيره ،  
وأنت تنظر فلا تُشكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين  
أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسَمْعِه ، فبكى يومًا بكاء  
شديدًا ، فحُثّه جلساؤه على الصبر ، فقال : أمّا إنى لست أبكى للبلية النازلة بى ،  
ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرّخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أمّا إذ ذهب  
سمعى ، فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس ألا يلبس ثوبًا أحمرَ إلا  
متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ، وينظر هل يرى مظلومًا ؟ فهذا  
يا أمير المؤمنين مُشرك بالله ، غلبت رافقته بالمشرّكين شح نفسه ، وأنت  
موثّق بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رافقك بالمسلمين على شح نفسك ؟  
فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبرًا فى الطفل ، يسقط من  
بطن أمه ، وماله على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ،  
فما يزال لله يملطُ بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست بالذى  
تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبْرًا في بنى أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلتَ إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ ، لا تُدْرِك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خوَّلكَ مُلكَ الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك ، وَعَمِلَتْهُ جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه <sup>(١)</sup> يداك ، ومشّت إليه رجلاك ، هل يُغْنِي عنك ما شحّحت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أُخْلَق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلامًا يَفْزَعُونَ إليهم في دينهم ، ويرضَوْنَ بهم ، فاجْعَلْهُمْ بِطَائِكَ يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدّدوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحمِلَهُمْ على طريقَتِكَ ، ولكن افتح بابك ، وسهّل حجَابَكَ ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النِّقْيَ والصدقات مما حل وطاب ، واقسمهُ بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُسعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وَطُلِبَ الرجل فلم يوجد .

( عمون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والمقد الفريد ١ : ٣٠٤ )

## ٤٦ — مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي <sup>(٢)</sup> : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟

[١] اكتسبته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه ولد بسلمك سنة ٨٨ هـ ، وتوفى سنة ١٥٧ ببيروت ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من ذى

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذى تريد منى ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مَكْحُولًا »<sup>(١)</sup> حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بَلَغَهُ عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سِيَقَتْ إليه ، فإن قَبِلَهَا من الله بِشُكْرٍ ، وإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً من الله عليه ، ليزداد إثماً ، ويزداد الله عليه غَضَبًا ، وإن بَلَغَهُ شَيْءٌ من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السُّخْطُ ، ومن كرهه فقد كَرِهَ اللهَ ، لأن الله هو الحق المبين » فلا تَجْهَلَنَّ ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي : فسل على الرِّيع السيفَ ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فأنهره المنصوو وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به ، والله ساءَ ثلك عن صغيرها وكبيرها ، وفتيلها وتقيرها »<sup>(٢)</sup> ، ولقد حدثني عُرْوَةُ بن رُوَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن رَاجِعٌ يَبِيدُ فامشاً لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه رائحة الجنة » فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظراً ، ولما استطاع من عَوْرَاتِهِم ساتراً ، وبالقِسْط فيما بينهم قائماً ، لا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُم منه رَهَقًا<sup>(٣)</sup> ، ولا مُسِيئُهُم عُدْوَانًا ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

الكلاع من الين ، وقيل : بطن من همدان ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، ففسب إليهم ، وهو من سبي الين .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، معلم الأوزاعي ، وكان من سبي كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ، فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته ، قال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا ، وسمع أنس ابن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفي سنة ١١٨ هـ .

[٢] القتيل : السحاة التي في شق النواة ، والقيح : القرعة التي في ظهر النواة . [٣] ظلاماً .

أَقْدِفْهَا لَا تَمَلَأْ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مِنْ سَفَكِ دِمَائِهِمْ ، وَشَقَقِ أَبْشَارِهِمْ ، وَأَنْهَبِ <sup>(١)</sup> أَمْوَالَهُمْ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرُ ، دَعَا إِلَى الْقَصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيَا لَمْ يَتَعَمَّدَهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثَكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونِ أَمَتِكَ » وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرَبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَابُ <sup>(٢)</sup> قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قُدَّةُ <sup>(٣)</sup> خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها » إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقُطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عُلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَذَاهُ ، فَكَيْفَ مَنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا <sup>(٤)</sup> مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ لَأَجَنَّهُ <sup>(٥)</sup> ، فَكَيْفَ بَعْنٌ يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ مِنْ سُلُوكِ <sup>(٦)</sup> فِيهَا ، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : « لَا يَقُومُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ <sup>(٧)</sup> الْعُقْدَةِ ، بَعِيدُ الْغِرَّةِ <sup>(٨)</sup> لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُخْنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ <sup>(٩)</sup> ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تُؤْمِ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةٌ : أَمِيرٌ يَظْلِفُ <sup>(١٠)</sup> نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ ، وَيَدُ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُ ، وَأَمِيرٌ رَتَعَ وَرَتَعَ عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِ ، وَأَمِيرٌ

[١] جعلها نهباً يعار عليه . [٢] القاب : ما بين المقبض والسية ( وسبة القوس كعدة : ما عطف من طرفيها ) . [٣] ريش السهم . [٤] الذنوب : الدلو . [٥] جعله آجناً أي متغير الطعم واللون . [٦] قيد . [٧] حصف الرجل ككرم : استحکم عقله فهو حصيف ، وأحصف الحبل : أحكم فتله . [٨] الغفلة . [٩] أحنق : حقد حقدا لا ينحل ، وأحنق الصلب : لرق بالبطان ، والجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، والمراد أنه لا يضر المقدم والحق . [١٠] يكف .

يُظْلِفُ نَفْسَهُ، وَيَرْتَعُ عَمَالَهُ، فَذَاكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، وَأَمِيرٌ يَرْتَعُ وَيُظْلِفُ مُعْمَالَهُ، فَذَاكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات والأرض والجبال ، قَابِلِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وقد جاء عن جدك في تفسير قول الله عز وجل : « لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أن الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، وقال : فما ظنكم بالكلام وما عمَلتُهُ الأيدي ؟ فأعذك بالله أن يُخَيَّلَ إليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ، ويا فاطمة بنت محمد ، استوهباً أنفسكما من الله ، إني لا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيْ عَمٍّ ، نَفْسٌ تُنْجِيهَا ، خَيْرُكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نَظَرًا لِعَمِّهِ ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَ فِيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا ، وَلَا عَنْهُ دَفْعًا ، هَذِهِ نَصِيحَتِي إِنْ قَبِلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ قَمَلَتٌ ، وَإِنْ رَدَدْتُهَا فَنَفْسُكَ بِخَسْتٍ ، وَاللَّهُ الْمُوفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : بَلَى ، تَقَبَّلَهَا وَنَشَكَرَ عَلَيْهَا ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ . ( المقد الفريد ١ : ٣٠٠ ، وعبود الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ )

#### ٤٧ — نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للمنصور

ودخل يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ<sup>(١)</sup> على أمير المؤمنين المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين : توسّع توسّعاً قُرْشِيّاً ، وَلَا تَضِيقْ ضَيْقاً حِجَازِيّاً .

[١] ولي قنسرین للوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجمع له مروان بن محمد ولاية البصرة والكوفة ، وكان آخر من جمع له المراقبان من الولاة ، ولما استظهرت عليه جيوش خراسان ، وهزمت عسكره لحق بمدينة

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدّثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنّبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد تحمّضت<sup>(١)</sup> لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأثّاره<sup>(٢)</sup> المنصور بصره ، ثم قال : لا يعزّ ملك يكون فيه مثل هذا ! . ( تهذيب الكامل ١ : ٢٨ )

#### ٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن<sup>(٣)</sup> بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطّوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنّك يامعن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك تلجّد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنّ فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأئ الدولتين أحبّ إليك ، هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحبّ إلى .

( البيان والنبين ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦١ )

واسط ، فتحصن بها ، ولما بويح السفاح بالخلافة وجه أحماء أبا جعفر المنصور لقتله ، فحصره بواسط شهوراً ، ثم أمنه وانتفع البلد صلحا ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أثّره البصر : أتبعه إياه ، وحدّد إليه النظر .

[٣] كان جوادا شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ، وكان في أيام بنى أمية متنقلا في الولايات ، مقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قدمنا ، أبلى يومئذ من مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور ، فاستتر عنه مدة ، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل خراسان ثاروا على المنصور ، وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية — وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة — وكان معن متواريا بالقرب منهم ، فخرج متنكرا معتما متلثما ، وتقدم إلى القوم ، وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم ، فلما أخرج عن المنصور ، قال له : من أنت ويحك ؟ فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه ، وصار من حواصله ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صنّاع كانوا يعملون في داره بمدينة بست ، فقتلوه وهو محتجم ، وتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرهم .



## ٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين مَنْ يذكُرُه القلبُ ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جَفْوَة الحُجَّاب ، وَقَلَّةُ بَشَرِ الْعِلْمَانِ ، منعانى من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابِه ، وأجزل صلته . ( زمر الآداب ٣ : ١٦١ )

## ٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابى على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبْقِيكَ اللهُ ، وَيَزِيدَ فى سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت توفّر بذاك ، قال : « ولمَ يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أستقصِرُ عمرك ، ولا أخافُ بُخْلَكَ ، ولا أغنمُ مالك ، وإن سوءالك لشرف ، وإن عطاءك لزَيْن ، وما بامرى بِذَل وجهه إليك تقصّر ولا شَيْنٌ » . فأحسن جائزته وأكرمه . ( الصاعتين ص ٤٠ ، العقد الفريد ١ : ١٣٩ )

## ٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنته

وروى القلقشندى قال : تعرّضت أعرابية للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السّفاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، اختسب الصبر ، وقَدِّم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب ، فى الحالين ، وأعظم عليك المنّة فى الحادِثين ، سلّبك خليفة الله ، وأفادك بخلافه الله ، فسلم فيما سلّبك ، واشكر فيما منّحك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملّكك من أمى الدنيا والدين »

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأة المنصور عن أبي العباس مَقْدَمَهُ من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلك من مصيبتك ، ولا عَوْض أعظم من خلافتك » . ( صبح الأعشى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥ )

## ٥٢ — خطبة محمد بن سليمان <sup>(١)</sup> يوم الجمعة

( وكان لا يغيّرها )

الحمد لله ، أحمدُه وأستعينُه وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله ، فقد اعتصم بالعرْوة الوثقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، ومن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطِيعُهُ وَيُطِيعَ رَسُولَهُ ، ويتبع رضوانه ، ويتجنب سُخْطَهُ ، فإنما نحن له وبه ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعة الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فإن تقوى الله أفضل ما تحاث الناس عليه ، وتداعوا إليه ، وتواصوا به ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٦٥ )

## ٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مسلم بن قتيبة <sup>(٢)</sup> : « لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لا تطلبها

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استشاره المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ

إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعتها أدنا واعية ( وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ ) .

إلى الكذاب ، فإنه يُقَرَّبُها وهي بعيدة ، ويبعِدُها وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك ، وهو يضرُّك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأْكَلَةٌ ، فإنه يجعل حاجتك وقاءً لحاجته . ( الأمل ٢ : ١٩٠ )

#### ٥٤ — خطبة المهدي ( توفي سنة ١٦٩ هـ )

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمده على آلائه <sup>(١)</sup> ، وأعجده لبلائه <sup>(٢)</sup> ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المُجْتَبَى <sup>(٣)</sup> ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس <sup>(٤)</sup> العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، غتلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قُرَناؤهم <sup>(٥)</sup> ، فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاز إلى ما يقرب من رحمته ، وينجى من سخطه ، ويُنال به مالهديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوَّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلِّمُ

[١] نعمه ، والفرد إلى كمال شمس ، وألوكشمس ، وإلى كعصا وإلى كرمنا .

[٢] البلاء : يكون منعة ، ويكون محنة . [٣] المختار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] القرين : المصاحب ، والشيطان : القرون بالإنسان لا يفارقه .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ  
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ؛  
يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، فَإِنَّ الدُّنْيَا  
دَارُ غُرُورٍ ، وبلاء وشرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ، قد أَفْنَتَ  
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وهى عائدة عليكم وعلى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَغَتْهُ ،  
وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ ، وَمَنْ أَمْلَهَا <sup>(١)</sup> كَذَبَتْهُ ، وَمَنْ رَجَاها خَذَلَتْهُ ، عِزُّهَا ذِلٌّ ،  
وَعِزُّهَا فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا ، وَالشَّقِيُّ فِيهَا مَنْ آثَرَهَا ، وَالْمَغْبُوتُ فِيهَا مَنْ بَاعَ  
حِظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،  
وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَظَمِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَتَنْدَمُوا فَلَا تَنَالُونَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمٍ حَسْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَأَبَةٍ وَتَلَهْفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ  
كَأَلْأَيَّامٍ ، وَمَوْقِفُ صَنْتِكَ الْمَقَامَ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابَ اللَّهِ ،  
يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ  
تُرْجَحُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ  
التَّسْكَاتُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ  
بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ »

( المقدم الفريد ٢ : ١٤٦ )

[١] أمله أملا وأمله بالتخفيف والنشيد . [٢] زكا يزكو : نما وصلاح .

[٣] الكظم : الخلق أو القم ، أو مخرج للنفس ، أى قبل الموت .

## مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبد ربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأُغْنِفَتْ ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكائنة ، على أن نكثوا بيعتهم ، ونقضوا موثقتهم ، وطرّدوا العمال ، والتّوّوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دأبتهم ، تطوُّلاً بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحجة ، ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذكّراً لله أعباء الخلافة ، وقلّده أمور الرعية ، رفيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته ، تسكّناً إلى كنفه ، وتأنساً بعفوه ، وثقّ بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هَوَادَةٌ ، ولا إغضاء ، ولا مداهنة ، أثرَةٌ للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطرّدوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومةً بإقرار ، وتنصلاً باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلاّته ، وبعث إلى نفر من لحمته <sup>(١)</sup> ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى <sup>(٢)</sup> بالابتداء ، وقال للعباس <sup>(٣)</sup> بن محمد : أي عمّ تعقّب قولنا ، وكن حكماً بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللّحة : القراة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا القريب كابن العم ونحوه .

[٣] هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أنمو النصور .

ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

## ٥٥ — مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صناعةً ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غايةً ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وقرسان الهزاهز<sup>(١)</sup> ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها<sup>(٢)</sup> ، وفيأتهم ظلالها ، وعصتتهم شدائدُها ، وقرمتهم<sup>(٣)</sup> نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائرَ تؤيد أمرك ، وتجارِبَ توافق نظرك ، وأحاديثَ تقوى قلبك ، فأما نحن معاشرَ عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بشقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حكمك ، وإظهار حقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمةً ، ولكل زمان سياسةً ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسع الرأي ، وثيق العقدة ، قوى المنّة<sup>(٤)</sup> ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

---

[١] الهزيمة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس . [٢] جمع سجل كشس ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . [٣] قرم الطعام : أكمله ، والنواجذ : أقمى الأرضين . [٤] القوة .

مَعَانِ بِالظَّفَرِ ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ هَمَّتَ فِي عِزِّكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَعَلَّكَ مَلْتَبِسُ الشَّكِّ ، فَاعْزِمِ يَهْدِي اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانُكَ ، فَإِنْ جُنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخِزَانَتُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ، وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمَنَاظِرَةُ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحُ بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَتَفَيَّلُ <sup>(١)</sup> مَعَهَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ ، فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

## ٥٦ — مقال الربيع بن يونس <sup>(٢)</sup>

وقال الربيع :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بَعْضُ مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خَرَّاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ <sup>(٣)</sup> ، مُتَفَارِقَةِ السَّبِيلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَمُبْتَرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَأُبَابِ الصَّوَابِ ، رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونُهُ مَعْلَقٌ لِمُخْصُومَةٍ عَائِبٍ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ <sup>(٤)</sup> بِهِ ، وَانْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَانَ بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ، وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحْدِثَ رَأْيًا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ انْفَرَجَتْ الْحَلَقُ ، وَتَحَلَّلَتِ الْعُقَدُ ، وَاسْتَرَخَى الْحِقَابُ <sup>(٥)</sup> ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلِمَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قَالَ زَيْلَعٌ وَتَمِيلُ : أَخْطَأَ وَضَعَفَ . [٢] وَزُرَ لَأَبِي حَمْفَرِ الْمَنْصُورِ وَقَتْلُهُ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ .

[٣] الْبَعْدُ وَالسَّفَرُ الْبَعِيدُ . [٤] جَمْعُ بَرْدٍ : وَهُوَ الرِّسُولُ ، وَخَبَّتْ : أَسْرَعَتْ .

[٥] الْحِقَابُ : مَا تَمُدُّهُ الْمَرْءُ فِي وَسْعَاهَا .

كمصدر الأولى ، ولكن الرأى أيها المهدي وفقك الله ، أن تصرف إجابة النظر ،  
وتقليب الفكر فيما جمعنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم ، والحيل في  
أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس  
موصوفاً بهوى فى سواك ، ولا متهماً فى أثره عليك ، ولا ظنيناً<sup>(١)</sup> على دخلة<sup>(٢)</sup>  
مكروهة ، ولا منسوباً إلى بدعة محذورة ، فيقدح فى ملكك ، ويرىض<sup>(٣)</sup>  
الأمر لغيرك ، ثم تسند إليه أمورهم ، وتفوض إليه حربهم ، وتأمره فى عهدك  
ووصيتك إياه ، بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأى ،  
عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التى ينقض أمر الغائب عنها ، ويثبت  
رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه  
ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحيد النظر  
إن شاء الله .

## ٥٧ — مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي ، إنَّ ولىَّ الأمور ، وسائسَ الحروب ، ربما نحى جنوده ،  
وفرق أمواله فى غير ماضيق أمرٍ حزبه<sup>(٤)</sup> ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقع  
عند الحاجة إليها ، وبعد التفرقة لها ، عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق بقوة ، ولا  
يصول بمدة ، ولا يفزع إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُعفى  
خرائنك من الإيفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة

[١] متهما . [٢] دخلة الرجل مثله ، ودخيلته : نيته ومذهبه .

[٣] فى كتب اللغة : راضه ورواضه : ذالاه ، وأراض الأرض جعلها راضاً . [٤] اشتد عليه .



الأخطار، وتغريير القتال ، ولا تُسرِعْ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعتك غيرهم ، ولكن اغزم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلمهم <sup>(١)</sup> بالرفق ، وأبرق <sup>(٢)</sup> لهم بالقول ، وأرعد نحوم بالفعل ، وابتعت البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتاب ، واعقد الأولوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه إليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوئهم أثراً فيهم ، ثم ادسّس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضاً على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فإن مرّام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة <sup>(٣)</sup> بالكتب ، والمكيدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المذخل في القلوب ، القوي الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة <sup>(٤)</sup> ، أنفذ من القتال بظبات السيوف ، وأسنة الرماح . كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكيدة ، أحكم عملاً ، وألطف منظرًا ، وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال ، والتغريير والخطار <sup>(٥)</sup> ، وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم

[١] خادعهم . [٢] رعد وبرق ، وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

[٣] ناصبه الحرب والعداوة : أظلمها . [٤] الموافقة . [٥] الخاطرة .

على أسفارٍ ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَشَة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُوره ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كلّ ذى علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه عليّ ، فقال : ما تقول ؟

## ٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال عليّ بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَخْلَعُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَحُ في تغيير ملكك ، وَيُريِضُ الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطبَ أيسرَ ، والشأن أصغرَ ، والحال أدلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند موّعه الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيّتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، ويحدث من عندهم فتق ، أطمعت أمر الرب ، وأطفأت نائرة الحرب ، ووفّرت خزائن المال ، وطرحْتَ تغريرَ القتال ، وحمل الناسُ محملاً ذلك على طبيعة جُودك ، وسجيّة حلمك ، وإسجاح<sup>(١)</sup> خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأمنت أن تُنسَبَ إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَة ، وإن منعّتهم ما طلبوا ، ولم تُجِبْهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميّذان الخطّاب ، فما أربُّ المهدي أن يعمِدَ إلى طائفه من رعيّته ،

مقرّين بمملكته ، مُذعنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُبرّثونها من عبوديته ، فيملّكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدّ المقارعة ، ومِضمار المخاطرة ، أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمعري لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبْلهم ، ولو نالها ، فَحُمِلت إليه ، وَوُضِعَتْ بخرائطها <sup>(١)</sup> بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسَب ، وبه يُعرَف ، من الجود الذي طَبَعَهُ الله عليه ، وجعل قُرّة عينه ، ونَهْمَةً <sup>(٢)</sup> نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأيٌ مستقيمٌ سديد ، في أهل الخراج الذين شكّوا ظلم عمالنا ، وتحامل وُلّاتنا ؛ فأما الجنود الذين نَقَضُوا موثيق العهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيّد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم ، وعِظَةً لسوام ، فيعلم المهدي أنه لو أتی بهم مغلولين في الحديد ، مُقرّنين <sup>(٣)</sup> في الأصفاذ <sup>(٤)</sup> ، ثم اتسع لِحَقْنِ دماثهم عفوّه ، ولإقالة عثرتهم صَفْحُهُ ، واستبقاهم لما هم فيه من حربه ، أو لمن يلزأهم من عدوه ، كما كان يدعّا من رأيه ، ولا مستنكراً من نظره ، لقد علمت العربُ أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوّاً ، وأشدّها وقماً ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاضمه <sup>(٥)</sup> عفوً ، ولا يتكأء دُهُ <sup>(٦)</sup> صفحاً ، وإن عَظُم الذنبُ ، وجَلَّ الخطبُ ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يَحُلَّ عُقْدَةَ الغيظ ، بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم ، وَضِيْعَةَ عِيالاتهم ، برّاً بهم ، وتوسّماً لهم ، فلمنهم إخوان دولته ،

[١] جمع خريطة وهي وطاء من آدم وغيره يشرح على مافيه . [٢] التهمة : الحاجة وبلوغ العهدة في الشيء . [٣] مقيدون . [٤] الأصفاذ : القيود : جمع صفد كسبب . [٥] تعاضمه الأمر : عظم عظمه . [٦] تكأءه الأمر : شقّ عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجبتهم يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو ثقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازيين ، أصاب أحدهما خبل عارض ، ولهُوَ حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقة له ، ولطفاً به ، واحتياجاً لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، وبراً به ، ومرة حمة له .

فقال المهدي : أما على فقد نوى ستمت الأيان<sup>(١)</sup> ، وفَضَّ القلوب في أهل خراسان ، ولكل نبيٍّ مُستَقَرٍّ ، فقال : ماترى يا أبا محمد يعنى موسى ابنه (الهادي) .

### ٥٩ — مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فمهم ، الحائ من القوم ينادى بمَضْمَرَةٍ شر ، وخَفِيَّةٍ حَقْد ، قد جعلوا المعاذير عليها سِتْرًا ، واتخذوا العِلل من دونها حجابًا ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأُمُور بالتطويل ، فيكسِرُوا حِيَلَ المهدي فيهم ، ويُفْنُوا جنودَه عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتلاحق مادَّتُهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قولهم في حالِ غِرَّة ، ولباسِ أَمَنَةٍ ، قد قَتَرَ لها ، وأنس بها ، وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وَبَرَدَتْ عليه جلودهم من المناصبَةِ بالقتال ، والإضرار للقِرَاع ، عن داعية ضلال ، أو شيطان

فساد ، لَرَهَبُوا عواقب أخبار الوُلاة ، وَغِيبَ سكون الأمور ، فليشدُّ المهدي وفقه الله أزره<sup>(١)</sup> لهم ، ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خُطة يريد بها صلاحهم ، إلا كانت دُرْبَة إلى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسبباً لفساد من يحضرته من الجنود ، ومن يبابه من الوفود الذين إن أقرَّمهم ، وتلك العادة ، وأجرامهم على ذلك الأرب ، لم يبرح في فتقٍ حادث ، وخلافٍ حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُرْبَة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المُفرِطة ، والمثوثة الشديدة ، والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحِرَّ<sup>(٢)</sup> . ثم القتل ، ويُخَدِّقُ بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، وَيُطَبِّقُ عليهم الذل ، فإن فعل المهدي بهم ذلك ، كَانَ مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرةٍ شرٍّ منهم ، واحتمالُ المهدي في مَثْوَنَة غزوتهم هذه ، تضع عنه غزواتٍ كثيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

فقال المهدي : « قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل » .

٦٠ - مقال العباس بن محمد

فقال العباس بن محمد :

« أيها المهدي : أما المَوَالِي فأخذوا بفروع الرأي ، وسلَكوا جَنَبَات الصواب ، وتمعدَّوا أموراً قصَّر بنظرهم عنها ، أنه لم تأت تجارِبُهم عليها ، وأما الفضلُ فأشار بالاموال أن لا تُنْفَقَ ، والجنودُ ألا تُفَرَّقَ ، وبأن لا يُعْطَى القوم ما طلبوا ، ولا

يُبْذَلُ لَهُمْ مَسْأَلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرِ يَبْنَى ذَلِكَ اسْتَصْغَارًا لَأَمْرِهِمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِمُحَرِّبِهِمْ ،  
وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صَغَارُهَا .

وَأَمَّا عَلَى ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمَطَ أَمْرَهُ ،  
وَسَفَهُ حَقَّهُ ، اللَّيْنُ بِحَتَا ، وَالْخَيْرُ مُحْضًا ، لَمْ يَخْلِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعَطَّفِ الْقُلُوبِ عَنْ لَيْنِهِ ،  
وَلَا بِشَرٍّ يَحْبِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَّكَهُمْ الْخَلْعَ أَمَذَرَهُمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ  
لِثَنِّي أَعْنَاقَهُمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ ،  
فَنَزَوَةُ<sup>(١)</sup> فِي رءُوسِهِمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا  
رَأْيَ الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمَحْضِ ،  
وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ  
مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمَ ، وَالْمَلِكَ  
الْكَبِيرَ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُذَكِّرُهُ الْفِكْرَ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دَعَا  
النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى  
الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لِلَّيْنِ فِيهَا ، وَأَنْ يُزْمَوْا بِشَرٍّ لِاخْتِارِ  
مَعَهُ ، وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، الْخَوْفَ مُفْرَدًا ، وَالشَّرَّ  
مُجَرَّدًا ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يُثْنِيهِمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَانْتَقَطَتْ  
الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَنْفَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ،  
وَالْاِمْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي  
الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِغَضَّةٍ لازمة ، وعداوة باقية ، ثورث النفاق ، وثُعْبِ الشقاق ، فإذا أمكتهم فرصة ، أو ثابَّت<sup>(١)</sup> لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشدَّ مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أكني دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه ، وحزَمَ نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

## ٦١ — مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا فِطامَ لما تَكَرَّه ، وعاد اللين أهْدَى قَائِدَ إلى ماتحِبِّ ، ولكن أرى غير ذلك » .  
قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين بما أدعى ، حتى يأتي بيئته عادلة ، وحُجَّة ظاهرة ، فاخرج عما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة<sup>(٢)</sup> ، والأعاجم قوم مَكْرَة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن مايسرون على ظاهر مايعلمون ، وربما افرقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تُبْطِن ، واستسرَّ بمدخولة لا تعلمن ، والطبيب الرفيق بطبِّه ، البصير بأمره ، العالم بمقدَّم يده ، وموضع ميسمه<sup>(٣)</sup> لا يتعجل الدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدي « وفقه الله » أن يقرَّ<sup>(٤)</sup> باطن أمرهم قرَّ

[١] رجعت . [٢] خدعة بسكون الدال وتثنية الحاء ، وبضم الحاء وفتح الدال ، أى تنفضى بخدعة .

[٣] اللبس : المكواة . [٤] فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف سنها .

المُسْنَةُ ، وَيَخْضُ ظَاهِرُ حَالِهِمْ فَخْضُ السَّقَاءِ ، بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ ، وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ،  
وَمُوَالَاةِ الْعِيُونِ ، حَتَّى تُهْتِكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ ، وَتُكْشَفَ أَغْطِيَةُ أُمُورِهِمْ ، فَإِنْ  
انْفَرَجَتْ الْحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ ، أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتْ  
الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ ، وَانْقَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينٍ يَعْتَقِدُونَهُ ، وَإِثْمٍ  
يَسْتَحِلُّونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعَقُوبَةٍ لَا عَفْوََ مَعَهَا ، وَإِنْ  
انْفَرَجَتْ الْعِيُونُ ، وَاهْتَصَرَّتِ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَالْأُمُورُ بِهِمْ مُعْتَدِلَةٌ ، فِي أَرْزَاقٍ يُطْلَبُونَ ، وَأَعْمَالٍ يُنْكَرُونَهَا ، وَظَلَامَاتٍ  
يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقٍ يُسْأَلُونَهَا ، بِمَاتَةٍ سَابِقَتِهِمْ ، وَدَالَّةٍ مُنَاصِحَتِهِمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدَى  
- وَفَقَهُ اللَّهِ - أَنْ يَتَسَعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا ، وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَشْعَبَ <sup>(٢)</sup> مِنْ  
أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْتُقَ مِنْ فَتَقِهِمْ مَا قَطَعُوا ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا ،  
وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرْضَى قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ، فَإِنَّمَا الْمَهْدَى وَأَمْتُهُ ، وَسَوَادُ  
أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِيِ الْمَجْرَّبِ الَّذِي  
يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ ، وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا ، وَيُرَدِّ  
الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسِ جِمَاعَتِهَا ، ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانُ بِخَاصَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مُجْمُولَةٌ ، وَمَاتَةٌ  
مَقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مُعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ، لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ ،  
وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدَى الْاضْطِغَافُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا  
الْمُؤَاخَذَةُ لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرُ <sup>(٣)</sup> بِهِمْ ، وَلَا الْمَكْفَاةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسْمِ  
الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَثِيلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ،

[١] مَرِيعُ الْوَادِي كَكْرَمِ مَرَاةٍ : أَخْصَبَ بِكَثْرَةِ السَّكَنِ فَهُوَ مَرِيعٌ .

[٢] يَشْعَبُ . [٣] تَوَعَّرَ الرَّجُلُ : تَشَعَّدَ .



أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَعَ الحيا <sup>(١)</sup> ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسَلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثنى بعده هرون ، ولكن مَن لَأَعْنَةُ الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدَّالَّةُ ؟ » .

## ٦٢ — مقال صالح بن علي <sup>(٢)</sup>

قال صالح :

« لسنا نبليغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسةٍ رأيك ، وبعضَ لَحَظَاتِ نظرك ، وليس ينفَضُ عنك من ييوتات العرب ، ورجالاتِ العجم ، ذودين فاضل ، ورأي كامل ، وتدبير قوى ، تقلَّده حرَبُك ، وتستودِعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، وَيَضْطَلِع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النَّقِيبَةِ <sup>(٣)</sup> ، مبارك العزيمة ، تخَبُّور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد تُؤليه أمرُك ، وتُسند إليه ثَمَرُك ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد » .

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لتقديم عادةٍ الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم » .

## ٦٣ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قومٌ ذوو عِزَّةٍ وَمَنَّةٍ ، وشياطينُ خَدَاعَةٍ ،

[١] للطر . [٢] هو صالح بن علي بن عبدالله بن عباس . [٣] النفس والطبيعة .

زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ،  
والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلهم ، لأنهم بين  
سيفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ،  
ولا يقطمون إلا بالمر ، وإن ولي المهدي عليهم وضعاً لم تنقذ له العظماء ، وإن  
ولي أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وإن آخر المهدي أمرهم ، ودافع حربهم ،  
حتى يصيب نفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ناصحاً ، يتفق عليه  
أمرهم ، وثقةً تجتمع له أملاؤهم<sup>(١)</sup> ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا  
مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من  
الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد ،  
ولا يستصلحه وإن جهّد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي وفقه  
الله فاطماً عاداتهم ، ولا قارِعاً صفاتهم<sup>(٢)</sup> ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا  
عذل<sup>(٣)</sup> في ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ،  
وصخرة لا تزغزع ، وبهمة<sup>(٤)</sup> لا تُثنى ، وبازل<sup>(٥)</sup> لا يفزعه صوت الجملجل ،  
نقى العرض ، تزيه النفس ، جليل الخطر<sup>(٦)</sup> ، اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما  
نحو الآخرة بهمة ، وجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً ، والغرض الأدنى لقدمه  
موطئاً ، فليس يقبل عملاً ، ولا يتعدى أملاً ، وهو رأس مواليك ، وأنصح  
بنى أيبك ، رجل قد غذى بلطيف كرامتك ، ونبتت في ظل دولتك ، ونشأ على

[١] جمع ملائكة كسبب وهو الجماعة . [٢] الصفاة : الحجر الصلد الضخم . [٣] العدل : الظير .

[٤] البهمة : الصخرة ، والشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى . [٥] البازل : الجمل فى السنة

التاسعة ، والرجل الكامل فى تجربته . [٦] القدر .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتَه أمرهم ، وحمّلتَه ثِقَلَهُمْ ، وأسندتَ إليه ثِقَرَهُمْ ، كان قُفْلاً فتّحه أمرُك ، وباباً أغلقه نهْيُك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينهُ وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصفه ، وملك المعدّلة ، فأعطاهم مالهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذئب بين صدورهم ، وأسكن لك في السّوء يداءً ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة المروق ، باسقة الفروع ، متماثلة في حواشي عوامتهم ، متمكنة من قلوب خواصّهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نفوه ، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدّوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عودٌ من غيَضَتِكَ <sup>(١)</sup> ، ونَبْعَةٌ من أرومتك ، فتّى السن ، كَهَلِ الحِلْم ، راجح العقل ، محمود الصّرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، وييسّط عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهندي ، فسّطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجوش إليهم ، ولا تمنّك صِراعة <sup>(٢)</sup> سنّه ، وحدّاته مؤلّده ، فإن الحِلْم والثقة مع الحدّاة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصم به ، من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأتقى ، كفراخ عتاق الطير ، المُخَكِّمة لأخذ الصيد بلا تدرّيب ، والعارفة لوجوه النّفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والثّوذة ، والرّفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مُستَحْكِم لكم ، متكاملٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

[١] الفيضة : الأجمة ومجبع الدجر في مفيض ماء . [٢] المراد حدّاة .

« أَفْتَاءُ <sup>(١)</sup> أَهْلِ بَيْتِكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلِ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا وُصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بِنَبِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجِيُوشِ ، وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَفْتَمِزُونَ بِهَا مِنْهُ ، وَيَحْتَقِرُونَ بِهَا فِيهِ ، وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي النَّهْوضِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالتَّجْدَةَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ <sup>(٢)</sup> وَالْهَيْبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينَ إِبْتِحَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ ، وَبِيَابِ الْمَهْدِيِّ - وَفَقَّهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيٌّ ، حَنِيكٌ ، <sup>(٣)</sup> صَيِّتٌ ، لَهُ نَسَبٌ زَاكٍ ، وَصَوْتُ عَالٍ ، قَدْ قَادَ الْجِيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالْمِلَقَةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلُّ الثَّقَةِ ، فَلَوْ لَآهَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ » .

قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبَتَ قَصْدَ الرَّمِيَّةِ ، وَأَيَّنْتَ إِلَّا عَصَبِيَّةً ، إِذْ رَأَيْتُ الْحَدَثَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ ؟ » .

قَالُوا : « لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَتَّرَ دُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمَ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرَى

[١] جمع فتى كَيْتَمٍ وَأَيْتَامٍ . [٢] الصوت والصفات والصيت : الذِّكْرُ الْحَسَنُ . [٣] مَحَنَتِكَ . [٤] هُوَ نَسِيجَ وَحْدِهِ : لَا نَظِيرَ لَهُ مُنْفَرِدٍ بِخِصَالِ مَحْمُودَةٍ لَا يَشْرَكَ فِيهَا غَيْرُهُ ، كَمَا أَنَّ الثُّوبَ النَّفِيسَ لَا يَنْسِجُ عَلَى مَنَوَالِهِ غَيْرُهُ ، أَيْ لَا يَشْرَكَ بِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي السَّيِّئِ .

عليه المقاديرُ من حوادث الأمور ، ورَيْبُ المنون <sup>(١)</sup> الْمُخْتَرِمَةُ لِخَوَالِي القرون ، ومواضى الملوك ، فكرِهنا شُسُوعَه <sup>(٢)</sup> عن مَحَلَّةِ الملك ، ودار السلطان ، ومقرَّ الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقرَّ الجنود ، وَمَعْدِنُ الجُود ، وَتَجْمَعُ الأموال ، التي جعلها الله قُطْبًا لِمَدَارِ الملك ، ومِصْنِيدة لقلوب الناس ، وَمَثَابَةٌ لِإِخْوَانِ الطمع ، وثَوَارِ الفتن ، ودَوَاعِي البِدْع ، وقُرْسان الضلال ، وأبناء الموت ، وقلنا إن وَجَّهَ المهدي وليَّ عَهْدِه ، فحدث في جيوشه وجنوده ، ما قد حدث بمجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يُعَقِّبَهُمْ بغيره ، إلا أن ينهَضَ إليهم بنفسه ، وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وهول شديد ، إن تنقَّست الأيام بمقامه ، واستدارت الحال بِإِمَامِهِ ، حتى يقع عِوَضُ لَا يُسْتَفْنَى عنه ، أَوْ يَحْدُثُ أمرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، صار ما بعده مما هو أعظم هَوَلاً ، وأجل خَطَرًا ، له تَبَعًا ، وبه متصلاً .

## ٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمرَ عليه ، نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ، ومَوَاقِعِ الأمور ، على سابقٍ من العلم ، ومحتومٍ من الأمر ، قد أنبأت به الكتبُ ، وَتَنَبَّأت عليه الرسلُ ، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا ، وَتَكَامَل بِحَذَافِيرِهِ <sup>(٣)</sup> عندنا ، فيه نَدْبَرٌ ، وعلى الله تتوكل ، إنه لَا بُدَّ لوليَّ عَهْدِي ، ووليَّ عَهْدِ عَقْبِي بعدي ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ البعوثُ ، ويتوجه نحوها بالجنود ؛ أما الأول فإنه يُقَدِّمُ إليهم رسله ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلَه ،

[١] النوى النية ( مؤنث ) والمخرمة : المهلكة ، والخوالى جمع خالية وهي الماضية .

[٢] شمع كنع شسما وشسوطا : يمد فهو شاسع وشسوع .

[٣] جمع حذفور كمصفورٍ أو حنفار كقرطاس وهو الجاذب .

ثم يخرج نَشِيطًا إليهم ، حَنِقًا عليهم ، يريد أن لا يدعَ أحدًا من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرَّ القتل ، وألبسه قِناع القَهَر ، وقلَّده طوق الذل ، ولا أحدًا من الذين عملوا في قصَّ جَنَاحِ الفتنه ، وإخماد نار البدعة ، ونُصرة وُلاة الحق ، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضله ، وجداولَ نَهْلِهِ ، فإذا خرج مُزْمِعًا به ، مُجْمِعًا عليه ، لم يَمِرْ إلا قليلًا حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكَدَحَت كُتبه ، ونَفَذَت مكايده ، فَهَدَّأت نافرَةُ القلوب ، ووقعت طائِرةُ الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظراً لهم ، وبراً بهم ، وتعطفًا عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم ، وفطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيتَ الله الحرام ، وسلب تجارهم رِزقَ الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجِّه إليهم ، ثم تعتقد له الحُجَّة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبذَلِ ما يسألون ، فإذا سَمَحَت الفِرَق بقراباتها له ، وَجَنَحَ أهل النواحي بأعناقهم نحوه ، فَأَصْنَعَت إليه الأفتدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقَدِمَت عليه الوفود ، قَصَدَ لأول ناحية بَحَثَت <sup>(١)</sup> بطاعتها ، وألْقَتْ بأزمِئتها ، فألبسها جَنَاحِ نعمته ، وأنزلها ظِلَّ كرامته ، وخصَّها بعظيم حَبائِه <sup>(٢)</sup> ، ثم عمَّ الجماعة بالمُعْدِلَةِ ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فِرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركتُه ، ووصلت إليها منفعتُه ، فأغنى فقيرها ، وَجَبَرَ كَسِيرها ، ورفَعَ وضيعها ، وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وَتُبْطِئُ عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعَثُ ، وَأَبْطَأُ مَنْ يوجِّه ، فيصطلي عليها مَوْجِدَةٌ ، ويبتغى لها عِلَّةٌ ، لا يلبث يَجِدُ <sup>(٣)</sup> بحق يلزمهم ، وأمر يجب عليهم ؟ فتستلحمهم

[١] يجمع بالحق بخوعاً : أقربه وخضع له . [٢] عطائه . [٣] يعضب .

الجيش ، وتأن كلهم السيوف ، ويستحز بهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويفنيهم  
التبغ ، حتى يُخرب البلاد ، ويؤتيم الأولاد ، وناحية لا يبسط لهم أماناً ، ولا يقبل  
لهم عهداً ، ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب  
الفتنة ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب  
هزأهم ، في أجج البحار ، وقُلل الجبال ، وسَحِيل<sup>(١)</sup> الأودية ، وبطون الأرض ،  
تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً ، حتى يدع الديار خراباً ، والنساء أيتام ، وهذا أمر  
لا نعرف له في كتبنا وقتاً ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولى  
عهدي ، فهذا أوان تَوَجَّهه إلى خراسان ، وحلوله بمجرَّجان ، وما قضى الله له من  
الشخص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مَغَبَّةً ، وله بإذن الله عاقبة من المقام  
بحيث يُغمر في لُجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم  
فضله ، ويتذأب<sup>(٢)</sup> مَشْرِقُ نُوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فن يصحبه  
من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ » .

## ٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن ولىَّ عهدك أصبحَ لأمتك ، وأهل ملتك ، علماً قد تثنت  
نحوه أعناقها ، ومدَّت سَمَتَه أبصارها . وقد كان اقرب داره منك ، ومحل  
جواره لك ، عَطَل<sup>(٣)</sup> الحال ، غفل الأمر ، واسع العذر . فأما إذا انفرد بنفسه .  
وخلا بنظره . وصار إلى تديره . فإن من شأن العامة أن تتفقّد مخرج رأيه .

[١] الحيل : بطن السيل . [٢] يضطرب .

[٣] عطل ( كفرح ) من المال والأدب خلا فهو عطل كقفل بعنق .

وَتُسْتَنْصِتْ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، وَتَسْأَلُ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ ، فِي بَرِّهِ وَبَرِّ مَرَحْمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ <sup>(١)</sup> وَمَعْدَلَتِهِ ، وَتَدِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ ، وَوُزْرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ أَغْلِبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْلَكَ الْأُمُورَ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ ، وَعَظْفًا لَأَهْوَاءِهِمْ . فَلَا يَفْتَأُ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهِ - نَازِلًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى عَمْدُ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَسُدُّ أَرْكَانَ وَلَايَتِهِ ، وَيَسْتَجْمَعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ . وَأَظْهَرُ لِحِمَالِهِ ، وَأَفْضَلُ مَغَبَّةٍ لِأَمْرِهِ ، وَأَجَلُ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ ، وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ . وَأَبْلَغُ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ مَرَحْمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فَعْلِهِ . وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ . وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنْفٍ يَخْتَارُ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ . وَفَقَهَاءُ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنَسُ الرِّعِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تَسَهَّلَ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ ، وَفَتَحَ بَابَ الْمَعْرُوفِ . كَمَا قَدْ كَانَ قُتِحَ لَهُ ، وَسُهِّلَ عَلَيْهِ .

قال المهدي : صدقتَ ونصحتَ . ثم بعث في ابنه موسى ، فقال :

## ٦٧ - مقال المهدي

« أَيُّ مُبْنِيٍّ . إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسَمْتَ وَجْهَ الْعَامَةِ نُصْبًا ، وَلِثْنِي أَعْطَافِ الرِّعِيَّةِ غَايَةً ، فَحَسَنُتُكَ شَامِلَةٌ . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ . فَاحْتَمِلْ مُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . كَأَفْيُكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَتَرَةً مِنْ رِسَالِهِ .



وبقايها من صفوة خلقه ، وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ،  
وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ  
أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْخَلَلَ ، وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَأَنْ  
أَهْلَ خِرَاسَانٍ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ  
بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْعِظَائِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَّتِهِمْ ،  
وَنُرَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ  
الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتْ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ  
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ  
الْبِدْعِ . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَّوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ،  
وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ ، وَرَفَعَ  
بِهَا ضَعْفَتَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ،  
بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَمُخَالَفَةِ الْأَسَى ، وَجَهْدِ الْبَأْسِ  
وَالضَّرِّ . فَظَاهَرُوا عَلَيْهِمْ لِبَاسَ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ اعْرِفْ  
لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَا تَبَقَّ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنَاصِحَتِهِمْ ،  
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِحَسَنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمَسِيئَتِهِمْ .

أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا  
بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَأَجْعَلْ أَعْمَالَ  
الْعُذْرِ وَوُلَاةَ الْحُجَجِ مُقَدَّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَنَصَفَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ  
تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تَوَلِيَهُ  
أَمْرَهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ لُحِّسَ مُجِدَّتَ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُذْرَتَ .

هؤلاء عمال المذرة، وولاية الحجج، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا، وبعرا حبلك متعلقا، رجلا ن: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح، والآخرة له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصارييف الخطوب، يضع آدابا نافعة، وآثارا باقية، من محاسنك وتحسين أملك، وتحلية ذكرك، فتستشير في حربك، وتدخله في أملك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محلتى، ويرعى في خضرة جناني، ولاندع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقواما يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تورد، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر، فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي إلى الصواب قلبك، وهاديا ينطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد (١).

( العقد الفريد ١ : ٥٧ )

[١] ملاحظة: أقول: وهذا يتنافى ما ورد في التاريخ: إذ المعروف أن المهدي توفي في الحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي توفي في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى بعد وفاة المهدي والهادي، مع أنه ذكرى سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإنبات مقالاتهم في كتاب، أى أنها كتبت في المجلس الذي حدث فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضا أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وبقيت محفوظة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أسس تشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الفنية المنسقة .

## ٦٨ — ابن عتبة يعزى المهدي ويهنئه

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة<sup>(١)</sup> مع الخطباء على المهدي ، فسلم فقال :  
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما  
خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عظمى  
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،  
وأحتسب عند الله أفضل الرزية » . ( البيان والنبين ٢ : ١٠٣ ، والقدر المريد ٢ : ٣٥ )

## ٦٩ — يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup> أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :  
لبيك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروب لوجدتك ، شري بخصمتك ، قال : « ألم أرفع  
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى  
ونعمي ما لم أجذ عندك طاقة لحمله ، ولا قياما بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى  
أظهر<sup>(٣)</sup> عليك ، ورد كيذك إليك ! » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ، وإن  
كان بسعاية الباغين ، ونحائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا حائذ  
بكرمك ، وعميم شرفك » .

[١] وفي القدر المريد « أبو العيناء المحدث » .

[٢] وكان المهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط  
عليه . وسبب ذلك أنه دفع إليه رجلا من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفيني أمره ، فلما صار العلوي في  
يده ، قال له : يا يعقوب تلقى الله بدمي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضى الله عنها ، وليس  
لي إليك ذنب ؟ فرق له ، وخلي سبيله ، ونمى الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طالب العلوي حتى ظهر به ،  
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال :  
نعم ، فاستحلقت ، خلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يمر جوابا ، فأمر بحبسه في بئر مظلمة ، وما زال  
محبوسا حتى هفا عنه الرشيد وتوفى سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أطان عليك .

فَقَالَ : لَوْلَا الْحِنْثُ <sup>(١)</sup> فِي دَمِكَ لَأُبَسِّتَكَ قَيْصًا لَا تَشُدُّ عَلَيْهِ أَزْرَارًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ، فَتَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : « الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ ، وَالْمُودَةُ رَحِيمٌ ، وَمَا عَلَى الْعَفْوِ نَدَمٌ ، وَأَنْتَ بِالْعَفْوِ جَدِيرٌ ، وَبِالْمَحَاسَنِ خَلِيقٌ » ، فَأَقَامَ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

## ٧٠ - رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وَقَدِمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، فَقَالَ : « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ نَأْيُنَا عَنْ الْعَرَبِ ، وَشَغَلَتْنَا الْحُرُوبُ عَنْ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ، فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ ، دُونَ التَّفْسِيرِ » ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : أَنْتَ أَخْطَبُ مَنْ سَمِعْتَهُ . ( الصناعتين ص ٤٠ )

## ٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دَخَلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ :

« إِنَّهُ لَمَّا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّجَّ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُنَّا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكَثِمَانِ ، وَلَا سِيَّامَا حِينَ اتَّسَمَّتْ بِمِيسَمِ التَّوَاضُعِ ، وَوَعَدَتِ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثْرَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهِ ، فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمْحِيصِ ، لِيَتِمَّ مُؤَدِّيْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ يَزِيدَنَا تَحْمِيصُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ ، وَيُحْلِلَنَا حِلْيَةَ

[١] فِي الْأَصْلِ « الْحَسْبُ » وَأَرَى أَنَّهَا مَحْرُوفَةٌ مِنْ « الْحَنْثِ » وَهُوَ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ وَالْإِثْمُ .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَجَّبَ الله عنه العِلْمَ ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إليه العلم وأدْبَرَ عنه ، ومن أَهْدَى اللهُ إليه علماً فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هَدْيَةِ الله وقصَّرَ بها ، فأَقْبَلَ ما أَهْدَى اللهُ إليك من ألسنتنا ، قبولَ تحقيق وعمل ، لا قبولَ شُبهةٍ ورياء ، فإنه لا يَعْدَمُك منا إعلامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُوَاطَاةٌ على ما تَعْلَمُ ، أو تذْكيرٌ لك من غفلةٍ ، فقد وَطَّنَ الله عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزيةً عما فات ، وَتَحْصِينًا من التَّماذِي ، ودلالةً على المخرج ، فقال : « وَإِذَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأُطْلِعَ اللهُ على قلبك ، بما يَنُورُ اللهُ به القلوبَ ، من إِيثار الحق ، ومنابذة الأهواء فَإِنَّكَ إن لم تفعل ذلك ، يُرْ أَثْرُكَ وَأَثَرُ اللهِ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

( القدر الفريد ١ : ٣٠٣ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٨١ )

## ٧٢ — عظة شبيب بن شيبه للمهدى

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ <sup>(١)</sup> للمهدى : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْأَقْسَامَ فِي الدُّنْيَا ، جَعَلَ لَكَ أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْآخِرَةِ ، إِلَّا مِثْلَ مَا رَضِيَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَأَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَعَلَيْكُمْ نَزَاتٌ ، وَمِنْكُمْ أُخِذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرَدُّ » . ( القدر الفريد ١ : ٣٠٧ )

## ٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابتنته

لَمَّا مَاتَتِ الْبَاثُوقةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ ، جَزَعَ عَلَيْهَا جَزَعًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، فَجَلَسَ لِلنَّاسِ يَعْزُونَهُ ، وَأَمَرَ أَلَّا يُحْجَبَ عَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّعَاذِي ،

[١] هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأَتم الملقب بالتميمي وهو ابن عم خالد بن صفوان .

توفي في حدود سنة ١٧٠ هـ .

وَاجْتَهَدُوا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَنْتَقِدُ هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا تَعْزِيَةً أَوْجَزَ ، وَلَا أَبْلَغَ ، مِنْ تَعْزِيَةِ شُبَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ :

« أَعْطَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رُزِئْتَ أَجْرًا ، وَأَعَقَبَكَ صَبْرًا ، وَلَا أَجْهَدَ اللَّهُ بِلَاءَكَ بِنِقْمَةٍ ، وَلَا تَزَعُ مِنْكَ نِعْمَةً ، ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرُكَ مِنْهَا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ خَيْرُهَا مِنْكَ ، وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَسَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ <sup>(١)</sup> » .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢١ )

#### ٧٤ — خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قِيلَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ إِنْ شُبَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ يَسْتَعْمَلُ الْكَلَامَ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمَنْبَرَ فَمَا لَرَجَوْتَ أَنْ يَفْتَضَحَ ، فَأَمَرَ رَسُولًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَلَا إِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةً : الْأَسَدَ الْخَادِرَ <sup>(٢)</sup> ، وَالْبَحْرَ الزَّاخِرَ ، وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ ، وَالرَّيِّعَ النَّاضِرَ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتُهُ وَمَضَاهُ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ جُودُهُ وَعِطَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورُهُ وَضِيَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الرَّيِّعُ النَّاضِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ مُحْسِنُهُ وَبَهَاءُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
وَمَوْقِفٍ مِثْلَ حَدِّ السِّيفِ قَتُّهُ بِهِ      أَهْمِي الذَّمَّارُ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ <sup>(٣)</sup>  
فَبَا زَلِقْتُ ، وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً      إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

( العقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٣ : ٢٠٩ )

[١] رَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ أَنَّ شُبَيْبًا هَزَى بِهَذَا الْمَقَالَ الْمَنْصُورَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ (العقد الفريد ٢ : ٣٥٥) .  
[٢] الْخَادِرُ : أَجْعَلُ الْأَسَدَ مِنْهُ يُقَالُ أَسَدٌ خَادِرٌ ، وَأَخْذَرُ الْأَسَدَ لَزِمَ الْأَجْعُ . وَأَخْذَرُ الْعَرِينِ الْأَسَدُ : سَتَرَهُ فَهُوَ مَخْذَرٌ بِكسر الدال وفتحها . [٣] الذَّمَّارُ : مَا تَجِبَ حَيَاتُهُ .

## ٧٥ - كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في الغربة ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدى يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله

بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . ( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ )

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال :

« رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

## ٧٦ - خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج

هرثمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقعدته للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد

ابن برمك - وكان محبوباً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد

في تلك الليلة<sup>(١)</sup> ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن

صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة

وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله يمتن ولطفه ، من عليكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

---

[١] وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويخلع أخاه هرون . وسمى إلى الهادي يحيى

ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يفسده يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى وأمر بحبسه .

وَمُعَدِّنِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانِ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمِهِ  
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ التَّامَّةُ ، أَنْ جَمَعَ أُلُفَّكُمْ ،  
وَأَغْلَى أَمْرَكُمْ ، وَشَدَّ عَضُدَكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوَكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ أُولَى  
بِهَا وَأَهْلُهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُنْتُمْ أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ الْمُرْتَضَى ،  
وَالذَّابِّينَ بِسَيْفِهِ الْمُنْتَضَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَهُمْ  
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أُمَّةَ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،  
وَالْآكِلِينَ الْغَنَى وَالْمُسْتَأَثِّرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيُرُوا فَيَغْيُرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِي  
الْإِمَامَ ، فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَءُوفًا رَحِيمًا ،  
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيئَتِكُمْ بِالْعَفْوِ عَظُوفًا ، وَهُوَ أَمْتَعُهُ اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ  
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،  
يَعِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةَ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَدَّمَ أَعْطِيَاتِكُمْ فَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،  
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي بُيُوتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ  
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِذَلِكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطِيَاتِكُمْ ،  
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّه أَنْ يَحْدُثَ فِي النُّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ  
مِنَ الْعُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَامِهَا <sup>(١)</sup>  
وَكَثَرَتِهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدَّدُوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ  
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ  
عَلَيْكُمْ ، أَيُّدُهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النِّعْمَاءِ ،



لعلكم ترحمون ، وأعطوا صَفْقَةَ أيمانكم ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وخاء عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وتولاكم وِلَايَةَ عِبَادِهِ الصالحين .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ٤٨ )

## ٧٧ - خطبة هرون الرشيد (توفى سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه ، مفلّحين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه على قَترَةٍ من الرسل ، ودُرُوسٍ<sup>(١)</sup> من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، بشيراً بالنعيم المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ، فأدّى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذركم يوماً تشخص<sup>(٢)</sup> فيه الأبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التناوب<sup>(٣)</sup> ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، يوم لا يستعذب من سيئة ، ولا يُزداد من حسنة ، يوم الآزفة<sup>(٤)</sup> .

إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ<sup>(٥)</sup> وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَأَتَقُوا يَوْمَما تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

[١] «دروس : اعاء . [١] شخص بغيره كنع : فتح عينيه ، وجعل لا يطرف .

[٢] يوم القيامة ، ومضى بذلك لأن أهل الجنة تنبئ فيه أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

[٣] القيامة ، من أذف كفرح : دنا وقرب . [٤] بمسارقتها النظر إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُتْرَكَوا سُدىً ، حصَّنوا إيمانكم بالأمانة ،  
 ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا  
 زكاة له » . إنكم سَفَرٌ <sup>(١)</sup> مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار  
 بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،  
 فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهذا المُنْبِئِينَ .  
 قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ  
 يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأزْدَت <sup>(٢)</sup> ، وأوبقت كثيراً ، حتى  
 أكذبتهم منايهم ، فتناوشوا <sup>(٣)</sup> التوبة من مكان بعيد ، وحِيلَ بينهم وبين ما  
 يَشْتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب الأمثال ،  
 فرغَّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالى جيلاً فجيلاً ،  
 وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن  
 بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ،  
 وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،  
 « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن  
 الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جماعة المسافرين . [٢] أهلك وكذا أوبقت . [٣] تناولوا

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أُمِرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . ( العنق الفريد ٢ : ١٤٧ )

## ٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :  
« يَا أَحْمَرُ<sup>(٢)</sup> ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهْجَةً نفسه ، وَثَمَرَةَ قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطاً ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعت أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تُفيد إياها ، من غير أن تُحزنه ، فتُميت ذهنه ، ولا تُتعبن في مساحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومته ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » . ( مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٢ )

## ٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي ( قتل سنة ١٨٧ هـ )

وهاجت العصبية بالشأم بين أهلها في عهد الرشيد ( سنة ١٨٠ هـ ) وتفاقم أمرها ، فاغتم لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أفيك بنفسى ، فشخص في جلة القواد الكراع والسلاح ، فاتاهم فأصلح بينهم ، وقتل زواقيهم<sup>(٢)</sup> والمتلصصة منهم ، ولم يدع بها رحماً ولا فرساً ، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة ، وأطفأ تلك النائرة .

[١] هو علي بن المبارك الأحر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالنعو واتساع لفظه ، ومات سنة ٢٠٦ ، أو سنة ٢٠٧ . انظر ترجمته في « نزهة الألبا في طبقات الأدبا » ص ١٢٥ .  
[٢] الزواقي : اللصوص .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبَّل يديه وَرجليه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :  
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى آنَسَ وَحشتى ، وَأَجاب دعوتى ، وَرَحِمَ  
 تَصَرُّعِي ، وَأَنَساً <sup>(١)</sup> فى أَجلى ، حتى أَرانى وَجه سيدى ، وَأَكْرمنى بِقُرْبِهِ ، وَامْتَنَّ  
 علىَّ بِتَقْبِيل يده ، وَرَدَّنِى إلى خدمته ، فوالله إِنْ كُنْتُ لأَذْكر غَيْبَتِي عنه ،  
 وَنَخْرَجِي وَالْمَقَادِير التى أَزْعَجْتَنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِمَعاصِي لِحَقَّتَنِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ  
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يا أمير المؤمنين - جعلنى الله فداك - لَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
 عَقْلِي ، إِشْفَاقاً على قُرْبِكَ ، وَأَسَافاً على فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَعْجَلَ بِي عن إِذْنِكَ  
 الاِشْتِياقُ إلى رُؤْيَيْكَ ، وَالْحَمْدُ لله الذى عصمَنِي فى حال الغَيْبَةِ ، وَأَمْتَعَنِي بِالْعَافِيَةِ ،  
 وَعَرَّفَنِي الإِجَابَةَ ، وَمَسَكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فلم  
 أَشْخَصْ إِلا عن رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلا عن إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ  
 دُونَكَ ، وَالله يا أمير المؤمنين - فلا أعْظَم من اليمين بالله - لقد عَايَنْتُ مَا لو  
 تُعْرَضُ لى الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَاخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتَهَا عِوَضاً من  
 الْمَقَامِ مَعَكَ »

ثم قال له بِعَقِبِ هذا الكلام فى هذا المقام :

« إِنْ الله يا أمير المؤمنين لم يَزَلْ يُبْلِيكَ <sup>(٢)</sup> فى خِلافتِكَ ، بِتَدْرِ ما يَعْلَمُ من  
 نِيَّتِكَ ، وَيُؤْرِيكَ فى رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أُمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحْ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيُجْمِعْ  
 أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَعَثَهُمْ ، حِفْظاً لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ  
 بِطَاعَتِكَ ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ مَرْضَاتِكَ ، وَاللهُ الْحَمْدُ على ذلك وهو مُسْتَحِقُّهُ ،  
 وَفَارَقْتُ يا أمير المؤمنين أَهْلَ كُورِ الشَّامِ وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ على

ما فرط من معصيتهم لك ، متمسكون بحبلك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلمك ، مؤثّلون فضلك ، آمِنون بأدركك ، حالهم في ائتلافهم كحالهم كانت في اختلافهم ، وحالهم في ألفتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتفمّده <sup>(١)</sup> لهم ، سابقٌ لمعذرتهم ، وصلةٌ أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدّمٌ عنده لمسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كنتُ قد شَخَصْتُ عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفى مُراقهم <sup>(٢)</sup> ، وأصلح دَهْمَاءَهُم <sup>(٣)</sup> ، وأولاني الجليلَ فيهم ، ورزقني الانتصارَ منهم ، فإِذا ذلك كله : إلا يبركتك ويُمنك وريحك <sup>(٤)</sup> ، ودوام دَوْلَتِكَ السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمتُ إليهم إلا بوصيتك ، وما حاملتهم إلا بأمرك ، ولا سِرْتُ فيهم إلا على حَدٍّ ما مثلته لى ورسمته ، ووقفتنى عليه ، والله ما انقادوا إلا لِدَعْوَتِكَ ، وتَوَحَّدِ <sup>(٥)</sup> الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سَطْوَتِكَ ، وما كَانَ الذى كَانَ منى ، وإن كنتُ قد بذلتُ جهدى ، وَبَلَّغْتُ مجهودى ، قاضيا بعضَ حَقِّكَ علىّ ، بل ما ازدادت نعمتك علىّ عِظَمًا ، إلا ازددتُ عن شكرِكَ عَجْزًا وضعفًا ، وما خَلَقَ الله أحداً من رعيّتك ، أبعدَ من أن يُطَمِعَ نفسه فى قضاء حَقِّكَ منى ، وما ذلك إلا أن أكون باذلاً مُهْجَتى فى طاعتك ، وكلّ ما يقرب إلى موافقتك ، ولكنى أعْرِفُ من أياديك عندى ما لا أعْرِفُ مثلها عند غيرى ، فكيف بشكرى ! وقد أصبحتُ واحدَ أهل دهرى ، فيما صنعتَه فى وبنى ؟ أم كيف بشكرى ! وإنما أقوى على شكرِكَ يا كرامك

[١] تممده الله برحمته : عمره بها . [٢] جمع مارق : وهو الخارج الخائد .

[٣] الدهماء : جماعة الناس . [٤] قوتك .

[٥] توحده الله تعالى بعصمته : عصمه ولم يكله إلى غيره .

إيأي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتني ، لم يأت على ذلك عدّي ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفي دون كل كهف لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضي لي ما أَرْضاه لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تُنسيني ما تقدم من إحسانك إلي ، بما تُجدّده لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدّمني بطولك على جميع أكفائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لي ؟ وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ<sup>(١)</sup> من عُشر عَشِيرِهِ - أن يعوّلي مكافأتك عني ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يَقْضِي عَنِّي حَقَّكَ ، وجليل مَنِّتِكَ ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٦٦ )

## ٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيّد

روى صاحب العقد قال :

« كانت أم جعفر بن يحيى<sup>(٢)</sup> - وهي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قَحْطَبَة - أرضعت الرشيّد مع جعفر ، لأنه كان رُبِّي في حجرها ، وغدّي برِسْلها<sup>(٣)</sup> ، لأن أمه ماتت عن مهّده ، فكان الرشيّد يشاورها مُظْهِراً لِإِكْرَامها ، والتبرك برأيها ، وكان آلي وهو في كفالتها أن لا يَحْجُبها ، ولا استشفَعته لأحد إلا

[١] الشقص : السهم والنصيب ، والعشير : جزء من عشرة كالمشار والعشر .

[٢] كان البرامكة قد استأثروا بشئون الدولة وأموالها ، وغلبوا الرشيّد على سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم في ذلك طويل ، ليس ها هنا موضعه - فمزّم على نكبتهم ، حتى انتهز فرصة رحوعه معهم من الحج سنة ١٨٧ ، فقتل جعفرًا ليلاً في طريقه ، وقبض على يحيى وابنه الفضل وبقية البرامكة ، وحبسهم في سجن الرنادقة إلى أن ماتوا فيه ، واستصنى أموالهم وضياعهم . [٣] الرسل : اللب .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فككت ، ومُبتهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه <sup>(١)</sup> ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومثت <sup>(٢)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ، محتفية <sup>(٣)</sup> في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظُر <sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غذتها ، وكربة فرجتها ، وعوزة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمد المجلس ، وأكب على تقبيل رأسها ، ومواضع ثدييها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعذو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحردك <sup>(٥)</sup> بنا البهتان ، وقد رييتك في حجرى ، وأخذت برضاك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : ظنرك يحى ، وأبوك بعد أليك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرضه للتحف في شأن موسى أخيه <sup>(٦)</sup> ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمره

[١] أى من الحج . [٢] توسلت . [٣] احتى : متى حافيا .

[٤] الطثر : العاطفة على ولد غيرها ، المرصعة له ، في الناس وغيرهم ، للذكر وللأنثى .

[٥] يفضبك . [٦] قدما أن الهادى كان قد اعتزم خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى الهادى يحيى بن خالد ، وأنه يفسد عليه أخاه الرشيد ، حبسه وتم بقتله ، ويروى أنه قال للهادى في خلع الرشيد لما كلمه فيه : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حملت الناس على نكت الأيمان ، هانت عليهم أمانتهم ، وإن تركتهم على يعة أخيك ، ثم بايعة لجعفر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حُمٍّ<sup>(١)</sup> ، وغضب من الله نَفَذَ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَمْحُورُ  
اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ<sup>(٢)</sup> » قال : صدقتِ فهذا مما لم يَمْحُورْ  
اللهُ ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟  
فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

( وإذا النية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع<sup>(٣)</sup> )

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيى بتيممة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول<sup>(٤)</sup>

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ  
فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعمتي يمينك فانظر رأي كف تبذل<sup>(٥)</sup>

ذلك أوكد لبيعته « فقال : صدقت ونصحت ، ولى في هذا تدبير ، ولما أمر بحبسه رفع إليه بحبي رقعة .  
إن عندي نصيحة ، مدعا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخلى ، وأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرأيت  
إن كان الأمر — أسأل الله ألا نبلغه ، وأن يقدمنا قبله — أظن أن الناس يسلمون الخليفة لجعفر ، وهو لم  
يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وعزوم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ،  
أفتأمن أن يسموا إليها أهلك ، وجلتهم مثل فلان وفلان ، ويطعم فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال  
له : نهيتني يا يحيى « وقال له : لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تقدمه له ؟ فكيف بأن  
تحله عنه ، وقد عقده المهدى له ؟ ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ جعفر  
وبلغ الله به ، أتيت به بالرشيد نخل نفسه ، وكان أول من يباعه ويعطيه صفقة يده ، قيل قبل الهادي قوله  
ورأيه وأسر بطلاقه . [١] حم : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التائم جمع تيممة : وهي العوذة التي تعلق على الصبي دنعا للعين ، أو الأرض والبيت لأبد ، ذويب الهذلي .

[٤] هو الأخطل . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لمن بن أوس المزني مطلعها :

لمرك ما أدري ، ولاني لأوجل على أينما تعدو النية أول ؟ .



قال هرون : رضيت ، قالت : فتهب لي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجدْهُ <sup>(١)</sup> الله لِفَقْدِهِ » فأكتب هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لِّلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أليتك <sup>(٢)</sup> ما استشفعت إلا شفعتي . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً ، فلما رآته صرّح بمنعها ، ولاذ <sup>(٣)</sup> عن مطلبها ، أخرجت حقاً من زمرّدة <sup>(٤)</sup> خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خفضته <sup>(٥)</sup> وذوائبه وثناياه ، قد غمست جميع ذلك في المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ايجبي عبدك ، فأخذ هرون ذلك فليّمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، وصرّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق ، وقال لها : لَحَسَنٌ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ ، قالت : وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي به ألا تحجبنى ولا تتمتهنى <sup>(٦)</sup> ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحزنه . [٢] الآية : القسم . [٣] أى لم يجبه . [٤] الرمرد والزمرد بالذال والذال . [٥] خفض الجارية كقرب خفضاً ، وهو كالخنان للعصى ، وقيل : خفض الصبي خفته ، فاستعمل في الرجل ، والأعراف أن الخفض للرأ ، والخنان للعصى ، يقال للجارية خفضت ، والغلام ختن . [٦] امتننه : ابتذله .

أنْ نشتريه محكّمةً فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غيرَ مُستقيمةٍ لك ، ولا راجعةٍ عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يُسَخِّطْكَ ، قال : يا أم الرشيد أَمَا لى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين ، أنت أعزُّ علىّ ، وهم أحبُّ إلىّ . قال : فتحكّمى فى تَمْنيّةٍ بغيرهم ، قالت : بلى قد وهبْتُكَه ، وجعلتك فى حلٍّ منه ، وقامت عنه ، وبقي مَبْهُوتًا مَائِحِيرًا <sup>(١)</sup> لفظةً .

( العقد الفرید ٣ : ٢٣ )

### ٨١ — خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لما رضى الرشيد عن يزيد بن يزيد <sup>(٢)</sup> أذن له بالدخول عليه ، فلما مثّل بين يديه قال : « يا أمير المؤمنين ، الحمد لله الذى سهّل لى سبيلَ الكرامة بلقائك ، وردّ علىّ النعمة بوجه الرضا منك ، وكشف عنى ضبابة الكرب بإفضالك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سُخْطِكَ جزاءَ المحسنين المراقبين ، وفى حال رضاك جزاءَ المنعمين الممتنّين المتطوّلين ، فقد جعلك الله — وله الحمد — تَمَيَّنْتُ <sup>(٣)</sup> تحرُّجًا عند الغضب ، وتمنّيتُ تطوُّلاً بالنعم ، وتستبقي المعروف عند الصنائع <sup>(٤)</sup> تفضلاً بالعفو » .

( العقد الفرید ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبرى ١٠ : ١١٧ وزهر الآداب ٢ : ٢٨٧ )

[١] يحير : يردّ . [٢] وذلك أن الوايد بن طريف الشارى خرج فى عهد الرشيد بالجزيرة ، واشتدت شوكته ، وكثر تبعه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، فجعل يحاذله ويأكّره ، وكانت البرامكة منحرمة عن يزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم (لأنه شيباني مثله) وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعد ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مفضّب ، يقول فيه : « لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناخرة الوليد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حمل يزيد على الوايد وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد ، فلما انصرف يزيد بالطفر ، حجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحقّ أمير المؤمنين لأصيفنّ وأشتونّ على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل ، فلما رآه الرشيد ضحك وسرّ ، وأقبل يصيح مرحبًا بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وبقائه صمّده ( راجع أخباره فى الأغاني ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبرى ١٠ : ٦٥ ) .

[٣] وفى رواية الطبرى « تنيب » . [٤] وفى الطبرى : « وتمفو عن المسىء » .

## ٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح<sup>(١)</sup> (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ،  
وَأَشْبَاهَكُمْ فِي الْأَجْسَامِ ، فَحَذَرَهُمْ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ ،  
يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرْنَاهُمْ ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا لَكُمُ الْفِتْنُ ،  
فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْ يَتَصَرَّفُونَ ؟ جُثَّتْ مَائِلَةً ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تَشْبَثُونَ<sup>(٢)</sup> الْفِتْنَ ،  
وَتَوْلُونَ الدُّبْرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرِيئَتُكُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ مَغْزَاكُمْ ،  
أَمَّا وَحُرْمَةُ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرَنَّ خِيفًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا تُوسِعَنَّكُمْ إِرْغَامًا وَنَكَالًا .

( العقد الفريد ٢ : ١٤٦ )

## ٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
قَدْ أَصِيبَ اللَّيْلَةُ بِابْنِ لَهْ ، وَوُلِدَ لَهُ آخَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ ، وَلَا سَاءَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بِهَذِهِ ، مَثُوبَةٌ عَلَى  
الصَّبْرِ ، وَجَزَاءٌ عَلَى الشُّكْرِ » .

( العقد الفريد ٢ : ٣٥ )

## ٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَّبَ<sup>(١)</sup> لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَاتِبُهُ « قُمَامَةُ » فَسَمِعَا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ .  
وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ  
وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفِّرُ

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولي للرشيد بلاد الجزيرة والشام وغيرها

[٢] تَشْبَثُوا : الحلقه يطله الطعن والرمى عليها . [٣] طَادَاهُ .

بالنعمه ، وَجُحوداً لِّجَلِيلِ الْمِنَّةِ والتَّكْرِيمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُؤِثْتُ<sup>(١)</sup> إذن بالندم ، وتعرَّضْتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بغيُّ حاسِدٍ ، نافَسَنِي فيكَ مودةَ القَرابةِ ، وتقديمِ الولايةِ ، إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أُمَّتِهِ ، وأَمِينِهِ على عِثَرَتِهِ ، لك عليها فرضُ الطَّاعةِ وأداءُ النصيحةِ ، ولها عليك العدلُ في حُكْمِهَا ، والتَّثبتُ في حَادِثِهَا ، والغُفرانُ لذُنُوبِهَا » ، فقال له الرشيد : « أَتَضَعُ لِي من لسانِكَ ، وترفعُ لِي من جَنَانِكَ ؟ هذا كَأَتْبُكَ قِامةً ، يُخْبِرُ بِغَلَّتِكَ ، وفسادِ نيتِكَ ، فاسْمَعْ كلامَهُ » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ<sup>(٢)</sup> ، ولعله لا يقدر أن يَعْضَمَنِي<sup>(٣)</sup> ولا يَبْهَتَنِي بما لم يَعْرِفَهُ مِنِّي » ، وَأَخْضِرَ قِامةً ، فقال له الرشيد : تكلم غير هائبٍ ولا خائفٍ ، قال : « أقول إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذاك يا قِامة ؟ قال قِامة : نعم ، لقد أردتَ خَتْلَ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف لا يكذب على من خلفي ، وهو يَبْهَتَنِي في وجهي » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بِعُتُوكَ ، وفساد نيتك ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فَبِمَ تدفعهما عنك ؟ » ، فقال عبد الملك : « هو مأمور ، أو عاقٌّ مجبور ، فإن كَانَ مأموراً : فَعَذُورٌ ، وإن كَانَ عاقاً : ففاجر كفور ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بعداوته ، وحذَّر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فنهض الرشيد وهو يقول : « أَمَا أُنْزِكُ فَقَدْ وَضَحَ ، ولكني لا أَعْجَلُ حتى أعلم الذي يُرْضِي الله فيكَ ، فإنه الحكم بيني

[١] رجعت . [٢] أى ما يعتقده . [٣] عضه كنع : كذب ونم ، وعضه فلانا : بهته وقال فيه ما لم يكن . [٤] ختله : خدعه .

وبينك » ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حَكَمًا ، وبأمر المؤمنين حَاكِمًا  
فإني أعلم أنه يُؤثِّرُ كتابَ الله على هواه ، وأمرَ الله على رضاه » .

\* \*

فلما كَانَ بعد ذلك جلس مجلسًا آخر ، فسَلَّمَ لما دخل ، فلم يردَّ عليه ، فقال  
عبد الملك : ليس هذا يومًا أحتجُّ فيه ، ولا أجاذب منازعًا وَخَصْمًا . قال : ولم ؟  
قال : لأنَّ أوَّلَه جَرَى على غير السُّنَّة ، فأنا أخاف آخرَه ، قال : وما ذاك ؟ قال :  
لم تُردِّ على السلام ، أنصِفْ نَصْفَةَ العوامِّ ، قال : السلام عليكم اقتداءً بالسنة ،  
وإيثارًا للعدل ، واستعمالًا للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال :  
وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُراد

ثم قال : « أما والله لكأني أنظرُ إلى شؤوبِها <sup>(١)</sup> قد تَمَّع ، وعارضِها <sup>(٢)</sup> قد لَمَّع ،  
وكأني بالوعيد قد أوزى نارًا تَسْطَع ، فأقْلَع عن بَرَاجمٍ <sup>(٣)</sup> بلا مَعَاصِمٍ ، ورءوسٍ  
بلا غَلَاصِمٍ <sup>(٤)</sup> فَمَهْلًا مَهْلًا ، فَبِيَّ والله سَهْلٌ لكم الوَعْرُ ، وصَفَا لكم الكَدِرُ ،  
وأَلَقْتُ إليكم الأمورُ أُنْدَاءً <sup>(٥)</sup> أَرَمَّتْهَا ، فنَذَارٍ لكم نَذَارٍ قبل حلول داهيةٍ خَبُوطٍ  
باليد ، لَبُوطٍ <sup>(٦)</sup> بالرجل » . فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولَّاكَ ،  
وفي رعيته التي استرعاكَ ، ولا تَجْعَلْ الكُفْرَ مكانَ الشكر ، ولا العقابَ موضعَ

[١] الشؤوب : الدفعة من المطر ، وجمع : سال واصب .

[٢] العارض : السحاب المترض في الأفق ، والضير للفتنة المفهومة من سياق الحديث .

[٣] جمع برجة كمنفذة : وهي مفاصل الأصابع ، أو ظهر القصب من الأصابع ، والمعاصم جمع معصم  
كثير وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع عاصمة بالفتح وهي رأس الملقوم وهو الموضع الثاني في

الملق . [٥] أثناء الشيء ومثانيه طاقاته ، واحدها ثى كحمل ومثناة بفتح الميم وكسرهما .

[٦] لبط به الأرض ضرب ، ولبط البعير كضرب : لبط بيده وهو يندب .

الثواب ، فقد نَخَلْتُ لك النصيحة ، وَتَحَضَّتْ<sup>(١)</sup> لك الطاعة ، وَشَدَدْتُ أَوَاخِي<sup>(٢)</sup> مملكت بأثقل من رُكْنِي يَلْمَسُ<sup>(٣)</sup> ، وتركت عدوك مشتغلا<sup>(٤)</sup> ، فالله الله في ذى رَحِمِكَ أن تقطعه - بعد أن بَلَّغْتَهُ<sup>(٥)</sup> - بِظَنِّ أَفْصَحَ الْكِتَابِ لِي بِعَضِيهِ<sup>(٦)</sup> ، أَوْ يَبْغِي بَاغٍ يَنْهَسُ<sup>(٧)</sup> اللحم ، وَيَالِغُ<sup>(٨)</sup> الدَّم ، فقد والله سهَّلت لك الوعور ، وَذَلَّلْتُ لك الأمور ، وَجَمَعْتُ على طاعتك القلوب في الصدور ، فكم من لَيْلٍ تَمَامُ<sup>(٩)</sup> فيك كَأَبْدَتِهِ ، ومقام ضَيِّقٍ لك قُمْتُه ، كنت فيه كما قال أخو بني جعفر ابن كلاب :

ومقام ضَيِّقٍ فَرَجَّتُهُ      يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلُ  
لو يقوم الفيلُ أو فيَّالُه      زَلَّ عن مثل مقامي وزَحَلُ<sup>(١٠)</sup>  
فقال له الرشيد : « أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك » .  
ولم يزل عبد الملك محبوساً حتى تُوفِّي الرشيد ، فأطلقه محمد الأمين وعقد له

على الشام<sup>(١١)</sup> . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والعقد الفريد ١ : ١٤٣ ،  
والسكامل لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣ )

[١] أخلصت . [٢] جمع آخية وتشدد : عروة تربط إلى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة ، وأخيت للدابة تأخية : صنعت لها آخية وربطتها بها . [٣] يللم أو ألمم أو يرمم : ميقات اليمن : جبل على مرحلتين من مكة . [٤] وفي رواية العقد : « وتركت عدوك سبيلا تتعاوره الأقدام » . [٥] بَلَّغْتَهُ : لزمته . [٦] العضة بسكون الضاد وفتحها : الكذب والغيبة . [٧] نهس اللحم كنع وسمع : أخذه بتقديم أسنانه ونفثه . [٨] ولغ الكلب في الإثاء ومنه وبه يبلغ كيب ويالغ : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فخرقه . [٩] ليل التمام أطول ليالي الشتاء . [١٠] زحل عن مقامه : زال كتحول . [١١] وقد جعل للأمين عهد الله وميثاقه : لئن قتل وهو حي ، لا يعطى المأمون طاعة أبداً ، فبات قبل قتل الأمين ، فدفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج المأمون يربد الروم أرسل إلى ابن له : حول أباك من داري ، فنبشت عظامه وحولت .

## ٨٥ - قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد فعله به قال :

« والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ ، ولا تَمَنَيْتُهُ ، ولا نَصَبْتُ له ولا أَرَدْتُه ، ولو أَرَدْتُه لكانَ إلىَّ أسرع من الماء إلى الحَدُور<sup>(١)</sup> ، ومن النار إلى يَيس العَرَفِج<sup>(٢)</sup> ، وإني لما خوذ بما لم أَجْنِ ، ومستول عما لا أَعْرِف ، ولكنه حين رآني للملك قِينَا<sup>(٣)</sup> ، وللخِلافة خَطِيرَا<sup>(٤)</sup> ، ورأى لي يداً تناها إذا مُدَّت ، وتبلغها إذا بُسِطَتْ ، ونفساً تَكْمُلُ خِصَالَهَا ، وتستحقها بِفَعَالِهَا ، وإن كنتُ لم أُخْتَر تلك الخِصَال ، ولم أَصْطَنِع تلك الفِعال ، ولم أترشَّح لها في السَّر ، ولا أَشْرْتُ إليها في الجَهْر ، ورآها تَحِنُّ إلىَّ حنين الوالدة الوالِهة ، وتميلُ إلىَّ مِثْلَ الهَلُوك<sup>(٥)</sup> ، وخاف أن ترغَب إلىَّ خَيْرِ مَرْغَب ، وتزِرَ إلىَّ أَخْصَبَ مَنَزِع ، عاقِبَنِي عِقَابَ مَنْ سَهَرَ في طلبها ، وجهَدَ في التماسها ، فإن كَانَ إنما حبسني على أني أَصْلَحُ لها وتصلُح لي ، وأَلِيقُ بها وتَلِيقُ بي ، فليس ذلك بذَنْبٍ جَنِيته فَأَتُوبَ منه ، ولا تَطاولْتُ له فَأَحْطُ نَفْسِي عنه ، وإن زعم أنه لا صَرَفَ لعقابه ، ولا نَجاةَ من عذابه ، إلا بأن أخرج له من جِدِّ العلم والحلم والحَزْم ، فكما لا يَسْتَطِيع المِضْيَاعُ أن يكون مصلحاً ، كذلك لا يَسْتَطِيع العاقل أن يكون جاهلاً ، وسواءَ عليه أَعاقبني على علمي وحلمي ، أم عاقبني نَسبي وسِنِي ، وسواءَ عليه عاقبني على جمالي ، أم عاقبني على محبة الناس لي ، ولو أَرَدْتُهَا لَأَتَعَجَّلْتُهُ عن التفكير ، وشَغَلْتُهُ عن التدبير ، وَلَمَّا كَانَ فيها من الخَطْبِ إِلَّا الْيَسِير . »

( القدر الفريد ١ : ١٤٣ )

[١] المكان المنحدر . [٢] شجر . [٣] جديراً . [٤] عظيم الضرر . [٥] العاجزة المتساقطة على الرجال .

## ١٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنًا له فقال :

« أَيْ بَنِيَّ أَحْلَمْ ، فَإِنْ مِنْ حَلْمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمْ أزدَادَ ، وَأَتَّقِ أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ عِمَارَةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَعْ بِكَ مَطِيَّةَ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ ، الْمُزَاحُ يورث الضَّنَائِنَ ، وَحَسَنُ التَّدِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِصَادُ يُثَمِّرُ <sup>(٢)</sup> الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ <sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحَظُّ الْقَنَاعَةُ ، وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبِّمَا أَبْصَرَ الْعَمِيَّ رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرَ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ <sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، أَرْفُقْ فِي الطَّلَبِ ، وَأَعْجِلْ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ <sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غُيْنٍ نَصِيبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتَ عُتْبَاهُ ، وَفَاكِهٌ مِنْ أُمِنْتَ بِلَوَاهُ ، لَا تَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَشَاءً إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنَ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرَتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّمَّاحِ ، وَتَخْيِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنُهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةُ ، وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ ، وَالصَّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنِ الْفَقْهُ كِتْمَانُ السِّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطُولُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقَنَاعَةُ رَاحَةُ الْأُبْدَانِ ، وَالشَّرَفُ التَّقْوَى ، وَالبَلَاغَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَفَتْقِهِ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الْعِنَى أَيْ الرِّضَا . [٢] يَنْسَى وَيَكْثُرُ . [٣] يَهْلِكُ .

[٤] الْحَرْمَانُ . [٥] حَرْبُهُ حَرْبًا كَطَلْبِهِ : سَلَبَ مَالَهُ . [٦] أَنْجَحَ : صَارَ ذَا نَجْحٍ .



يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقْضَى  
بعضه بعضا ، وَمَنْ سَعَى بالنميمة حَذَرَهُ البعيد ، وَمَقَّتَهُ القريب . من أطال النظر  
بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن توانى في نفسه ضاع ، من أسرف في الأمور  
انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَةُ تورث الضياع للأمور ، غِبْ  
الأدب أحمد من ابتدائه ، مُبَادِرَةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُعْقِبُ  
الغِي ، لَا تُحَدِّثْ مَنْ لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنْصِتْ لِمَنْ لَا يَنْمِي <sup>(١)</sup> بحديثه  
إليك ، البلادة للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عَاجِزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ،  
الإحجام عن الأمور يُورث العجز ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء  
الطَّعْمَةُ <sup>(٢)</sup> يُفْسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَمَحَقُ الدين ، الهيبة قرين الحرمان ،  
والجسارة قرين الظفر ، وَفِيكَ مِنْ أَنْصَفِكَ ، وَأَخُوكَ مِنْ حَاتِبِكَ ، وَشَرِيكَكَ  
مَنْ وَفَى لَكَ ، وَصَفِيكَ مَنْ آثَرَكَ ، أَعْدَى الْأَعْدَاءِ العقوق ، اتباع الشهوة  
يُورث الندامة ، وَفَوَتْ الْفُرْصَةِ يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التأتى للرفق ،  
أَكْرَمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَإِنْ سَاقَتَكَ إِلَى الرغائب ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ بِ  
تَبْذُلٍ مِنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ عِوَضًا ، لَا تَسَاعِدُ <sup>(٣)</sup> النِّسَاءَ فَيَمْلَأَنَّكَ ، وَاسْتَبْقِ مِنْ  
نَفْسِكَ بَقِيَّةً ، فَإِنَّهُمْ أَنْ يَرَيْنَ أَنَّكَ ذُو اقْتِدَارٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَطْلُعْنَ مِنْكَ عَلَى  
انكسار ، لَا تَعْلَمْكَ الْمَرْأَةُ الشَّفَاعَةَ لغيرها ، فَتَمِيلَ مِنْ شَفَعَتِهَا عَلَيْكَ مَعَهَا ، أَوْ  
بِنِي ، إِنِّي قَدْ اخْتَرْتُ لَكَ الْوَصِيَّةَ ، وَحَضَّتْكَ النَّصِيحَةُ ، وَأَذَيْتَ الْحَقَّ إِلَى اللَّهِ وَ  
تَأْدِيكَ ، فَلَا تُغْفِلَنَّ الْأَخْذَ بِأَحْسَنِهَا ، وَالْعَمَلَ بِبِهَا ، وَاللَّهُ مَوْفِقُكَ .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

[١] نهي الحديث ونهى بالنسبة : رفعه . [٢] "طعمة : وجه الكسب . [٣] لها ولا تهاجم

## ٨٧ - وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سَرِيَّة ، ونحن ببلاد الروم فقال له :  
« أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذي إن وجد ربحاً  
تَجَرَّ ، وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن  
من احتيالك على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك <sup>(١)</sup> » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٤ )

## ٨٨ - كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السَّمَاك <sup>(٢)</sup> - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبةً ،  
وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البَطَرُ ،  
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخاصم ، وخير  
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُخْتَبَرُ ذلَّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .

( رهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ٨٩ - ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل  
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السَّمَاك كما أمرتني ، قال : أدخله ،

---

[١] أوردت هذه الوصية في الجزء الثاني ص ١٨٥ معزوة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب  
العقد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت عروة عبد الله بن  
عبد الملك بن مروان الروم ، دمتح فيها المصيبة - كسفية - » وعراها الجاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما نرى  
في هذه الرواية . [٢] كان راهباً طابداً حسن الكلام صاحب مواظ ، وهو كوفي قدم بفسيداد زمن  
الرشيد ، فمكت بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتَّقِ اللَّهَ وَحَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ ،  
واعلم أنك واقِفٌ غداً بين يدي الله رَبِّكَ ، ثم مصروفٌ إلى إحدى منزلتين ،  
لا تالفةَ لهما : جنة أو نار ، فبكى هرون حتى اخضَلَّتْ<sup>(١)</sup> لحيته ، فأقبل الفضل  
على ابن السماك ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالَجُ أحداً شكٌّ في أن أمير المؤمنين  
مصروفٌ إلى الجنة إن شاء الله ؟ لقيامه بحق الله ، وعدِّله في عبادِه ، وفضله ،  
فلم يَحْفَلِ بذلك ابن السماك من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ،  
فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا - يعني الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا  
عندك في ذلك اليوم ، فاتقِ الله وانظر لنفسك ، فبكى هرون حتى أشفقنا عليه ،  
وأفحم الفضل بن الربيع ، فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً ، فبينما هو عنده إذا استسقى ماء ،  
فَأَتَى بِقُلَّةٍ من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السماك : على  
رِسْلِكَ<sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ، بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو  
مُنِمْتَ هذه الشَّرْبَةُ ، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب  
هناك الله ، فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
لو مُنِعْتَ خروجَها من بدنك ، بماذا كنت تشتريها ، قال : بجميع ملكي ،  
قال ابن السماك : إن مُلْكاً قيمته شربةُ ماءٍ لَجَدِيرٌ أَلَّا يُنَافَسَ فيه ، فبكى هرون ،  
فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف ، فانصرف .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وفتح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩ )

# الفتنة بين الأمين والمأمون

## وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد<sup>(١)</sup> ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبّب أن يكون يقربه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نَهَيْك ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألاً يدعوا وجهاً من اللين والرفق إلا بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

### ٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثِقْلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عبئاً جليلاً ، وقد صدقت نيته في الخير ، فأعوزَه الوزراء والأعوان والكُفأة على العَدْل ، وقليلٌ ما يأنسُ بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فزعَ إليك في أموره ، وأملك للموازرة والمكاثفة<sup>(٢)</sup> ،

---

[١] ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين ، كان قد خاف المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطوس من إحضار جميع ما كان في عسكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون ، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، خشن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفصل جماعة على ذلك ، قال الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فنهوه عن ذلك وحذروه طاقبة البغي ونكت اليهود ، وقالوا له : لا تحرى الفواد على الكثرة للأيمان وعلى الخلع فيخلعوك ، فلم يلتفت إليهم ، وماله إلى رأى الفضل بن الربيع ، وشرع في خلع المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم ينخبط وكتب يمتدر . [٢] المعاونة .

ولسنا نستبطنك في برّه ، اتهاماً لنضرك له ، ولا نحضنك على طاعة ، تنخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانته ، فأجِبْ أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأَعِنّه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصِلّة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعزّ الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخيرة والصّلاح في عواقب رأيه .

#### ٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خُرْقٌ ، والافتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه من شهيد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عَوْضاً ، والأمير أولى مَنْ بَرَّ أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبه ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وَكْفٌ<sup>(١)</sup> في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين . »

#### ٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحذ نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ،

[١] الوكف : البيل والجور والعيب والإثم .

وَتَنَاوَلْكَ فَزِعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقْعُدْ يُغْنِ اللَّهُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْعَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى  
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ .

### ٩٣ — خطبة صالح صاحب المصلى

وتكلم صالح صاحب المصلى ، فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،  
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،  
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقُهُ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،  
إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
بِكِتَابِهِ ، وَوَثَّقَ بِمَعَاوَنَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى  
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلَاحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسْكَوْنُ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقَّ  
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالَّذِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

### ٩٤ — خطبة المأمون

فحمد الله المأمونُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« قَدْ عَرَّفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ — أَكْرَمَهُ اللَّهُ — مَا لَا أَنْكَرُهُ ،  
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
مُقَدَّمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَاقْفَةُ حَرِيصٌ ، وَفِي الرِّوَايَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي  
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نَصْحُ الْإِعْتِزَامِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

عنه تثبُّطًا ومدافعةً ، ولا أتقدِّم عليه اعتسافًا ومُجَلَّةً ، وأنا في ثغر<sup>(١)</sup> من ثغور المسلمين، كَلِبٌ عدوُّه ، شديدٌ شوكتُه ، وإن أهملتُ أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أقمت عليه لم آمن قوتَ ما أَحِبَّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتِه وإيثار طاعته ، فانصرفوا حتى أنظرَ في أمرى ، ويصحَّ الرأى فيما أعزِمُ عليه من مَسِيرى إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعْفِيَه من الشخوص إليه ، وأن يُقِرَّه على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غناءً على المسلمين .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٤٦ )

#### ٩٥ — وصية السيدة زبيدة لعلى بن عيسى بن ماهان

وَنَحَى الشريرين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشًا كثيفًا بقيادة على بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشًا بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد على الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَيدة<sup>(٢)</sup> والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين ، وإن كَانَ ولدى ، إليه تناهت شفقتى ، وعليه تكامل حِذْرِى ، فإنى على عبد الله مُنْعِطَةٌ مُشْفِقَةٌ لما يَحْدُثُ عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابْنى مَلِكٌ نَافِسُ أخاه فى سلطانه ، وَغَارَاهُ<sup>(٣)</sup> على ما فى يده ، والكريم يؤكل لحمه ، وَيُمِيتُهُ غيره ، فاعْرِفْ لعبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تَجِبْهُ<sup>(٤)</sup> بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرْهُ<sup>(٥)</sup> اقتسار العبيد ، ولا تُرْهِنْهُ<sup>(٦)</sup>

[١] الثغر : موضع الحافة من فروج البلدان . [٢] هى السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور .

[٣] فى الأصل : « غاره » وأراء محرفا عن « غاراه » ، فأرسته مغارة وغراء : لاجبته .

[٤] جيبه كمنه : لقيه بما يكره . [٥] قسره واقتسره : قهره .

[٦] أرهنه : أضغفه ، وفى الفخرى : « ولا توهنه » وأوهنه : أضغفه أيضا ، والغل : ألفيد .

بَقِيدٌ وَلَا غُلٌّ ، وَلَا تَمْنَعُ مِنْهُ جَارِيَةٌ وَلَا خَادِمًا ، وَلَا تَعْنَفْ عَلَيْهِ فِي السَّيْرِ ، وَلَا تَسَاوِرْ فِي الْمَسِيرِ ، وَلَا تَرْكَبْ قَبْلَهُ ، وَلَا تَسْتَقِيلَ عَلَى دَابَّتِكَ حَتَّى تَأْخُذَ بِرِكَابِهِ ، وَإِنْ شَتَمَكَ فَاحْتَمِلْ مِنْهُ ، وَإِنْ سَفِهَ عَلَيْكَ فَلَا تَرَادَّهُ .

ثم دفعت إليه قيداً من فضة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٩ ، والفخرى ص ١٩٥ )

### ٩٦ — وصية الأمين لابن ماهان

وخرج على بن عيسى بن ماهان من بغداد ( في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ ) وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أَمْنَعُ جُنْدَكَ مِنَ الْعَبَثِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالغَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى ، وَقَطْعِ الشَّجَرِ ، وَاتِّهَاكِ النِّسَاءِ ، وَلِلرَّيِّ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ <sup>(١)</sup> ، وَاضْمُمْ إِلَيْهِ جُنْدًا كَثِيفًا ، وَمُرَّهُ لِيُدْفَعَ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى مِنْ خَرَايجِهَا ، وَلِلَّ كُلِّ كُورَةٍ تَرَحَّلَ عَنْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوُجُوهُهَا فَأُظْهِرْ إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسِنْ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَعَاقِبْ أَخًا بِأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ رُبْعَ الْخَرَاجِ ، وَلَا تَأْمِنْ أَحَدًا رِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنٍ فِي أَصْحَابِكَ بِرِمْحٍ ، وَلَا تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا اشْتَغَصَتْهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَنَاصَبَكَ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَأْسِرَهُ أَسْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَاسَانَ ، فَتَوَلَّ إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَفْهَمْتَ كُلَّ أَوْصِيكَ بِهِ ؟ »

[١] هو يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .



قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .  
( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٥٠ )

## ٩٧ — استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز حُلُوانَ ، لَقِيَتْهُ القوافل من خُرَاسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالرِّىِّ ، يَعْرِضُ أصحابه ، وَيَرْمِي<sup>(١)</sup> آله ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثْلُ طاهر يتولَّى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقصف اتقصاصَ الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يبلغه عُبُورُنا عَقَبَةَ<sup>(٢)</sup> هَمْدَانَ ، فَإِنَّ السَّخَالَ<sup>(٣)</sup> لا تقوى على نِطَاح الكِبَاش ، والثعالب لا صبرَ لها على لقاء الأسد ، فَإِنْ يُقِمَّ طاهر بموضعه يكن أول معرَضٍ لِظَبَاتٍ<sup>(٤)</sup> السيوف وأسنَّة الرماح » .

وسار حتى صار فى أول بلاد الرِّىِّ ، وأتاه صاحب مقدَّمته وقال : « لو كنتَ - أبى الله الأمير - أَذْكِتَ العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدَّت موضعا تُعَسْكَرُ فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كَانَ ذلك أبلغَ فى الرأى ، وَأَنَسَ للجند » .

قال : « لا ، ليس مثْلُ طاهر يُسْتَعَدُّ له بالمكايد والتحفُّظ ، إن حال طاهر تُثَوِّلُ إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصَّن بالرِّىِّ ، فَيَبْهَتَهُ<sup>(٥)</sup> أهلها ، فيكفونامثوثته ،

[١] يصلح . [٢] العتبة : مرق صعب من الجبال . [٣] السخال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد الغم ذكراً أو أُنثى . [٤] الظبات جمع ظبة وهي حد السيف . [٥] بهته كنهه : أخذه بغتة ، قال تعالى : « بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفى مروج الذهب : « فبُتِبَ به » .

أَوْ يُخَلِّيَهَا وَيُذْبِر رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيُولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ »

وأناه يحيى بن عليّ ، فقال : « اجمع متفرق العسكر ، واحذر على جندك البيات ، ولا تسرح الخيل إلا ومعها كُثِفُ<sup>(١)</sup> من القوم ، فإن العساكر لا تُسَاسُ بالتواني ، والحروب لا تدبر بالاغترار ، والثقة أن تحتريز ، ولا تقل : المحارب لي طاهر ، فالشرارة الخفية ربما صارت ضراماً<sup>(٢)</sup> ، والثمة من السيل ربما اغتر بها وثهون ، فصارت بحراً عظيماً ، وقد قرُبَتْ عساكرنا من طاهر ، فلو كان رأيه الهرب لم يتأخر إلى يومه هذا . »

قال : اسكت ، فإن طاهراً ليس في هذا الموضع الذي ترى ، وإنما يتحفظ الرجال إذا لقيت أقرانها ، وتستعد إذا كان المناوى<sup>(٣)</sup> لها أكفاءها ونظراءها .  
( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩ )

## ٩٨ - حزم طاهر وقوة عزمه

وعسكر طاهر على خمسة فراسخ من الرّبيّ ، وأناه محمد بن العلاء ، فقال : « أيها الأمير ، إن جندك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلات قلوبهم خوفاً ورعباً منه<sup>(٤)</sup> ، فلو أقت بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشامهم<sup>(٥)</sup> أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم » ، فقال :

« لا ، إني لا أوتى من قلة تجربة وحزم ، إن أصحابي قليل ، والقوم عظيم سوادهم ، كثير عددهم ، فإن دافعت القتال ، وأخرت المناجزة ، لم آمن أن يطلّعوا على قلتنا وعورتنا ، وأن يستميلوا من معي برغبة أو رهبة ، فينفر عني

[١] الكثف : الجماعة . [٢] الضرام : اشتعال النار في الحلقاء وغيرها ، ودقاق الخطب الذي يسرع اشتعال النار فيه . [٣] المعادى .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماهان حسين ألفاً ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكراً كان أكثر رجلاً ، وأفره كراعاً ، وأظهر سلاحاً ، وأم عدة ، وأكل هيئة من عسكره ، وروى أن طاهراً كان في أقل من أربعة آلاف . [٥] شاماً وتشاماً : شم أحدهما الآخر ، والمعنى اقترباً .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن ألفت الرجال بالرجال ، وألحم<sup>(١)</sup> الخيل بالخيـل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ مُحْتَسِبٍ للخير ، حريصٍ على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يَرْزُقَ الله الظفر والفأج<sup>(٢)</sup> ، فذلك الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فليست أول من قاتل فقتل ، وماعند الله أجزل وأفضل . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥١ )

## ٩٩ - طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتاباً إليه ، وَكَرَدَسَ كَرَادِيْسَهُ<sup>(٣)</sup> ، وسوَّى صفوفه ، وجعل يمرّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين تَرَوْنَ من أهل التُّكْت والغدر ، إن هؤلاء ضَيَّعُوا مَا حَفِظْتُمْ ، وصَغَّرُوا مَا عَظَّمْتُمْ ، ونَكَشُوا الأيمان التي رَعَيْتُمْ ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاتلون على الغدر والجهل ، أصحاب سَلْبٍ وَنَهَبٍ ، فلو قد غَضَضْتُمْ الأبصار ، وأثْبَتْتُمُ الأقدام ، قد أنجز الله وعده ، وفتح عليكم أبواب عزّه ونصره ، فجَالِدُوا طَوَاغِيتَ<sup>(٤)</sup> الفتنة ، وَيَمَاسِيبِ النار عن دينكم ، ودافعوا بحقكم باطلهم ، فإنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين . »

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وَقُتِلَ<sup>(٥)</sup> .

[١] أى أقرن الخيل بالخيـل ، من قولهم : ألحمت الحرب فالتحمت ، والملاحم نغم الميم وبفتح الحاء : الملحق بالقوم ، ولأحم الشيء بالشيء : ألصقه به . [٢] البوز والظفر . [٣] الكراديس جمع كردوسة بالنغم ، وهى القطعة العظيمة من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، واليماسيب جمع يسوب : وهو الرئيس الكبير . [٥] روى أن نفي على بن عيسى ورد إلى الأمين وهو على الشط يصيد السمك ، فقال للذى أخبره : ويحك دعنى ، فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئاً بعد - وكان كوثراً خادماً خصياً له وكان يحبه -

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،  
فهزم وقتل أيضاً . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢ )

## ١٠٠ - وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد  
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده  
رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :  
« ينام نوم الظربان <sup>(١)</sup> ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ،  
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،  
وشغله قدحه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام تُسرع <sup>(٢)</sup> في هلاكه ، قد شمر  
عبدُ الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب <sup>(٣)</sup> أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحتف  
الذافذ ، والموت القاصد <sup>(٤)</sup> ، قد عي له المنايا على مُتون الخيل ، وناط <sup>(٥)</sup> له البلاء  
في أسنة الرماح ، وشفار السيوف » .

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث <sup>(٦)</sup> ، ثم التفت إلى فقال :

« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجری إلى غاية ، إن قصرنا عنها ذمنا ، وإن  
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قويننا ، وإن

---

[١] الظربان : دوية فوق حرو الكلب منقنة الريح كثيرة الفسوخ ، يضرب بها المثل فيقال : « أدسى من  
ظربان » . [٢] في الأصل « تسرع » وأراه محرفاً . [٣] أصيب : أفل من صاب السهم يصيب  
صيباً : أي أصاب ، وصهم صيوب كصبور . [٤] انقاصد أي الكاسر ، من القصد بالفتح : وهو  
الكسر بأي وجه كان ، أو بالنصف ، كالتقصيد ، يقال قصد الحجة وقصدها : كسرهما وفصلها فتقصدت .  
[٥] خلق . [٦] هو خداس بن بشر الجاشعي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً .

ضَعُفُ ضَعْفُنَا ، إِنْ هَذَا قَدْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِقْلَاءَ الْأَمَّةِ الْوَكْفَاءَ <sup>(١)</sup> ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،  
وَيَعْتَمِدُ عَلَى الرُّؤْيَا ، وَقَدْ أَمَكَّنَ أَهْلَ اللَّهِوِ وَالْخُسَارَةَ مِنْ سَمْعِهِ ، فَهَمَّ يَمْدُونَهُ  
الظَّفَرَ ، وَيَعْتُونَهُ عُقْبَ <sup>(٢)</sup> الْأَيَّامِ ، وَالْهَلَاكَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنَ السَّيْلِ إِلَى قِيَمَانَ <sup>(٣)</sup>  
الرَّمْلِ ، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ نَهْلِكَ بِهَلَاكِهِ ، وَنَعْطِبَ بِعَظْبِهِ .

وَأَنْتَ فَارِسُ الْعَرَبِ وَابْنُ فَارِسِهَا ، وَقَدْ قَزَحَ إِلَيْكَ فِي لِقَاءِ هَذَا الرَّجُلِ  
(طَاهِر) ، وَأَطَمَّهُ فِيمَا قَبْلَكَ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَصِدْقُ طَاعَتِكَ ، وَفَضْلُ  
نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُؤْمِنُ تَقْيِيْمَتِكَ <sup>(٤)</sup> ، وَشِدَّةَ بَأْسِكَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِإِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ،  
وَبَسْطِ يَدِكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ ، غَيْرَ أَنْ الْاِقْتِصَادَ رَأْسَ النِّصِيْحَةِ ، وَمِفْتَاحَ الْيُؤْمَنِ  
وَالْبَرَكَاتِ ، فَأَنْجِزْ حَوَائِجِي ، وَحُجِّلْ الْمُبَادَرَةَ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّيكَ  
اللَّهُ شَرَفَ الْفَتْحِ ، وَيَلْمَ بِكَ شَعْتَ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَالْدَوْلَةِ .

فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبَ مَطَالِبَ لَمْ تَرْمُقْ فِي عَيْنِ الْأَمِينِ  
فَفَضِيبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٠ : ١٥٨ ، وَزَهْرُ الْأَدَابِ ٢ : ١٥٨)

## ١٠١ — وَصِيَّةُ الْأَمِينِ لِأَحْمَدَ بْنِ مَزِيدَ

ثُمَّ نَدَبَ عَمَّهُ أَحْمَدَ بْنَ مَزِيدَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُ دَخْلَ عَلَى الْأَمِينِ ، فَقَالَ :  
أَوْصِنِي أَكْرَمَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :

« أَوْصِيكَ بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ عِقَالُ <sup>(٥)</sup> النَّصْرِ ، وَلَا تَقْدِّمْ  
رِجَالًا إِلَّا بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ سَيْفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، وَمِمَّا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ بِاللَّيْنِ ،

[١] وَصَفَ مِنَ الْوَكْفِ بِالْتَعْرِيكِ : وَهُوَ الْإِثْمُ وَالْعَيْبُ وَالنَّفْسُ ، وَكَفَّ كَفْرَحَ إِذَا أَثَمَ ، وَرَى رَوَايَةَ  
الطَّبَرِيِّ « الْوَكْفَاءُ » بِالْعَيْنِ ، وَهِيَ الْحَقَاءُ . [٢] الْقَبْ كَقَفْلٍ وَعَقَى : الْمَاقِبَةُ .  
[٣] الْقِيَمَانُ جَمْعُ قَامَ : وَهُوَ أَرْضٌ مَطْمَئِنَّةٌ سَهْلَةٌ قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْهَا الْجِبَالُ وَالْأَكَامُ .  
[٤] الْقِيَّةُ : النَّفْسُ وَالطَّبِيعَةُ . [٥] الْقَالَ فِي الْأَوَّلِ : الْحَمْلُ الَّذِي تَفِيدُ بِهِ الدَّابَّةُ .

فلا تتعدّه إلى الخرق والشره، وأحسن صحابة من معك من الجند ، وطالِعني بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة<sup>(١)</sup> عندي ، ولا تستقها فيما تخوف رجوعه على ، وكن لعبد الله أخا مصافيا ، وقرينا برّا ، وأحسن مجامعته ، وصحبته ومعاشرته ، ولا تحذله إن استنصرك ، ولا تبطئ عنه إذا استصرخك ، ولتكن أيديكما<sup>(٢)</sup> واحدة ، وكلمتكما متفقة » .

وتوجه أحمد بن مزيد في عشرين ألفا من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفا من الأبناء ، حتى نزلا خانيقين - قريبا من خلوان - ولم يزل طاهر بحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم ، حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضا ، فأخلوا خانيقين ورجعوا عنها ، دون أن يلقوا طاهرا .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٩ )

## ١٠٢ — مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر الأمين تخلية سبيله ، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته ، فاما قوى طاهر ، واستعلى أمره ، وهزم من هزم من قواد الأمين وجيوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمعوا فيك ، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت سماحتك ، فإن تمت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم ، وليس تملك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف ، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم ، وأضعفتهم الحرب والوقائع ، وامتلات

[١] الزلفة والزلى : الفرية . [٢] أي أنت وعبد الله بن حميد بن قحطبة .

قلوبهم هيبةً لعدوم ، وَنُكُولاً<sup>(١)</sup> عن لقاءهم ومناهضتهم ، فإن سِيرَتَهُمْ إلى طاهر ، غَلَبَ بقليل مَنْ معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضَرَسَتْهُمْ<sup>(٢)</sup> الحروب ، وأدَبَتْهُمْ الشدائد ، وَجَلَّتْهُمْ منقادٌ إلى ، مسابغٍ إلى طاعتي ، فإن وَجَّهني أميرُ المؤمنين اتَّخَذْتُ له منهم جنداً يعظم نِكَايَتَهُمْ في عدوه ، ويؤيدُ اللهَ بهم أولياءه وأهل طاعته .

فقال الأمين : « فَإِنِّي مُؤَلِّكُ أَمْرِهِمْ ، ومقويك بما سألت من مال وَعُدَّة ، فمَجَّلْ الشخوصَ إلى ما هنالك ، فاعمل عملاً يظهر أثره ، وَيُحْمَدُ بركته ، برأيك ونظرك فيه إن شاء الله » ، فولاه الشام والجزيرة .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٠٣ )

### ١٠٣ — الشغب في جيش عبد الملك بن صالح

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قَدِمَ الرِّقَّةَ<sup>(٣)</sup> ، كتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة ، فلم يبق أحد ممن يُرْجَى ، ويذكَرُ بأسه وَغَنَاؤُهُ إلا وَعَدَهُ ، وبَسَطَ لَهُ في أمله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه ، وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشام ، الزَّوَاقِلُ والأعراب من كل فج ، وَاجْتَمَعُوا عنده حتى كَثُرُوا ، يَبْتَغِي أَنَّهُ شَبَتِ نارُ الفتنَةِ بين جند أهل خراسان وبين الزَّوَاقِلِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَفْضَى الأَمْرَ إلى تلاحمهم واقتتالهم ، ثم قام رجل من أهل خِمْص ، فقال :

[١] جينا وخوفا . [٢] جربتهم وأحكمتهم .

[٣] بلدة على العرات . [٤] وسببها أن بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت قد أخذت منه في إحدى الوقعات تحت بعض الزواقل ، فتعلق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ، واجتمعت جماعة من الزواقل والجند فتلاحموا ، وأطان كل فريق منهم صاحبه ، ثم اتسع نطاق الفتنَةِ فانفثت وحدة الجيش .

« يَأْهَلْ حِمص ، الْمَهْرَبُ أَهْوَنُ مِنَ الْعَطَبِ ، وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الذِّلِّ ،  
إِنْكُمْ بَعُدْتُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَخَرَجْتُمْ مِنْ أَقَالِيكُمْ ، تَرْجُونَ الْكَثْرَةَ بَعْدَ الثَّلَاةِ ، وَالْعِزَّةَ  
بَعْدَ الذَّلَّةِ ، أَلَا وَفِي الشَّرِّ وَقَعْتُمْ ، وَإِلَى حَوْزَةِ الْمَوْتِ أُنْخِثُمْ ، إِنْ الْمَنِيَا فِي شَوَارِبِ  
الْمَسْوَدَةِ <sup>(١)</sup> وَقَلَانِسِهِمْ ، النَّفِيرَ النَّفِيرَ <sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَنْقَطَعَ السَّبِيلُ ، وَيَنْزِلَ الْأَمْرُ  
الْجَلِيلُ ، وَيَفُوتَ الْمَطْلَبُ ، وَيَعْسُرَ الْمَذْهَبُ ، وَيَبْعَدَ الْعَمَلُ ، وَيَقْتَرِبَ الْأَجَلُ .  
وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ كَلْبٍ ، إِنَّهَا الرَّايَةُ السَّوْدَاءُ ، وَاللَّهُ مَا وَلَّتْ وَلَا عَدَلَتْ ، وَلَا ذُلٌّ  
نَصَرَهَا ، وَلَا ضَعْفٌ وَابَّهَا ، وَإِنْكُمْ لَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ سَيُوفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ فِي  
رِقَابِكُمْ ، وَآثَارَ أَسْنَنَتِهِمْ فِي صُدُورِكُمْ ، اعْتَزِلُوا الشَّرْقَ قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ ، وَتَخْطُوهُ قَبْلَ  
أَنْ يَضْطُرَّكُمْ ، شَأْمُكُمْ ، دَارَكُمْ دَارَكُمْ ، الْمَوْتُ الْفِلَسْطِينِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْجَزَرِيِّ ،  
أَلَا وَإِنِّي رَاجِعٌ فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مَعِيَ » .  
ثُمَّ سَارَ وَسَارَ مَعَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَقْبَلَتِ الزَّوَاqِيلُ حَتَّى أَضْرَمُوا مَا كَانَ  
مُجْمَعٌ مِنَ الْأَعْلَافِ بِالنَّارِ ، ( وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩٦ هـ ) .

( تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١٠ : ١٦٢ )

## ١٠٤ - خُطْبَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ

يَدْعُو إِلَى خُلْعِ الْأَمِينِ

وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ بِالرَّقَّةِ ، وَكَانَ مَعَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى  
ابْنُ مَاهَانَ ، فَأَقْفَلَ الْجُنْدَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالتَّكْرِيمَةِ وَالتَّعْظِيمِ ،  
وَضَرَبُوا لَهُ الْقُبَابَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوَادِ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْأَشْرَافُ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ  
فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ :

[١] كَانَتِ الْجُودُ الْحِرَاسِيَّةُ الَّتِي تَقَاتِلُ الْأَوْبِيْنَ فِي سَبِيلِ نَصْرِ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَحْمِلُونَ الرَّايَاتِ السَّوْدَ  
فَسَدُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْمَسْوَدَةَ . [٢] نَفَرَ إِلَى الْأَمْرِ كَضَرْبِ نَفِيرٍ : أَسْرَعَ إِلَيْهِ .



« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تُجَاوَزُ بالبطر ، ونِعْمَ لا تستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمدًا يريد أن يُوتَغَ (١) أديانكم ، وينكث بيمينكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدة ، وراجعه من أمره قوَّةٌ ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ، وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قُتِلَ ، وما عند الله لأحد هَوَادَةٌ ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده ، والحنث بأيمانه .

وخلع الحسين بن علي محمدًا الأمين وحبسه (٢) ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

## ١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الغد ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج

الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :

« أيها الناس ، والله ما أدري ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ،

ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سنًا ، ولا أكرمنا حسَبًا ، ولا أعظمنا

منزلةً ، وإن فينا من لا يَرْضَى بالدينية ، ولا يُقَاد بالخادعة ، وإني أولكم ،

تقضى عهده ، وأظهر التغير عليه ، والإنكار لفعله ، فمن كان رأيُه رأيي ،

فليعتزل معي . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتغ دینه بالایم : أسده ، وأوتغه الله : أهلكه .

[٢] وكان حبس الحسين محمدًا الأمين في قصر أبي جعفر يومئذ .

## ١٠٦ — إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحربيّ ، فقال : « يا معشر الحرّية ، هذا يومٌ له ما بعده ، إنكم قد نمتُم و طال نومكم ، وتأخّرتُم فقدّم عليكم غيرُكم ، وقد ذهب أقوامٌ بذِكر خلعِ محمد وأسرِهِ ، فاذهبوا بذِكرِ فكِّهِ وإطلاقهِ » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكِفاية على فرس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تعتدّون على محمد بقطعِ منه لأرْزاقكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزّل أحداً من قوّادكم ؟ قالوا : معاذَ الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتُموه ، وأعتتم عدوّهُ على اضطهادهِ وأسرِهِ ؟ أمّا والله ما قتل قومٌ خليفَتَهُم قَطُّ ، إلا سلّط الله عليهم السيفَ القاتل ، والحتفَ الجارِف ، انهضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه ، وقَاتِلُوا من أراد خلعهُ والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً شديداً ، وأكثرُوا في أصحابهِ الجراح ، وأسروا الحسين ، ودخل أسد الحربيّ على محمد فكسّر قيوده ، وأقعده في مجلس الخلافة .

وأتى الأمين بالحسين بن عليّ ، فلامه على خِلافهِ وقال له : ألم أقدّم أباك على الناس ، وأولّهم أعنة الخيل ، وأملاً يده من الأموال ، وأشرف أقدارك في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققتُ به منك أن تخلع طاعتي ، وتولّب الناس عليّ ، وتندُبهم إلى رقتالي ؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولأك الطلب بثأرك ، ومن قُتِلَ من أهل بيتك ، ثم دعا له بخِلعة ، فخلعها عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى خُلوَان ، وخرج الحسين ، فهرب في تَقَرٍّ من خدمه ومواليه ، فنَادَى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . ( تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤ )

### ١٠٧ — خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى <sup>(١)</sup> والى مكة والمدينة — وكان خطيباً فصيحاً جهوري الصوت — يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أفضت الخلافة إليه بهت به والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليها حتى دخلت سنة ١٩٦ هـ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بمحلب عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وبعت إلى الكتائب الذين كان الرشيد كتبهما وعلقهما في الكعبة ، فأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والفقهاء ، ومن كان عهد على ماى الكتائب من اليهود — وكان داود أحدم — فقال داود : قد علمتم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد واليثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين بايعنا لابنيه لتكونن مع المظلوم منهما على الظلم ، ومع المبني عليه على الباغي ، ومع المقتدر به على الغادر ، فقد رأينا ورأيتم أن محمداً ( الأمين ) قد بدأ بالظلم والبنى والعدر على أخويه عبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، وخلصهما ، وبايع لابنه الطفل رضيع صغير لم يعظم ، واستخرج العرطين من الكعبة عامياً ، فخرقهما بالنار ، وقد رأيت خلعه ، وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً مبياً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا تبع لرايك ، ونحن خالموه معك ، فجميع الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

أما بعد ، يا أهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأُسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وفد الله <sup>(١)</sup> ، وإلى قبيلتكم يَأْتُمُّ المساهون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبغى عليه على الباغي ، والمغدور به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبنى والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاهَا من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خَلْمُهُ من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغى عليه ، المغدور به ، ألا وإني أَشْهَدُكم أنني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوتِي هذه من رأسي - وخلع قَلَنْسُوتَهُ عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ <sup>(٢)</sup> مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفكم » ، فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٠ )

## ١٠٨ خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسألون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حبرة : صرب من البرود اليمانية ، يقال : برود حبرة مثل غلبة على الوصف والإضافة ، وبرود حبرة ، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وثن كقولك : ثوب قرمز ، والقرمز : صبغه

« الحمد لله الذى يرفع ويضع ، وَيُعْطِي وَيَمْنَع ، وَيَقْبِضُ وَيَنْسُط ، وإليه المصير ، أحمده على نوائب الزمان ، وَخِذْلَانِ الأعوان ، وتشتت الرجال ، وذهاب الأموال ، وَخُلُولِ النوائب ، وتوفد المصائب ، حمداً يَدْخُلُ به أَجْزَلُ الجزاء ، وَيَرْفِدُنِي <sup>(١)</sup> أَحْسَنَ العزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شَهِدَ لنفسه ، وشَهِدَتْ له ملائكتُهُ ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسامنين صلى الله عليه وسلم ، آمينَ رَبِّ العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السَّبْقِ إلى الهدى ، فقد عَلِمْتُمْ غَفْلَتِي كَانَتْ أَيَّامَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ وَزِيرٍ عَلَى وَمَشِيرٍ ، فَسَادَتْ <sup>(٢)</sup> بِهِ الْأَيَّامُ بِمَا لَزِمَنِي بِهِ مِنَ النَّدَامَةِ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، إِلَى أَنْ نَبْتَهِمُونِي فَانْتَبَهْتُ ، وَاسْتَعْتَمُونِي فِي جَمِيعِ مَا كَرِهْتُمْ مِنْ نَفْسِي وَفِيكُمْ ، فَبَذَلْتُ لَكُمْ مَا حَوَاهُ مُلْكِي ، وَنَالَتهُ مَقْدَرَتِي ، مِمَّا جَمَعْتُهُ وَوَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي ، فَقَوَّدْتُ <sup>(٣)</sup> مَنْ لَمْ يَجُزْ ، وَاسْتَكْفَيْتُ مَنْ لَمْ يَكْفِ ، وَاجْتَهَدْتُ - عِلْمَ اللَّهِ - فِي طَلَبِ رِضَاكُمْ بِكُلِّ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، وَاجْتَهَدْتُمْ - عِلْمَ اللَّهِ - فِي مَسَاءَتِي فِي كُلِّ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، مِنْ ذَلِكَ تَوْجِيهِي إِلَيْكُمْ عَلَى ابْنِ عِيسَى شَيْخِكُمْ وَكَبِيرِكُمْ ، وَأَهْلِ الرَّأْفَةِ بِكُمْ ، وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْكُمْ ، فَكَانَ مِنْكُمْ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، فَغَفَرْتُ الذَّنْبَ ، وَأَحْسَنْتُ وَاحْتَمَلْتُ ، وَعَزَّيْتُ نَفْسِي عِنْدَ مَعْرِفَتِي بِشَذُوذِ الظَّفَرِ ، وَحَرَصِي عَلَى مُقَامِكُمْ مَسْلُحَةً <sup>(٤)</sup> بِخُلُوفَانِ مَعَ ابْنِ كَبِيرٍ صَاحِبِ دَعْوَتِكُمْ ، وَمَنْ عَلَى يَدَيْ أَيْهِ <sup>(٥)</sup> كَانَ نَخْرَكُمْ ، وَبِهِ تَمَّتْ طَاعَتُكُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدٍ ابْنُ قَحْطَبَةَ ، فَصَرْتُمْ مِنَ التَّائِبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، وَلَا صَبْرَ عَلَيْهِ ، يَقُودُكُمْ

[١] رَفَدَهُ وَأَرْفَدَهُ : أَعْطَاه . [٢] طَاوَلْتُهُ وَأَمْلَيْتُهُ . [٣] أَيْ اتَّخَذْتُهُ قَائِداً .

[٤] الْمَسْلُحَةُ : الْقَوْمُ ذَوُو السِّلَاحِ . [٥] أَيْ جَدَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدٍ بْنِ قَحْطَبَةَ ، وَهُوَ قَحْطَبَةُ ابْنُ شَيْبَةَ الطَّائِي ، أَحَدُ الدُّعَاةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْجِيُوشَ الْأُمَوِيَّةَ - انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّانِي

رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين على ، فخلعتموني وشتمتموني ، وانهبتموني وحبستموني وقيدتموني ، وأشياء منعتموني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلصق<sup>(١)</sup> طاعتكم أكبر وأكثُر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥ )

## ١٠٩ — استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع<sup>(٢)</sup> لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أيك وعندك أن تثلّبتني<sup>(٣)</sup> وتسبّني وتحرّض على دمي ؟ أتحبّ أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُذري يُحقّدك إذا كان واضحاً جليلاً ، فكيف إذا خفّته<sup>(٤)</sup> العيوب ، وقبّحته الذنوب ، فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر<sup>(٥)</sup> فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ      مِنْ الْعُفُوفِ لَمْ يَعْرِفِ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى      إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] مسهل عن تلصق . [٢] توفى سنة ٢٠٨ . [٣] ثلّبه كضربه : لأمه وعابه .

[٤] هكذا في الأصل ، وربما كان « أخفته » لقوله قبل : « إذا كان واضحاً » .

[٥] هو الحسن بن رجا بن أبي الضحاك .

## ١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مَالِكِ الْمَلِكِ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمَفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلَبَتْنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَافَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَاداً لِدِينِهِ ، وَقَوَاماً لِعِبَادِهِ ، وَضَبَطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ الثُّغُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةَ ، وَجَمَعَ الْفَيْءَ ، وَإِنْفَازِ الْحُكْمِ ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتُ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوبِقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلِدُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسَنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُحْتَلِبٌ دِرَّةً <sup>(١)</sup> نِعْمَتِهَا ، أَلِفٌ لَزَهْرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلِيفٌ بَرُونِقٍ بَهْجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وِفَاءٍ مُوعودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقَمَتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ <sup>(٢)</sup> عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَهُ نَاهِيَةً ، وَعَظَّمَتْهُ مُؤَدَّبَةً ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ عِصْمِ <sup>(٣)</sup> الطَّاعَةِ ، وَاسْتُلْكُوا مَنَاحِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحذَرُوا مِصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَّعُوا شَعْبَ الْأَلْفَةِ ، فَأَغْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥٥ )

[١] الدرة : اللين . [٢] عدل .

[٣] جمع عصام ككتاب ، وعصام القرية : رباطها وسيرها الذي تحمل به .

## خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ — خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرّوحين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :

« إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة ، وتجارة مربية ، فالموت حوضٌ مورود ، وكأس مشروب ، وقد أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فما كان إلا عبداً دعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين ثلمه ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ، واغتنبوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي ، يأهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل طالب ، وأمس واعظ ، واليوم مغتَم ، وغدٌ منتظر » .

١١٢ — خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني جعلتُ الله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً نهداً لا تحيله حدوده ، وتسفك فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالا ، ولا أثاثا ، ولا نخلة<sup>(١)</sup> تحرم على ، ولا أحكم بهواي ، في غضبي ولا رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

[١] نخلة : أعطاه والام النخلة .



إني أفي رغبةً في زيادته إياي في نعمتي ، ورهبةً من مسألتِهِ إياي عن حَقِّهِ  
وخلقه ، فإن غيَّرتُ أو بدلتُ كنتُ للغيرِ مستأهِلاً ، وللنَّكالِ مُعَرَّضاً ، وأعوذُ  
بالله من مَسْخَطِهِ ، وأرغب إليه في المَعُونَةِ على طاعته ، وأن يحُولَ بيني  
وبين معصيته .

### ١١٣ — خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبُه على خَلْقِهِ ، أحمدُه وأستعينه ،  
وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد  
أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ  
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحَدِّهِ ، والعملِ لما عنده ،  
والتَّجَرُّعِ لوعده ، والخوفِ لوعيده ، فإنه لا يَسْلَمُ إلا من اتقاه ورَجَاهُ ، وعَمِلَ له  
وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يَبْقَى بما  
يزول عنكم ، وترحلوا فقد جُدَّ بكم ، واستعدُّوا للموت فقد أظْلَمَ بكم ، وكونوا قوماً  
صِيحَ بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ، فإن الله لم  
يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سُدًى ، وما بين أحدٍكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أن  
ينزل به ، وإن غايةَ تَنَقُّصِها اللحظة ، وتَهْدِيمِها الساعةُ الواحدةُ ، لجديرةٌ بقِصَرِ  
المدة ، وإن غائباً يَحْدُوه <sup>(١)</sup> الجديدان : الليل والنهار كَحَرِيٍّ بِسرعة الأوبة ، وإن  
قادمًا يَحُلُّ بالفوز أو بالشَّقْوةَ لِمَسْتَحِقٍّ لأفضل العُدَّةِ ، فاتقِ عبدُ ربِّه ، ونصح نفسه ،  
وقدَّم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستورٌ عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان  
موكلٌ به ، يزيِّن له المعصية ليركبها ، ويمنيهِ التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه

منيته أغفل ما يكون عنها ، فيألفها حسرةً على ذى غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطرُه نعمة ، ولا تقصّر به عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت فزعة . إنه سميع الدعاء ، ويده الخير ، وإنه فعّال لما يريد .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٤ — خطبته يوم الأضحي

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمة ، ووفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من التفر<sup>(١)</sup> ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُشَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> » فتقربوا إلى الله في

[١] يوم التفر : اليوم الذي ينفر فيه الناس من مي ، وهو بعد يوم القر ( ويوم القر بالفتح : اليوم الذي بعد يوم الحر ، لأن الناس يقرّون في منازلهم ) .

[٢] رحالا : أي مشاة ، جمع راجل كقائم وقيام ، وعلى كل ضامر : أي وركبانا على كل مناسم ، أي بعيد مهزول ، يأتين : أي الضوامر ، صفة لضاير حملا على المعنى ، من كل فج عميق : أي طريق بعيد ، ليشهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومات : هي عشر ذى الحجة ، وقيل : أيام النحر ، من

هذا اليوم بذبائحكم ، وعظموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدارين ، وارتفع جَزَاهُ الْعَمَلِينَ<sup>(٢)</sup> ، وطالت مدة الفريقين ، اللَّهُ اللَّهُ ، فوالله إنه الْجِدُّ لَا اللَّعِبَ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

### ١١٥ — خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وَسُنَّةٌ ، وابتهاال ورغبة ، يومُ خَتَمَ اللَّهُ به صِيَامَ شهر رمضان ، وافتتح به حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، فجعله خَاتَمَةَ الشهر ، وأوَّلَ أيامِ شهور الحج ، وجعله مُعَقَّبًا لفروض صومكم ، وَمُتَنَفِّلًا قِيَامكم ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : « لا كبير مع استغفار ، ولا صغير مع إصرار » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأَمْرَ الَّذِي أَعْتَدَل فِيهِ يَقِينُكُمْ ، ولم يَخْتَصِرِ<sup>(٣)</sup> الشك في أحد أَمْنِكُمْ ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لَا تُسْتَقَالُ بعده عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قبله تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دُونُهُ ، ولا شيء بعده

بهيمة الأَدام : الأيل والبقر والغنم التي تنحر للضحايا ، ثم ليقتضوا قَتْلَهُمْ : أى يزيلوا أوساخهم وشعرهم من نحو قسّ الأظفار ، وحلق العانة ، وغير ذلك . [١] أى يرفع إليه منكم العمل الصالح . .  
[٢] أى عمل الخير وعمل العبر . [٣] يحضر .

إِلَافُوقَهُ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَغَلَزِهِ <sup>(١)</sup> وَكَرْبِهِ ، وَلَا يَمِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ أَكْبَرُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مُنِمَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمَقْدَمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهَلُ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُعَلِّ <sup>(٢)</sup> فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرَطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ <sup>(٣)</sup> لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » ، وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَيْتُهُ أَعْيُنَكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذِمُّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ، وَنَهْيُ اللَّهِ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَتْرُكُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا يَتْرُكُكُمْ بِاللَّهِ النَّارُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . . الْآيَةُ » ، فَاتَّقِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ،

[١] الغلز : ما يصيب المريض عند حشرحة الموت من رعدة واضطراب . [٢] يعلى

[٣] القسط : العدل ، مصدر وصف به المبالغة أو ذوات القسط .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدرَكوا الجنة بما تركوا منها .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٦ — خطبة ابن طباطبا العلوى

وخطب محمد <sup>(١)</sup> بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائدُ جيوشه أبو السرايا السريُّ ابن منصور قصرَ العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعدُ : فإنه لا يزال يَبْلَغُنِي أن القائل منكم يقول : إن بنى العباس فينا لنا ، نخوضُ في دماءهم ، وَتَرْتَعُ في أموالهم ، وَيَقْبَلُ قولنا فيهم ، وَتُصَدِّقُ دعوانا عليهم ، حُكْمٌ بلا عِلْمٍ ، وَعَزْمٌ بلا رَوِيَّةٍ ! عَجَبًا لِمَنْ يُطْلِقُ بذلك لسانه ، ويحدِّثُ به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حَكَمَ ، أم لِسُنَّةِ نبيه صلى الله عليه وسلم أَتَبَعَ ؟ أ في مَيْلِي <sup>(٢)</sup> معه طَمِعَ ، أم بَسَطَ يَدِي له بالجود أَمَلْ ؟ هيهات ! فازدو الحق بما نَوَى ، وأخطأ ذو الباطل بما تَمَنَّى ، حَقُّ كل ذي حقٍّ في يده ، وكل

[١] خرج بالكوفة امشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القيم بأمره في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السرى بن منصور وكان سبب خروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحها ، وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل ، فلما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد أنزله قصرًا حجب به عن أهل بيته ، ووجوه قواده من الحاصنة والعمامة ، وأنه يبرم الأمور على هواه ، ويستبدّ بالرأى دونه ، فعصب لذلك بالعراق من كان بها من بنى هاشم ، ووجوه الناس ، وأنفوا من غلبة الفضل على المأمون ، واجتهدوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في عشرة آلاف فواقعهم فهزموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير منعه أبا السرايا ، وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أسر له معه نفسه . [٢] في الأصل : « أى مثلى » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .

مُدَّعٍ عَلَى حَاجَتِهِ ، وَيَلْزَمُ مَنْ اغْتَصَبَ حَقًّا ، وَادْعَى بِاطْلَا ، أَفْلَحَ مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ  
اللَّهِ ، وَخَافَ مَنْ أَرْغَمَ الْحَقُّ أَنْفَهُ ، الْعَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقِّ  
لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْعَدْلِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى  
مَرَارَةِ الْحَقِّ ، كُلُّ نَفْسٍ تَسْمُو إِلَى هِمَّتِهَا ، وَنِعْمَ الصَّاحِبُ الْقَنَاعَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَكْرَمَ الْعِبَادَةُ الْوَرَعَ ، وَأَفْضَلَ الزَّادُ التَّقْوَى ، وَاعْمَلُوا فِي  
دُنْيَاكُمْ ، وَتَزَوَّدُوا لِآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ،  
وَإِيَّاكُمْ وَالْمَعْصِيَةَ وَحِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَمْحَقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا  
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الْحَقُّ أَوْلَى ،  
وَالسَّبِيلُ مِنْهُجٌ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ <sup>(١)</sup> ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ،  
مَنْ حَارَبَنَا حَارِبُنَاهُ ، وَمَنْ سَاَلَنَا سَاَلْمُنَاهُ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ  
لِنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ  
أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكَفَى ، حَسْبُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ «  
(مَوَاسِمُ الْأَدَبِ ٢ : ١١٣)

## ١١٧ — اسْتَعْطَافُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ الْمَأْمُونِ

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ <sup>(٢)</sup> أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَجِئَ بِإِبْرَاهِيمَ  
يَحْجُلُ <sup>(٣)</sup> فِي قِيُودِهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ،  
فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا حَفِظَكَ ، وَلَا دَعَاكَ ، وَلَا كَلَّاكَ <sup>(٤)</sup>

[١] أبلج : أى واضح بين ، والمنهج : الطريق الواضح ، والباطل الجليج : أى يتردد فيه صاحبه ،  
فلا يصيب مخرجا . [٢] كان المأمون قد عهد بالخلافة لعلّ الرضا بن موسى الكاظم ، فلما سمع العباسيون  
ببغداد ( وكان المأمون يبرو حاضرة خراسان ) ما فعله المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت  
العلوي ، أنكروا منه ذلك ، وحملوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٩١ هـ ، ولما  
علم المأمون بذلك جد في المسير إلى بغداد ، وهرب عمه إبراهيم وتواري .  
[٣] حجل اللقيد كضرب ونصر : رفع رجلا ، وتريت في مشيه على رجله . [٤] كلاًه : حرسه .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ <sup>(١)</sup> يا أمير المؤمنين ، ولى <sup>(٢)</sup> الثَّارِ مُحْكَمٌ  
فى القصاص ، والعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، ومن مُدَّة له الاغترار فى الأمل ، هَجَمَتْ  
به الأناةُ على التَّلف <sup>(٣)</sup> وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق  
كل <sup>(٤)</sup> عفو ، فإن تماقِبَ فَبِحَقِّكَ ، وإن تَعَفُّ فبِفَضْلِكَ ، ثم قال :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
نَحْذُ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِى فِعَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني سأورت أبا إسحق <sup>(٥)</sup> والعباس  
فى قتلك فأشارا على به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لهما :  
بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيرَ الله يغير ما به ، قال : أمّا أن يكونا  
قد نصحاك فى عِظَم قدر الملك ، وما جَرَّت عليه عادةُ السياسة فقد فعلا ، ولكن  
أبيتَ أن تستجاب النصر إلا من حيثُ عَوَّدَكَ اللهُ ، ثم استعبر باكيًا ، فقال له  
المأمون : ما يُكيك ؟ قال : جَذَلًا ، إذ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فى الإِنعام ،  
ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرْحِي يبلغ سَفْكَ دَمِي ، فلم أمير المؤمنين  
وتفضله يُبلغانى عَفْوَهُ ، ولى بعدها شفاعَةُ الإِقرار بالذنب ، وَحُرْمَةُ الأبِ  
بعد الأب ، قال المأمون : « القدرةُ تذهب الحَفِيْظَةُ <sup>(٦)</sup> ، والندم تَوْبَةُ ، وعَفْوُ  
الله يبينهما ، وهو أكبر ما يحاول ، يا إبراهيم : لقد حَبَبْتُ إِلَى العفو ، حتى خِفْتُ

[١] المهل والتؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفى رواية : « ومن تناوله الاغترار بما مدَّ له من  
أسباب الرِّخاء ، أمن طادية الدمر » . [٤] وفى رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذى ذنب ، كما  
أصبح كل ذى عفو دونك » ، وفى أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك » .  
[٥] أبو إسحق هو للمصنف أخو المأمون ، والعباس هو ابن المأمون .  
[٦] الحَفِيْظَةُ : المنصب ، وفى رواية الأغانى أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن المهدي .

أن لا أوجَرَ عليه ، أما لو عَلِمَ الناس مالنا في العفو من اللذَّة ، لتقربوا إلينا بالجنایات ، لا تَريب<sup>(١)</sup> عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك ، لبلغك ما أملت حسن توصلك ، ولطيف تنصُّلك » ، ثم أمر بردَّ ماله وضياعه ، فقال :

رَدَدْتُ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ      وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي  
فَأُتِيتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَفْأَتْهَا - بِيَدِ      هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ عَدَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ عَامُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي      مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ  
فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْغَى رِضَاكَ بِهِ      وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي  
مَا كَانَ ذَاكَ سِرْوِي عَاوِيَةً رَجَعْتُ      إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهَبَّهَا كُنْتُ لَمْ تُتْلَمْ

(الأغاني ٩ : ٥٧ ، والمقدِّم ١ : ١٤٢ ، والأمال ١ : ٢٠٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٩١)

## ١١٨ — إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دُوَادٍ القاضي ، في مجلس الحكم ، في عَقَارٍ بناحية السَّوَادِ<sup>(٣)</sup> ، فزَرَى عليه<sup>(٤)</sup> ابن المهدي ، وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دُوَادٍ ، فأحفظه<sup>(٥)</sup> ذلك ، فقال : « يا إبراهيم إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم ، فلا أعلمنَّ أنَّك رفعتَ عليه صوتاً ، ولا أشرتَ إليه بيد ، وليكن قصْدُك أَمِّمًا<sup>(٦)</sup> ، وطريقك نَهْجًا<sup>(٧)</sup> ، وريحك ساكنة ، وكلامك مُعْتَدِلًا ، ووفَّ مجالس الحكومة حقوقها ، من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجُّه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبهُ بك ، وأشكَلُ لمذهبك في

[١] لا لوم . [٢] اليد : النعمة .

[٣] سواد العراق ، والعقار : كل ملك ثابت له أصل كالدار والبخل ، والجمع عقارات .

[٤] عابه . [٥] أغضبه . [٦] الأهم : القصد الوسط . [٧] واضحاً .



تَحَدِّدُكَ <sup>(١)</sup> ، وَعَظِيمَ خَطَرِكَ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَعْجَلْ ، قَرُبَ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا <sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ الزَّلَلِ ، وَخَطَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ ، وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

قال إبراهيم : « أَصْلَحَكَ اللَّهُ أُمِرْتُ بِسَدَادٍ ، وَحَضَضْتَ عَلَى رَشَادٍ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ إِلَى مَا يَسْلُمُ <sup>(٤)</sup> مُرُوءَتِي عِنْدَكَ ، وَيُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ ، وَيُخْرِجُنِي مِنْ مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، فَهَآنَا مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ ، اعْتَذَارَ مُقَرَّرٍ بِذَنْبِهِ ، بِاخِيعٍ بِجُرْمِهِ <sup>(٥)</sup> ، فَإِنَّ الْغَضَبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفِزُّنِي بِمَوَادِّهِ ، فَيُرِدُّنِي مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ ، وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَنَا مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَقَدْ وَهَبْتَ حَقِّي مِنْ هَذَا الْعَقَارِ لِبُخْتِشُوعٍ ، فَلَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَعُولُ <sup>(٦)</sup> بِأَرْشٍ <sup>(٧)</sup> الْجَنَايَةِ ، وَلَمْ يَتَلَفَ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ » .

( القدر الفردي ١ : ٢٧ ، وزمر الآداب ١ : ٢٢٢ )

## ١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لَا تَحْسَبْنِي أَغْفَلْتُ إِجْلَابَكَ مَعَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَأْيِيدَكَ لِرَأْيِهِ ، وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَرَجِي أَمْسُ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تَهْرِبَ <sup>(٨)</sup> عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْمِنَةِ ، وَتُمَثِّلُ <sup>(٩)</sup> لِحِلَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ » .

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهلية ، عفا عنها الإسلام ، وجُرْمُكَ جرم في إسلامك ، وفي دار خلافتك . قال : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لِلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ

[١] أصلك . [٢] قدورك . [٣] إبطاء . [٤] عيب وبقص . [٥] مفر .

[٦] يزيد ويرجع . [٧] الأرض : الدية .

[٨] لا لوم . [٩] امتثل طريقته : تبعها فلم يبدعها .

الفترة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله بينى وبينك، يقول الله تعالى :  
 « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سمة دخل فيها  
 المسلم والكافر، والشريف والمشروف » قال : صدقت ، اجلس ، وریت بك  
 زنادی ، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك .

( العقد الفريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣ )

## ١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير  
 المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعيتك ،  
 تقدمت مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ <sup>(١)</sup> ، وآيسْتَ أَنْ يُعَايَنَ مِثْلَكَ ، أما فيما  
 مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى  
 عليك ، خَصِبَ لَنَا جَنَابُكَ ، وعَذِبَ ثَوَابُكَ ، وحسنت نظرتك ، وكرمت  
 مقدرتك ، جبرت الفقير ، وفككت الأسير ، فإنك يا أمير المؤمنين كما  
 قال الأول :

ما زلت في البذل والنوال وإطلاقٍ لعانٍ يجُرمه غَلَقِ <sup>(٢)</sup>  
 حتى تمنى البراء أنهم عندك أسرى في القيد والخلق <sup>(٣)</sup>

( العقد الفريد ١ : ١٣٧ )

[١] إذ أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] العاني : الأسير ، والعلق : أهله مع غلق  
 الرهن إذا استحقه الرهن ، وذلك إذا لم يملك في الوقت المشروط . [٣] البراء ككرام جمع برى .

## ١٢١ — أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يدُك أحقُّ يدٍ بتقيل ، لعلَّوها في المكارم ، وبعدها من المآثم ، وأنت يوسفُ العفوف في قلة التثريب ، مَنْ أرادك بسوء جعله الله حصيدَ سيفك ، وطريدَ خوفك ، وذليلَ دولتك » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، اقضِ حوائجهم . ( مروج الذهب ٢ : ٣١٦ )

## ١٢٢ — محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغصن من أغصان دوحتك <sup>(١)</sup> ، أتأذن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَمْنَحُ اللهَ حَيَاةَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، وَرِجَاةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا بِبِقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا ، وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِفَضْلِكَ ، الْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . ( العقد الفريد ١ : ١٤٦ )

## ١٢٣ — الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وسني ما أعطاك ، إذ قسم لك الخلافة ، وهب لك معها الحجة ، ومكنك بالسلطان ، وحلأه لك بالعدل ،

[١] الفوحة : الشجرة الطيبة .

[٢] وذر للمأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج للمأمون ابنته بوران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وأيدك بالظفر ، وشفعه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقرنها بالسيادة ، فمن فُسِحَ <sup>(١)</sup> له في مثل عطية الله لك ؟ أم مَنْ ألبسه الله تعالى مِنْ زينة المواهب ما ألبسك ؟ أم من ترادفتْ نعمةُ الله تعالى عليه ترادفها عليك ؟ أم هل حاولها أحدٌ وارتبطها بمثل محاولتك ؟ أم أى حاجة بقيت لرعايتك لم يجدوها عندك ؟ أم أى قيم للإسلام انتهى إلى عنايتك ودَرَجتك ؟ تعالى الله تعالى ، ما أعظم ما خصَّ القرنَ الذى أنت ناصِرُهُ ، وسبحان الله ! أى نعمة طبقت <sup>(٢)</sup> الأرض بك إن أدّى شكرها إلى بارئها والمنعم على العباد بها ؟ إن الله تعالى خلق السماء فى فلكها ضياءً يستنير بها جميع الخلائق ، فكل جوهر زها حسنه ونوره ، فهل لبستَه زينته إلا بما اتصل به من نورك ؟ وكذلك كل وليٍّ من أوليائك ، سَعِدَ بأفعاله فى دولتك ، وحسنت صنائعه عند رعايتك ، فإنما نالها بما أيدته من رأيك وتديرك ، وأسعدته من حسنك وتقويمك » . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٠ )

## ١٢٤ — يحيى بن أكرم يمدح المأمون

وقال المأمون ليحيى بن أكرم <sup>(٣)</sup> : صف لى حالى عند الناس ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، قد انقادت لك الأمور بأزممتها ، وملكتك الأمة فضول أعنتها ، بالرغبة إليك ، والمحبة لك ، والرفق منك ، والعياذ بك ، بعدلك فيهم ، ومنك عليهم ، حتى لقد أنسيتهم سلفك ، وآيستهم من خلفك ، فالحمد لله الذى جمعنا بك بعد التقاطع ، ورفعنا فى دولتك بعد التواضع » .

[١] أى وسع . [٢] ملأت وعت ، والاستفهام للتعظيم .

[٣] من ولد أكرم بن صبيح التميمي ، وكان فقيها عالما بالفقه بصيراً بالأحكام ، وقد غلب على المأمون ، حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وقلده قضاء القضاء ، وتدير أهل مملكته ، فسكان الوزراء لا تعمل فى تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطامة يحيى بن أكرم ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ ، وعمره ٨٣ سنة .

فقال : يا يحيى ، أتحبباً أم ارتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو يتعذر على مادحك قول ، أو يُفحَم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟

( الصناعتين ص ٤٠ )

## ١٢٥ — أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فَعَنَّفَهُ المأمون ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ ذَاتِي ، وَلَبَسَ ثوب حُرْمَتِي ، وَمَتَّ بِمِثْلِ قِرَابَتِي ، غُفِرَ له فوق زَلَّتِي » فأعجب المأمونَ كَلَامُهُ وصفح عنه .

( الأمل ٢ : ١٣٦ ، وزمر الآداب ٣ : ٨٩ )

## ١٢٦ — رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من عامل له فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَك لي فِضَّةً إِلَّا فَضَّهَا ، ولا ذَهَباً إِلَّا ذَهَبَ به ، ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَا<sup>(١)</sup> ، ولا ضِيعةً إِلَّا أضاعها ، ولا عِلْقاً<sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلِقَهُ ، ولا عَرَضاً إِلَّا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إِلَّا أَمْتَشَّهَا<sup>(٣)</sup> ، ولا جليلاً إِلَّا أَجْلَاه ، ولا دقيقاً إِلَّا دَقَّه » ، فمَجِبَ من فصاحته وقضى حاجته . ( زمر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٧ — عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت على نوبة أنوبها في حرس المأمون ، فكنت في نوبتي ليلةً ، نخرج متفقداً من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال : من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك

[١] المراد احتازها ، والأصل فيه غله : أى وضع في عنقه أو يده الفل ( بالضم ) وهو القيد .

[٢] العلق : النقيس من كل شيء ، وعلق به كفرح أحبته ، أو هو « علقه » مشدداً مبنياً

للمجهول ، علق امرأة : أى أحبا . [٣] امتش ماشية : أخذ جميعه .

الله ، فقال : أنت تَكَلُّوْنَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلؤك قبلى ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدُوقَ مَنْ يَسْمَعُ مَعَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَّاعَكَ      بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ  
( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٨ — الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : مَنْ أَنْتَ يَا غَلام ؟ فقال :

« أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْمُؤَمِّلُ لخدمَتِكَ ، خَادِمُكَ وَابْنُ خَادِمِكَ : الحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ » ، فقال : أَحَسَنْتَ يَا غَلام ، وَبِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهَةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ ، وَأَمْرٌ بِرَفْعِ مَرْتَبَتِهِ .

( زهر الآداب ٢ : ١٧٣ )

## ١٢٩ — سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مُسْلِمٍ بن قُتَيْبَةَ لَهُ أَمُون :

« لَوْ لَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ قَصْدِهِ إِلَى بَحْدَيْهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطَرَفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ، وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثْتَ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ

مضى ، ولا يظن أنه يجد عند أحد ممن بقي ، فإنك لتستقصى حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتُخبر بما كنت أغفلته منه . ( زمر الآداب ١ : ١٧٣ )

### ١٣٠ - أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بأزمينية ، فغبر<sup>(١)</sup> أبو زهمان العلاني على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مثل بين يدي قائماً بين السماطين<sup>(٢)</sup> وقال : « والله إنني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يُقيم من أود<sup>(٣)</sup> أصلابهم ، لجعلوه مسكّة<sup>(٤)</sup> لازماً فيهم ، إشاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إنني لبعيد الوثبة ، بطي ، المطفة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ، ولأن أكون مُقلاً مقرباً ، أحب إلى من أن أكون مُكثراً مُبتعداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ، ولا مالاً إلا نحن أكثره ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يدك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتجيب إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حُبّ عباد الله موصول بحُبّ الله ، وبنضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورؤباؤه على من اعوجّ عن سبيله . ( البيان والبيان ٢ : ١٠٥ )

### ١٣١ - وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما<sup>(٥)</sup> سنة ٢٠٦ هـ . « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايله سُخطه وحفظ رعيته ، والزَم ما ألبسك الله من

[١] مكث . [٢] السماطين من الناس : الجانبان ، يقال : مقي بين السماطين .

[٣] اعوجج . [٤] المسكة : ما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب ، أو ما يبلغ به منهما .

[٥] أثبتنا هذا الكتاب هنا لأنه في عداد الوصايا .

العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب<sup>(١)</sup> عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيعتهم<sup>(٢)</sup> ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٣)</sup> ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذهلك<sup>(٤)</sup> عنه ذاهل ، ولا يشغلك<sup>(٥)</sup> عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها ، في إسباغ<sup>(٦)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل<sup>(٧)</sup> في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة<sup>(٨)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الدفع . [٢] البيضة : حوزة كل شيء .  
[٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لسربهم ، والسرب : النفس . [٤] ذهلت عن الشيء ( كفتح ) غفلت وقد يتعدى بنفسه . فيقال ذهاته ، والأكثر أن يتعدى بالهزة ، فيقال : أذهلني فلان عن الشيء .  
[٥] شغله من باب فتح وأشمله لمة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسبغ الوضوء : دلى كل عضو حقه .  
[٧] تمهل ولا تمجل . [٨] استخار الله : طلب منه الحيرة .



من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تَمَلْ عن العدل فيما أحبت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثرِ الفقهَ وأهله ، والدينَ وَحَمَلْتَهُ ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما تزيّن به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفةً بالله عزّ وجلّ ، وإجلالا له ، ودَرَكَاً للدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بعدك ، وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعا ، ولا أحضر أمنا ، ولا أنجع فضلا من القصد ، والقصد داعية إلى الرشd ، والرشd دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشd ، فلا غاية للاستكثار من البرّ والسعي له ، إذا كان يُطلب به وجه الله ومَرْضَاتُهُ ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته ، واعلم أن القَصْدَ في شأن الدنيا يُورث العِزَّ ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوُط<sup>(١)</sup> نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به تتمّ أمورك ، وتردّ مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عزّ وجلّ تستقيم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تستدِم به النعمة عليك ، ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ،

فإن إيقاع النهم بالبُرْآء، والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حُسنَ  
الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه فيهم، يُعينك ذلك على  
اصطناعهم<sup>(١)</sup> ورياضتهم، ولا يحدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرِكَ مَفْخَرًا، فإنه  
إنما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ<sup>(٢)</sup>، فَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ  
مَا يَنْغَصُّكَ لَذَّاذَةً عَيْشِكَ، واعلم أنك تجد بحُسنِ الظنِّ قُوَّةً وَرَاحَةً، وَتُكْفَى  
بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كَفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ، وتدعوه به الناس إلى محبتك، والاستقامة  
في الأمور كلها لك، ولا يَمْنَعُكَ حُسنُ الظنِّ بأصحابك والرأفة برعيتك، أن  
تستعمل المسألة والبحث عن أمورِكَ، والمباشرة لأُمُورِ الأولياء، والحِياطة  
لِلرعية، والنظر فيما يُتَمَيَّمُهَا وَيُصْلَحُهَا، بل لتكن المباشرة لأُمُورِ الأولياء،  
والحِياطة لِلرعية، والنظر في حوائجهم وَحَمْلُ مَثُونَاتِهِمْ، آثَرَ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى  
ذَلِكَ، فإنه أَفْوَهمُ لِلدِّينِ، وَأَحْيَا لِلسَّنةِ، وَأَخْلَصُ نِيَّتَكَ فِي جَمِيعِ هَذَا، وتفرَّد  
بتقويم نفسك تفرَّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَوَلٌ عَمَّا صَنَعَ، وَمَجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ،  
وَمَا خُوذَ بِمَا أَسَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا، ورفع من اتبعه وعزَّزه،  
فاسلُكَ بِمَنْ تَسُوسُهُ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى، وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ فِي أَصْحَابِ  
الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ، وَلَا تَعْطَلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَاوُنْ بِهِ، وَلَا  
تَوَخَّرْ عِقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ، فَإِنْ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ لَمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ  
ظَنِّكَ، وَاعْزِمِ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ، وَجَانِبِ الشُّبْهِ وَالْبِدْعَاتِ،  
يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ، وَتَقُمْ لَكَ مَرءٌ وَتَكَ، وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِّ بِهِ، وَإِذَا وَعَدْتَ

[١] اصطنعتك لنفسى : اخترتك لخاصة أمر استكميك إياه .

[٢] الوهن يسكون الهاء وفتحها : الضعف .

الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وأغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيته ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وأبغض أهله ، وأقص أهل النيمة ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذب والجُرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنيمة خاتمها ، لأن النيمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لطيعها أمر ، وأحب أهل الصدق والصلاح ، وأعز الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيته ، وأنعم بالعدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى تقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يُعطيهِ من يشاء ، وينزعهُ ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى أحد ، أسرع منه إلى حَمَلَة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخايرك وكنوزك التى تدخر وتكثير البر والتقوى والمعدلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم والحفظ لدمائهم<sup>(١)</sup> والإفاعة للمهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذُخرت فى الخزائن لا تُثمر ، وإذا

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُّوقِهِمْ ، وَكَفِّ الْمَثُونَةِ عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَرَبَّتْ وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَزَيَّنَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعَزَّ وَالْمَنْعَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقُّوقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ، وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ، وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لَطَاعَتَهُمْ ، وَأَطْيَبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أَرَدْتَ ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَدْتَ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلْتَعْظُمَ حِسْبَتُكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أُنْفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ، وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْبَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُذْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاقُوتَ يُوجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطَ يُورِثُ الْبَوَارَ ، وَلْيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُشِيبُ بِقَدَرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةِ الْمُحْسِنِينَ ، وَقَضَى الْحَقَّ فِيمَا حَمَلَ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمَالُئَنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا ، وَلَا تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَّامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِئَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا تَجِينَنَّ <sup>(١)</sup> بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهَوْنَ نَفَرًا ،

ولا تُظهِرَنَّ غضباً ، ولا تأتين بَذَخاً <sup>(١)</sup> ، ولا تمشين مَرَحاً ، ولا تركبن سَفَهًا <sup>(٢)</sup> ، ولا تقرّطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للثام عيناً ، ولا تُغمِضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثرن مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك أهل الدقة <sup>(٣)</sup> والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشُّعْ ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك ، بالكفّ عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشُّعْ ، واعلم أنه أول ماعصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعِدِّده لنفسك خُلُقاً ، وارضَ به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبتهم ، وأذِرْ عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليُذْهِبَ بذلك الله فاقتهم ، ويقوِّم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وحَسْبُ ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ رَحْمَةً فِي عَدْلِهِ ، وَحَيِّطَةً <sup>(٤)</sup> وَإِنْصَافَهُ ، وَعَنَايَتَهُ وَشَفَقَتَهُ ، وَبِرَهُ

[١] البَذَخُ : الكبر . [٢] وفي المقدمة : « ولا تركبن سفياً » .

[٣] وفي المقدمة : « أهل الرِّقَّة » . [٤] في المهمة : « وعطيته » .

وتوسعته ، فزایل مكرورة أحد البابين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمّن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسّن المعيشة ، ويؤدّى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل فى القضاء ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النّطف <sup>(١)</sup> ، وامض لإقامة الحدود ، وأفلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسّم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسدّد <sup>(٢)</sup> فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعيّتك محاباةً ولا محاماةً <sup>(٣)</sup> ولا لوم لائم ، وثبت وتأنّ وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف <sup>(٤)</sup> بجميع الرعية ، وسلّط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ( فإن الدماء من الله بمكان عظيم ) انتهأ كما لها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً <sup>(٥)</sup> وغيظاً ، ولأهل الكفر من مُعاديهم ذلاً وصغاراً ، فوزّعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنيّ لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] النطف : اليب والشر والفساد . [٢] سدّد : كضرب : صار سديداً .

[٣] في المقدمة : « ولا محاباة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كبته : صرعه وأخزاه ، وردّ العدو بغيظه وأذله .

له ، ولا تَكَلِّفْنِ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واحمل الناس كلهم عَلَى مَرٍّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعُ لَأَلْفَتِهِمْ ، وَأَلْزِمِ لِرِضَا الْعَامَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بَوْلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَمَهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ عَفْوَهمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصِلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ، فَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْرِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّجْدِيرِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُ وَأُسْنِدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصَحَةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَعْنَيْتَ عَلَى الصِّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِيْلَدِكَ ، وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ بِنَاحِيَّتِكَ ، وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَنَافِسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدِمَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ حَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجُوتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيحِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك ، وافترغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تُلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فَشَغَلَكَ ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحمت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خللتهم <sup>(١)</sup> مَسًّا ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظالمته إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيته ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يُصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداءً بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأضرء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية <sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دُوراً تؤويهم ، وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ، ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس



إذا أعطوا حقوقهم وأفضلَ أمانيتهم ، لم يُرضِهِم ذلك ، ولم تُطِبْ أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وُلاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضلِ الرفق منهم ، وربما بَرِمَ<sup>(١)</sup> المتصفح لأُمور الناس ، لكثرة ما يَرِدُ عليه ، وَيَشْغَلُ فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، وَيَعْرِفُ محاسن أُموره في العاجل ، وفضلَ ثواب الآجل ، كالذى يستقبل ما يقرُّبه إلى الله ، ويلتمس رحمته به ، وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، واخفِضْ لهم جناحك ، وأظهر لهم بِشْرَكَ ، وَلِنْ لهم في المسألة والمنطق ، واعطِفْ عليهم بجدك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعطِ بِسَاحَةٍ وطيب نفس ، والتمس الصنعة والأجر غيرَ مكدر ولا مئان ، فإن العطية على ذلك تجارة مريحة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أُمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأُمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عُمَّالِكَ من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تُثَقِّقْ إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأُمور ومعاليتها ، وليكن أكرم دُخْلَانِكَ وخاصتك عليك ، مَنْ إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ، ومظاهريك لك . وانظر عُمَّالِكَ الذين يحضرتك وكتّابك ، فوقَّتْ لكل رجل منهم في كل يوم

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك ، وأنز  
كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك  
وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق  
فأمّنه ، واستخبر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه  
والمسألة عنه ، ولا تمنّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من  
أحدهم منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف  
إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله  
على جميع أمورك واستخبره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك  
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة  
والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورؤسك  
وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،  
حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمرأ ، وأن  
يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز  
الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعمل أمرك بالعمز والقوة والتوفيق ، إنه  
قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس  
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :  
ما بقى أبو الطيب ( يعني طاهراً ) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى  
والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩ )

## ١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج <sup>(١)</sup> فقال :  
« إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائبون عن محارمه ،  
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاية أمره ، الذين جعلهم  
رعاة الدين ، ونظام <sup>(٢)</sup> المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،  
وأهل معصيته ، الذين أشيروا <sup>(٣)</sup> وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومزقوا  
من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا  
اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر ممقلاً لكم الذي إليه تملجئون <sup>(٤)</sup> ،  
وعُدَّتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلّم الله عليه ، والجنة <sup>(٥)</sup>  
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غُضُّوا أبصاركم ، وأخفّوا أصواتكم في مصافكم ،  
وأمضوا قُدماً على بصاركم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الفرق » أن الأمر من طاهر بن الحسين لقتال حمزة بن أكرح  
— هكذا فيه ، وفي الملل والنحل حمزة بن أدرك بالدال — وهو زعيم فرقة الجزية لأحدى فرق الخوارج  
العجاردة ، وقد عاث في سجستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ،  
وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ ، وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة  
المأمون ، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فما ازداد إلا عتواً ،  
فبعث لقتاله طاهر بن الحسين ، فدارت بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من الفريقين ثلاثين ألفاً ،  
أكثرهم من أتباع حمزة ، وانهمز حمزة إلى كرمان ، ثم استدعى المأمون طاهراً من خراسان ، فطع فيها  
حمزة ، وأقبل بجيشه من كرمان ، فخرج إليه عبد الرحمن النيسابوري في عشرين ألفاً فهزموه ، وقتلوا  
الألوف من أصحابه ، وانفلت منهم حمزة جريحاً ، ومات في منزله — انظر ص ٧٩ — .

[٢] النظام : السلك ينظم فيه ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] اللجأ والمعصم ، وكذا الوزر . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَبْغُتُوا وَادْعُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »  
أيدكم الله بعز الصبر ، وَوَلِيَّكُمْ بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ . ( العنكبوت ٢ : ١٥٥ )

### ١٣٣ — العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون : لما أفضت الخلافة إلى المعتصم دخلت ، فقال :  
هذا مجلس كنت أكرهه الناس لجلوسى فيه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ، أنت  
تعفو عما تيقنته ، فكيف تعاقب على ما توهمتَه ؟ » ، فقال : لو أردت عقابك ،  
لتركت عتابك . ( زمر الآداب ٣ : ٩١ )

### ١٣٤ — استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَمَعْظَمُ أَمْرِهِ ، وَبَعْدَ ذِكْرِهِ ، فَكَتَبَ الْمَعْتَصِمُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ  
فِي النَّهْوِضِ إِلَيْهِ ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ ، فَظَفَّرَ بِهِ ، فَحَمَلَهُ مُوثِقًا إِلَى الْمَعْتَصِمِ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ  
أَبِي دُوَادٍ : مَا رَأَيْنَا رَجُلًا عَيْنَ الْمَوْتِ ، فَمَا هَالَهُ ، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ  
أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَعْتَصِمِ ، فِي  
يَوْمِ الْمَوَكَبِ ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، دَعَا بِالنَّطْعِ<sup>(١)</sup>  
وَالسَّيْفِ فَأَخْضَرَا ، فَجَلَّ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا ، وَجَعَلَ  
الْمَعْتَصِمُ يَصْعَدُ النَّظَرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ ، وَكَانَ جَسِيًا وَسِيًا<sup>(٢)</sup> ، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ  
لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَائِهِ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنْظَرِهِ ، فَقَالَ : يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرُ فَاتِ بِهِ ،  
أَوْ حُجَّةٌ فَادِلْ بِهَا ، فَقَالَ : أَمَّا إِذْ قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَقُولُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ،

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ « جَبَر بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ بِكَ شَعَثَ  
المسلمين ، وأوضح بك سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَتَّخَذَ بِكَ شِهَابَ الْبَاطِلِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُعْيِي الْأَفْئِدَةَ السَّحِيحَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ  
الْجَرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَسَاءَ الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ  
انتقامُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنِّي ، وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ ، أَوْ لَاهُمَا بِامْتِنَانِكَ ،  
وَأَشْبَهُمَا بِخِلَافَتِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا  
وَأَكْبَرُ ضَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِمُذَرِّ وَحْجَةٍ  
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفٌ  
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي  
وَلَكِنْ خَلَنِي صِدْيَقَةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ  
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْتَ إِلَى إِلَيْهِمْ  
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِيْطَةٍ  
فَكَمْ قَاتِلِي لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ  
فَتَبَسُّمِ الْمَعْتَصِمِ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَيْمِمْ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْمَذْلَ (١) ، أَذْهَبَ

[١] مسلول . [٢] خش وجهه كنصر وضرب خدشه ولطمه وضربه . [٣] كثرت فيهم الموت .  
[٤] المذل كشمس وسبب : اللوم ، وهو مثل ، وأول من قاله ضبة بن أد بن طابخة ، وكان له ابنان  
يقال لأحدهما سعد ، وللآخر سعيد ، ففترت إبل لضبة تحت الليل ، فوجه ابنه في طلبها ففترقا ، فوجدها  
سعد فردّها ، ومضى سعيد في طلبها ، فلقى الحرث بن كعب ، وكان على النلام بردان ، فسأله الحرث إياها  
فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا . قال : أسعد أم سعيد ؟  
فكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حجّ فوالى عطاء ، فلقى بها الحرث بن كعب ، ورأى عليه

فقد غفرت لك الصبوة<sup>(١)</sup> ، ووهبتك للصبيّة » ، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . ( المقد الفريد ١ : ١٤٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩ )

### ١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولي المهدي بالله<sup>(٢)</sup> بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرمة ، فقال : « أعز الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنظور القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتين بشكر نعمتك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٩٧ )

### ١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق ( المتوفى سنة ٢٣٣ هـ )

دخل أحمد بن أبي دواد<sup>(٣)</sup> على الواثق فقال : ما زال اليوم قوم في ثلبك ونقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل أمرى منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره<sup>(٤)</sup> منهم له عذاب عظيم ، والله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذك يا أمير المؤمنين من أنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى ابنه سعيد فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك ؟ ول بلى : لقيت غلاماً ، وهما عليه فسألتهم إياهما ، فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : سيعك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطينيه أنظر إليه فأبى فأطه صارماً ، فأعطاه الحرت سيفه ، فلما أخذه من يده هراً وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له يا ضبة : أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبى السيف العذل . [١] جهلة الفتوة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، وبصراء الاعزاز ، كان مقرباً من المأمون أنيرا عنده ، ولما ولي المعتصم الخلافة جعله قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكثم ، وخص به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلاً باطلاً ولا ظاهراً إلا برأيه ، ولما مات المعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم فُلج في أول خلافة المتوكل ، فقلد ولده محمداً القضاء مكانه ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أى معظمه ، وفي قراءة « كبره » بضم الكاف .

وَسَقَى إِلَى عَيْبِ عَزَّةَ مَعَشَرٌ جَعَلَ الْإِلَهَ خَدُودَهُنِ نِعَالَهَا

( رعر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقند العربد ١ : ١٤١ )

### ١٣٧ — ابن أبي دواد والوائق أيضاً

وقال الواثق يوما لاس أبي دُواد نضجراً بكثره حوائجه : قد أحليتُ بيوتَ  
الأموالِ بِطِلْمِ تِكِ الْإِثْدِينِ بِكَ ، والمتوسلين إليك ، فقال :

« يا أمة المؤمنين ، تَأْتِي شُكْرُهَا مُتَصِلَةٌ بِكَ ، وَذَخَائِرُهَا مُوَصُولَةٌ لَكَ ، وَمَالِي  
مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عِشْقُ اتِّصَالِ الْأَلْسِنِ بِحُلُودِ الْمَدْحِ » ، فقال « والله لا مسمعناك  
ما يريد في عشقتك ، ويقوَى في هِمَّتِكَ فِينَا وَلِمَا » ، وَأَمْرٌ فَأُخْرِجَ لَهُ حِمْسُهُ وَثَلَاثِينَ  
أَلْفَ دِرْهَمٍ . ( رعر الآداب ٢ : ٣١٠ )

### ١٣٨ — ابن أبي دواد وابن الزبات

وَكَانَ بَيْنَ الْقَاصِي أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُودٍ وَبَيْنَ الْوَزِيرِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّبَاتِ<sup>(١)</sup>  
مُنَافَسَةٌ وَشَحَاءٌ ، حَتَّى مَنَعَ الْوَزِيرُ شَخْصًا كَانَ يَصْحَبُ الْقَاصِي ، وَيَخْتَصُّ بِقَضَاءِ  
حَوَائِجِهِ ، مِنَ التَّرْدَادِ إِلَيْهِ ، فَمَلَعَ ذَلِكَ الْقَاصِي ، فَجَاءَ إِلَى الْوَزِيرِ فَقَالَ لَهُ :  
« وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُكَ مَسْكَتَرًا بِكَ مِنْ قِلَّةٍ ، وَلَا مَتَعَرِّزًا بِكَ مِنْ ذِلَّةٍ ، وَلَكِنْ  
أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ رَتَّبَكَ مَرْتَبَهُ أَوْحَبَّتْ لِمَا . فَإِنْ لَقِينَاكَ فَلَهُ ، وَإِنْ تَأَخَّرْنَا  
عَنْكَ فَلَكَ<sup>(٢)</sup> » ( رويات الأعيان ١ : ٢٥ )

[١] ورد بعضهم ، والوائق من بعده ، ثم ذكره المتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواثق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزبات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي داود إذا  
رآه قام وأدفعه إلى القلعة يصلي .

## ١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دواد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد ، فلما نكس ابن الزيات <sup>(١)</sup> ، حيل الجاحظ مفيئاً من البصرة ، وفي عنقه سلسله ، وعليه قيض سمل <sup>(٢)</sup> ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصيغة ، معدناً للمساوي ، وما فتننى باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تُصلح منك ، لفساد طويئتك ، ورداءة دخیلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ . « خففْضْ عليك - أيْذك الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على ، خيرٌ من أن يكون لى عليك ، ولأن أسيء وتُحسِن ، أحسنُ فى الأُحدوثه عليك ، من أن أحسن وتسىء ، ولأن تعفُو عني فى حال قدرتك ، أحمل بك من الانتقام منى » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثير ترويق الكلام ، خلّ عنه الغُلّ والقيد ، وأحسن إليه ، وصدّره فى المجلس

( دهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والمية والأمل ص ٣٩ )

[١] كان فى نفس المتوكل من ابن الزيات شىء كثير ، وذلك أنه لما مات الوائى (وهو أحو المتوكل) . أشار ابن الزيات تتولية ولد الوائى ، وأشار ابن أبى داود بخوية المتوكل ، وقام فى ذلك وقعد حتى عممه بيده وألسه البردة ، وقتله بين عينيه ، وكان المتوكل فى أيام الوائى مدخل على ابن الزيات فى جهمة ويعلط له فى الكلام - يتقرّب بذلك إلى الوائى - فخذ المتوكل ذلك عليه ، فلما ولى الخلافة ، أمهله أربعين يوماً حتى يطمئن إليه ، ثم قص عليه وسجنه ، واستصحب أمواله ، وكان ابن الزيات إناب ودارته قد اتحد نوراً من حديد ، وأطراف مساميره إلى داخل ، وهى قائمة مثل رؤوس المسالّة ، يمدب فيه من يستحقون العقوبة وكان إذا قال أحدهم أرحمى أيها الورر . قال له : الرحمة حور فى الطيعة ، فلما اعقله المتوكل أمر بإدخاله فى التنور ، وقيده بحمسة عشر رطلا من الحديد ، وقال : يا أمير المؤمنين أرحمى ، فقال له : الرحمة حور الطيعة ، ونفى فى العذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٣٣ هـ .

[٢] السمل : الخلق من الثياب .



١٤٠ - أبو العيناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قدِموا إلى  
«سُرْمَنْ رَأَى» يَدَا عَلِيٍّ ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرًا ،  
فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :  
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .  
( زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والعقد الرريد ١ : ١٤١ )

تم الجزء الثالث

ويلى

ذيل الجمهرة



فهرس

## الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

### الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

| الخطبة أو الوصية                              | رقم الصفحة | رقم الخطبة |
|-----------------------------------------------|------------|------------|
| خطبة أبي العباس السفاح وقد توبع بالخلافة      | ١          | ١          |
| » داود بن عليّ                                | ٢          | ٣          |
| » داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح            | ٣          | ٦          |
| » أخرى له                                     | ٤          | ٧          |
| » » للسفاح بالكوفة                            | ٥          | ٧          |
| » » السفاح بالشام حين قتل مروان               | ٦          | ٨          |
| » عيسى بن عليّ » » »                          | ٧          | ٨          |
| » داود بن عليّ بمكة                           | ٨          | ٩          |
| خطبته بالمدينة                                | ٩          | ١٠         |
| خطبة أخرى له                                  | ١٠         | ١٠         |
| خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس | ١١         | ١١         |
| » وقد أرتج عليه                               | ١٢         | ١٢         |
| خطبة صالح بن عليّ                             | ١٣         | ١٣         |
| » سديف بن ميمون                               | ١٤         | ١٣         |
| » أبي مسلم الحراساني                          | ١٥         | ١٥         |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

|    |    |                                                 |
|----|----|-------------------------------------------------|
| ١٧ | ١٦ | خالد بن صفوان وأخوال السفاح                     |
| ١٩ | ١٧ | » » » ورجل من بني عبد الدار                     |
| ٢٠ | ١٨ | » » » يرثي صديقاً له                            |
| ٢٠ | ١٩ | » » » يمدح رجلاً                                |
| ٢٠ | ٢٠ | كلمات بليغة لخالد بن صفوان                      |
| ٢١ | ٢١ | عمارة بن حمزة والسفاح                           |
| ٢٢ |    | خطب أبي جعفر المنصور                            |
| ٢٢ | ٢٢ | خطبته بمكة                                      |
| ٢٢ | ٢٣ | » » بعد بناء ببغداد                             |
| ٢٣ | ٢٤ | » ببغداد                                        |
| ٢٣ | ٢٥ | » وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته           |
| ٢٦ | ٢٦ | » حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن |
| ٢٦ | ٢٧ | » وقد قتل أبا مسلم الخراساني                    |
| ٢٧ | ٢٨ | خطبة أخرى                                       |
| ٢٧ | ٢٩ | قوله وقد قوطع في خطبته                          |
| ٢٨ | ٣٠ | المنصور يصف خلفاء بني أمية                      |
| ٢٩ | ٣١ | » » عبد الرحمن الداخل                           |
| ٢٩ |    | وصايا المنصور لابنه المهدي                      |
| ٢٩ | ٣٢ | وصية له                                         |
| ٣٠ | ٣٣ | » أخرى له                                       |
| ٣١ | ٣٤ | » » »                                           |
| ٣٢ | ٣٥ | خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور           |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

|                                                  |    |    |
|--------------------------------------------------|----|----|
| وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه     | ٣٦ | ٣٣ |
| قوله وقد قتل ابنه محمد                           | ٣٧ | ٣٤ |
| امراة محمد بن عبد الله والمنصور                  | ٣٨ | ٣٤ |
| جعفر الصادق والمنصور                             | ٣٩ | ٣٥ |
| صفح المنصور عن سفیان بن معاوية بن يزيد بن المهلب | ٤٠ | ٣٦ |
| استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور               | ٤١ | ٣٧ |
| » » » المنصور أيضاً                              | ٤٢ | ٣٨ |
| أبو جعفر المنصور والربيع                         | ٤٣ | ٣٩ |
| مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور                | ٤٤ | ٤٠ |
| » رجل من الزهاد » » »                            | ٤٥ | ٤٠ |
| » الأوزاعي بين يدي المنصور                       | ٤٦ | ٤٣ |
| نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور               | ٤٧ | ٤٦ |
| معن بن زائدة والمنصور                            | ٤٨ | ٤٧ |
| » » » وأحد زوّاره                                | ٤٩ | ٤٨ |
| المنصور وأحد الأعراب                             | ٥٠ | ٤٨ |
| أعرابية تعزى المنصور وتهنئته                     | ٥١ | ٤٨ |
| خطبة محمد بن سليمان                              | ٥٢ | ٤٩ |
| وصية مسلم بن قتيبة                               | ٥٣ | ٤٩ |
| خطبة المهدي                                      | ٥٤ | ٥٠ |

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان

|                        |    |    |
|------------------------|----|----|
| مقال سلام صاحب المظالم | ٥٥ | ٥٣ |
| » الربيع بن يونس       | ٥٦ | ٥٤ |
| » الفضل بن العباس      | ٥٧ | ٥٥ |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

|                                                           |    |    |
|-----------------------------------------------------------|----|----|
| مقال طليّ بن المهدي                                       | ٥٨ | ٥٧ |
| » موسى بن المهدي                                          | ٥٩ | ٥٩ |
| » العباس بن محمد                                          | ٦٠ | ٦٠ |
| » هرون بن المهدي                                          | ٦١ | ٦٢ |
| » صالح بن طليّ                                            | ٦٢ | ٦٤ |
| » محمد بن الليث                                           | ٦٣ | ٦٤ |
| » معاوية بن عبد الله                                      | ٦٤ | ٦٦ |
| » المهدي                                                  | ٦٥ | ٦٨ |
| » محمد بن الليث                                           | ٦٦ | ٧٠ |
| » المهدي                                                  | ٦٧ | ٧١ |
| ابن عتبة يعزى المهدي ويهنئه                               | ٦٨ | ٧٤ |
| يعقوب بن داود يستعطف المهدي                               | ٦٩ | ٧٤ |
| رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي                       | ٧٠ | ٧٥ |
| مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي                    | ٧١ | ٧٥ |
| عظلة شبيب بن شيبه للمهدي                                  | ٧٢ | ٧٦ |
| خطبته في تعزية المهدي بابنته                              | ٧٣ | ٧٦ |
| خطبة أخرى له في مدح الخليفة                               | ٧٤ | ٧٧ |
| كلمات لشبيب بن شيبه                                       | ٧٥ | ٧٨ |
| خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد الخلافة | ٧٦ | ٧٨ |
| خطبة هرون الرشيد                                          | ٧٧ | ٨٠ |
| وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين                             | ٧٨ | ٨٢ |
| خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي                                | ٧٩ | ٨٢ |
| استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد                            | ٨٠ | ٨٥ |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

|                                         |     |     |
|-----------------------------------------|-----|-----|
| خطبة يزيد بن يزيد الشيباني              | ٨١  | ٨٩  |
| » عبد الملك بن صالح                     | ٨٢  | ٩٠  |
| عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته    | ٨٣  | ٩٠  |
| غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح        | ٨٤  | ٩٠  |
| قوله بعد خروجه من السجن                 | ٨٥  | ٩٤  |
| وصية عبد الملك بن صالح لابنه            | ٨٦  | ٩٥  |
| » أخرى له                               | ٨٧  | ٩٧  |
| كلمات حكيمة لابن السماك                 | ٨٨  | ٩٧  |
| ابن السماك ولرشيد                       | ٨٩  | ٩٧  |
| الفتنة بين الأمين والمأمون              |     | ٩٩  |
| وفد الأمين إلى المأمون                  |     |     |
| خطبة العباس بن موسى                     | ٩٠  | ٩٩  |
| » عيسى بن جعفر                          | ٩١  | ١٠٠ |
| » محمد بن عيسى بن نهيك                  | ٩٢  | ١٠٠ |
| » صالح صاحب المصلى                      | ٩٣  | ١٠١ |
| » المأمون                               | ٩٤  | ١٠١ |
| وصية السيدة زبيدة لعلی بن عيسى بن ماهان | ٩٥  | ١٠٢ |
| » الأمين لابن ماهان                     | ٩٦  | ١٠٣ |
| استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين   | ٩٧  | ١٠٤ |
| حزم طاهر وقوة عزمه                      | ٩٨  | ١٠٥ |
| طاهر يشد عزيمة جنده                     | ٩٩  | ١٠٦ |
| وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين         | ١٠٠ | ١٠٧ |
| وصية الأمين لأحمد بن يزيد               | ١٠١ | ١٠٨ |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

|     |     |                                                         |
|-----|-----|---------------------------------------------------------|
| ١٠٩ | ١٠٢ | مقال عبد الملك بن صالح للأمين                           |
| ١١٠ | ١٠٣ | الشغب في جيش عبد الملك بن صالح                          |
| ١١١ | ١٠٤ | خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين |
| ١١٢ | ١٠٥ | » محمد بن أبي خالد                                      |
| ١١٣ | ١٠٦ | إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة              |
| ١١٤ | ١٠٧ | خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين                   |
| ١١٥ | ١٠٨ | » الأمين وقد تولى الأمر عنه                             |
| ١١٧ | ١٠٩ | استعطاف الفضل بن الربيع للأمين                          |
| ١١٨ | ١١٠ | خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين              |

خطب المأمون

١١٩

|     |     |                               |
|-----|-----|-------------------------------|
| ١١٩ | ١١١ | خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد |
| ١١٩ | ١١٢ | » وقد سلم الناس عليه بالخلافة |
| ١٢٠ | ١١٣ | » يوم الجمعة                  |
| ١٢١ | ١١٤ | » يوم الأضحي                  |
| ١٢٢ | ١١٥ | » يوم الفطر                   |

|     |     |                                           |
|-----|-----|-------------------------------------------|
| ١٢٤ | ١١٦ | خطبة ابن طباطبا العلوي                    |
| ١٢٥ | ١١٧ | استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون         |
| ١٢٧ | ١١٨ | إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب          |
| ١٢٨ | ١١٩ | استعطاف إسحاق بن العباس المأمون           |
| ١٢٩ | ١٢٠ | أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها     |
| ١٣٠ | ١٢١ | أحد أهل الكوفة يمدح المأمون               |
| ١٣٠ | ١٢٢ | محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

|                                                                           |     |     |
|---------------------------------------------------------------------------|-----|-----|
| الحسن بن سهل يمدح المأمون                                                 | ١٢٣ | ١٣٠ |
| يحيى بن أكثم يمدح المأمون                                                 | ١٢٤ | ١٣١ |
| أحد بنى هاشم والمأمون                                                     | ١٢٥ | ١٣٢ |
| رجل يتظلم إلى المأمون                                                     | ١٢٦ | ١٣٢ |
| عمرو بن سعيد والمأمون                                                     | ١٢٧ | ١٣٢ |
| الحسن بن رجاء والمأمون                                                    | ١٢٨ | ١٣٣ |
| سعيد بن مسلم والمأمون                                                     | ١٢٩ | ١٣٣ |
| أبو زهمان يعط سعيد بن مسلم                                                | ١٣٠ | ١٣٤ |
| وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما | ١٣١ | ١٣٤ |
| خطبة عبد الله بن طاهر                                                     | ١٣٢ | ١٤٦ |
| العباس بن المأمون والمعتصم                                                | ١٣٣ | ١٤٧ |
| استعطاف تميم بن جميل للمعتصم                                              | ١٣٤ | ١٤٧ |
| بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله                                   | ١٣٥ | ١٤٩ |
| أحمد بن أبي دواد والوائق                                                  | ١٣٦ | ١٤٩ |
| ابن أبي دواد والوائق أيضاً                                                | ١٣٧ | ١٥٠ |
| ابن أبي دواد وابن الزيات                                                  | ١٣٨ | ١٥٠ |
| الجاحظ وابن أبي دواد                                                      | ١٣٩ | ١٥١ |
| أبو العيناء وابن أبي دواد                                                 | ١٤٠ | ١٥٢ |



# فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>- ح -</p> <p>الحارث بن عبد الرحمن ٣٧</p> <p>الحسن بن رجاء ١٣٣</p> <p>الحسن بن سهل ١٣٠</p> <p>الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١١</p> <p>- خ -</p> <p>خالد بن صفوان ٢٠ - ١٩ - ١٧</p> <p>- د -</p> <p>داود بن علي</p> <p>٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢</p> <p>داود بن عيسى ١١٤</p> <p>- ر -</p> <p>الربيع بن يونس ٥٤ - ٣٩</p> <p>- ز -</p> <p>السيدة زبيدة ١٠٢</p> <p>- س -</p> <p>سديف بن ميمون ١٣</p> <p>سميد بن مسلم ١٣٣</p> <p>سلام (صاحب المظالم) ٥٣</p> <p>- ش -</p> <p>شبيب بن شبة ٧٨ - ٧٧ - ٧٦</p> | <p>- ا -</p> <p>إبراهيم بن المهدي ١٢٧ - ١٢٥</p> <p>ابن السماك ٩٧</p> <p>ابن طباطبا العلوي ١٢٤</p> <p>ابن عتبة ٧٤</p> <p>أبو جعفر للنصور ٢٦ - ٢٣ - ٢٢</p> <p>٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦</p> <p>أبو زهمان العلوي ١٣٤</p> <p>أبو العباس السفاح ٨ - ٧ - ١</p> <p>أبو مسلم الخراساني ١٥</p> <p>أحمد بن أبي دواد ١٥٢ ١٥٠ - ١٤٩</p> <p>إسحاق بن العباس ١٢٨</p> <p>أم جعفر بن يحيى ٨٥</p> <p>الأمين ١١٥ - ١٠٨ - ١٠٣</p> <p>الأوزاعي ٤٣</p> <p>- ت -</p> <p>تميم بن جميل ١٤٧</p> <p>- ج -</p> <p>الجاحظ ١٥١</p> <p>جعفر الصادق ٣٥</p> <p>جعفر بن يحيى البرمكي ٨٢</p> |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

- ص -

صالح (صاحب المصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ٦٤ - ١٣

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥ - ١٠٦ - ١١٨ - ١٣٤

- ع -

العباس بن المأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣ - ٣٤

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٩

عثمان بن خزيمة ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفضل بن الربيع ١٠٧ - ١١٧

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

المأمون ١٠١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤ - ٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠ - ٦٨ - ٧١

- ن -

النفيس الزكية ٣٢

- ه -

المسادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢ - ٨٠ - ٨٢

- ي -

يحيى بن أكثم ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة ٤٦

يزيد بن مزيد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صبيح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطباء

جدول الخطأ والصواب

| الخطأ       | الخطأ    | الخطأ | الخطأ |
|-------------|----------|-------|-------|
| الخطأ       | الخطأ    | الخطأ | الخطأ |
| أرومض       | أرومض    | ٢١    | ٤     |
| لأولي       | لأولي    | ٨     | ١٧    |
| ثقلت        | ثقلت     | ٧     | ٣٩    |
| إن          | إن       | ١٠    | ٤٣    |
| المنصور     | المنصور  | ٨     | ٤٤    |
| سجالها      | سجالها   | ٩     | ٥٣    |
| الخطب       | الخطب    | ١٠    | ٥٧    |
| م.          | م.       | ١٠    | ٦٠    |
| بالمعدلة    | بالمعدلة | ١٤    | ٦٩    |
| حُسْنَه     | محسنه    | ١٨    | ٧٧    |
| الرشد       | الرشيد   | ٥     | ١٠٠   |
| كل ما أوصيك | كل أوصيك | ١٩    | ١٠٣   |

ذِيكَ

لجميعهم خطيب العرب

في عصور الغريب الزاهرة

ويحوى خمسة أبواب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

» الثالث : في نثر الأعراب

» الرابع : في خطب النكاح

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة

لبعض الخطباء .

## فهرس المآخذ

- نفع الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمح الأنفس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لمحي الدين بن على المراكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهاني : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للسعودى : الجزء الثانى

- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري
  - : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
  - : سرح العيون : لابن نباتة المصرى
  - : سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزى
  - : مواسم الأدب للسيد جعفر البيهقي العلوى : الجزء الثانى
  - : بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
  - : مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
- 



## الباب الأول

في

### خطب الأندلسيين والمغاربة

١ — خطبة عبد الرحمن الداخل ( المتوفى سنة ١٧١ هـ )

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل<sup>(١)</sup> ، يوم حربه مع يوسف الفهري<sup>(٢)</sup> صاحب الأندلس ، ورأى شدة مُقاساة أصحابه قال :  
« هذا اليوم هو أسُّ ما مُيْنَى عليه ، إِمَّا ذلَّ الدهر ، وإِمَّا عَزَّ الدهر ،  
فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْبَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون .  
ولما أَنَحَى أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قُرطبة قال :

---

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمعرق ما أصابها ، وتذبح السفاح من يقي من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واستطاع بهيمته أن يؤسس هناك دولة أورثها دقبه حقبة من الدهر ، وهي دولة بني أمية في المغرب من سنة ١٢٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت حاضرة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير .  
[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع باني القيروان ، وأمير معاوية على أفريقية والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ فدان له تسع سنين وتسعة أشهر ، ومنه انتقل سلطانها إلى بني أمية .

« لا تستأصلوا شأفة <sup>(١)</sup> أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدَّ عداوةً منهم »  
- يشير إلى استبقائهم ، ليُستعان بهم على أعداء الدين - . (نفع الطيب ٢ : ٧٠)

## ٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر الوفود إلى قُرطبة ، فانتالوا <sup>(٢)</sup> عليه ، ووالى القعود لهم فى قصره عدة أيام ، فى مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم ، بكلامٍ سرهم ، وطيب نفوسهم .  
وفى بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين <sup>(٣)</sup> يستجديه ، فقال له :

« يا بن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك فرزت ، وبك غُذت ، من زمن ظلوم ، ودهرٍ غشوم ، قلل المال ، وكثر العيال ، وشعثت <sup>(٤)</sup> الحال ، فصيرت إلى نذاك المآل ، وأنت ولى الحمد والمجد ، والمرجو للرِّفْد <sup>(٥)</sup> .  
فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقاتلتك ، وقضينا حاجتك ، وأمرنا بعمونك على دهرك ، على كُرهننا لسوء مقامك ، فلا تعودن ولا سواك لمثله ، من إراقة ماء وجهك بتصریح المسألة ، والإلحاف فى الطلبة <sup>(٦)</sup> ، وإذا ألم بك خطب ، أو حزبك <sup>(٧)</sup> أمر ، فارفعه إلينا فى رُقعة لا تعدوك ، كما نستُر عليك خلتك ، ونكفُ شمت العدو عنك ، بعد رفعك لها إلى مالِكِك ومالِكنا - عزَّ وجهه - بإخلاص الدعاء ، وصدق النية » .

[١] الشأفة : قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ، واستأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك القرحة ، أو معناه أزاله من أصله .

[٢] انتال : انصب ، أى تابعوا وتوافدوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شعث الأمر : نصره وفرقه . [٥] الرِّفْد : العطاء والصلوة .

[٦] الطلبة : الطلب . [٧] أى اشتدَّ عليك ، والحلة : الحاجة .



وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقه ، وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعدُ ذو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

( نفع الطيب ٢ : ٦٨ )

٣ — عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سر قسطة

ولما فتح عبد الرحمن الداخل سر قسطة<sup>(١)</sup> ، وَحَصَلَ في يده ثأرُها الحسين الأنصاري ، وانتهى نصره فيها إلى غاية أمله ، أقبل خواصه يهنئونه ، فجرى بينهم أحدٌ من لا يؤثبه به من الجند ، فهتأ بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أُسْبِغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّعْمَةُ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، فَأَوْجَبَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَنْ أُنْعِمَ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لأَصْلَيْتُكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ سُوءِ النَّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبَلَ مُهْنَتًا رَافِعًا صَوْتَكَ ، غَيْرَ مُتَلَجِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخَاطَبُ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ ! وَإِنْ جَهَلْتُكَ لِيَحْمِلَكَ عَلَى الْعَوْدِ لِمَثَلِهَا ، فَلَا تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مِثْلِهَا مِنْ عَقُوبَةٍ . فَقَالَ : « وَلَعَلَّ فَتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنُ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذَنْوِي ، فَتَشْفَعَ لِي مَتَى آتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الزَّلَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ لَكَ تَعَالَى » . .

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نبهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينهنا عليها ، ورفع مرتبته وزاد في عطائه . ( نفع الطيب ٢ : ٧٠ )

٤ — تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كَانَ الْمَنْذَرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ<sup>(٢)</sup> سَيِّئُ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَثِيرُ الْإِسْفَاءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، مُفْرِطُ الْقَلَقِ مِمَّا يَقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مُعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط ( الثاني ) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقةً من ثقاته أن يبنى بجبل منقطع عن العمران بناءً يُسكن فيه ابنه ، وألاً يدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر في ذلك المكان ، وبقي وحده ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ، ضجروا وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمانى وأصحابى آنسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه <sup>(١)</sup> بمكانه ، فلما وقف الأمير على رقعته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقعتك ، تشكو ما أصابك من توحش الانفراد ، في ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بمخوِّلك <sup>(٢)</sup> وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سُكنائك في ذلك المكان ، وما فعلتُ ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك تُكثر الضجّر والتشكى من القال والْقِيل ، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وَيَنِمُّ ، حتى تستريح منهم » .

فقال له : « سماعُ ما كنت أضجّرُ منه ، أخفُّ على من التوحد والتوحش ، والتخلّى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي » .

فقال له : « فَإِذْ قد عَرَفْتَ وتأدَّبْتَ ، فارجع إلى ما اعتدته ، وَعَوِّلْ على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تَر ، وقد قال النبي صلى الله

[١] وس الكتاب : « إني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه من كنت آس إليه ، وأصبحت مسلوب العز ، فقيد الأمر والنهي ، فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبته ، وعلمه مولاي ولم أعلمه ، فإني صابر على تأديبه ، ضارع إليه في عفوه وصفحته .

وإني أمير المؤمنين وفعله كالدهر ، لا طار بمافعل الدهر »

[٢] الحول : مثال الخدم والحشم وزنا ومعنى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقرب الناسِ إلىَّ ، وأحبهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارِ عليَّ ، وسُخْط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسَرٍّ بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لذو هِمَّةٍ ومطمَح ، ومن يكن هكذا يَصْبِرُ وَيُغْضِ وَيَحْمِلُ ، وَيُبْدِلُ بالعقاب الثوابَ ، ويصيرُ الأعداء من قبيل الأَصْحَابِ ، ويصبر من الشخص على ما يسوء ، فقد يَرَى منه بعد ذلك ما يَسُرُّ ، ولقد يخِفُّ عليَّ اليومَ مَنْ قاسيتُ من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لما ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي مِمَّنْ يُحْسِنُ وَيُسِيءُ ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيء يعود محسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ، وصرتُ أندم على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أندم على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني معالي الأمور ، وإنَّ جَماعها في التفاضل ، ومن لا يتفاضل لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّبُ منه جانبٌ ، ولا ينال ما تترقى إليه هِمَّتُه ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُمِيناً حين يَحْتَاجُ إليه .

فقبل المنذريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تخلَّق بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورُفِعَ قدره . (فتح الطيب ٢ : ٣٢٧)

ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك آتيةً مُفَرِّطاً ، فقال له : حَقُّ لفرع أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن العيون تَمُجُّ التَّيَّاهَ ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال :

يا أبى ، لى من العزّ والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَجِلُّ<sup>(١)</sup> عن ذلك ، وإنى لم أر العيون إلا مُقبلةً علىّ ، ولا الأسماع إلا مُصغيةً إلىّ ، وإن لهذا السلطان رَوْناً يُريقه التبدّل ، وعلوّاً يَخْفِضُهُ الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التّيه والانتقباض<sup>(٢)</sup> ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يَسْبُرُون<sup>(٣)</sup> به الرجل منا ، فإن رأوه راجحاً ، عرّفوا له قدر رجاحته ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه بنقصه ، وصيّروا تواضعه صِغراً ، وتخفّضه خِسةً ، فقال له أبوه : لله أنت ! فابق وما رأيت .  
( فتح الطيب ٢ : ٣٢٩ )

## ٦ — يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كان مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خُدّام يعقوب : هذا اللّئيم له دينٌ عندنا يَقْتَضِيهِ ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك مجبولاً على كُرّه ربّ الصنائع ، فاجر على ما جُبِلَتْ عليه فى نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعْدِي غيْرَه ، وإن هذا رجل قَصَدْنَا قَبْلُ ، فكان منا ما أَسِرَ<sup>(٤)</sup> به ، وحمله على العودة ، وقد ظن فينا خيراً ، فلا تخيّب ظنّه ، والحديث أبداً يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يُطِيلَ عمرنا ، حتى يكثر ترّداده ، ويُديم نعمنا حتى

[١] فى الأصل : « يحمل » ، وأرى صوابه : « يحلّ » .

[٢] جرى فى ذلك على سنن أئى مسلم الحراسانى ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تكلموا الناس إلا رمزاً ، ولا تلاحظوهم الا شزرا ، لتمتلى صدورهم من هيبتكم » — انظر العقد الفريد ٢ : ٢٩٩ —

[٣] السبر : امتحان غور الجرح . [٤] أشر : مرج .

نجد ما تُنعم به عليه ، ويحفظ علينا مَرْوَةً ، حتى يعيننا على التَّجَمُّلِ معه ، ولا يُبَلِّغنا بِجَلِيسٍ مِثْلِكَ ، يَقْبِضُ أَيْدِيَنَا عَنْ إِسْدَاءِ الْأَيْدَى .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان

ما دام العمر . ( فتح الطيب ٢ : ٣٣٠ )

## ٧ — وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز

واعذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كَانَ الْوَزِيرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَانِمٍ صَدِيقًا لِلْوَزِيرِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثَابِتًا عَلَى مَوَدَّتِهِ ، فَلَمَّا قَضَى اللَّهُ عَلَى هَاشِمٍ بِالْأَسْرِ ، أَجْرَى السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ<sup>(١)</sup> ذِكْرَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خُدَّامِهِ ، وَالْوَلِيدُ حَاضِرٌ ، فَنَسَبَهُ إِلَى الطَّيْشِ وَالْمَجَلَّةِ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِرَأْيِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ اعْتَذَرَ عَنْهُ غَيْرَ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ :

« أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمِيرَ ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَاشِمٍ التَّخِيرُ فِي الْأُمُورِ ، وَلَا

الْخُرُوجُ عَنِ الْمَقْدُورِ ، بَلْ قَدْ اسْتَعْمَلَ جَهْدَهُ ، وَاسْتَفْرَغَ نَصَحَتَهُ ، وَقَضَى حَقَّ الْإِقْدَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَكَ النَّصْرِيَّةَ ، نَفَذَهُ مِنْ وَثَاقٍ بِهِ ، وَنَكَلَ عَنْهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُزْجِزْ قَدَمَهُ عَنْ مَوْطِنِ حِفَاطِهِ ، حَتَّى مُلِكَ مُقْبَلًا غَيْرَ مُذِيرٍ ، مُبْلِيًا غَيْرَ فَشِلٍ ، فُجُوزِي خَيْرًا عَنْ نَفْسِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَإِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلْمَلَامِ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَعَلَتْهُ الْحَرْبُ الْغَشُومَ ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَا قَصَدَ أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ إِلَّا رِضًا لِلْأَمِيرِ ، وَاجْتِنَابًا لِسُخْطِهِ ، فَإِذَا كَانَ مَا اعْتَمَدَ فِيهِ الرِّضَا جَالِبَ التَّقْصِيرِ ، فَذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي سُوءِ الْحِظِّ .

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ إلى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان غزاة لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر أو أكثر يحرق وينسف ، وله في العدو وقعة وادي سليط ، وهي من أهمّات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها .

فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنفيذ هاشم ، وسمى  
في تخلصه . ( فتح الطيب ٢ . ٢٣٠ )

## ٨ — خطبة منذر بن سعيد البلوطي<sup>(١)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٥ هـ )

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله<sup>(٢)</sup> ، بلغ من عزّة  
الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجة تزُدِّلِفُ إليه ،  
تطلب مُهادّته ، وتُهدِي إليه أنفس الذخائر ، ومن جملتهم قسطنطين بن ليون  
صاحب القسطنطينية ، فقد رَغِبَ في موادعته ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ  
وفداً من قبله بهدية له ، فتأهَّب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً  
رائعاً ، أَحَبَّ أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ،  
وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهباً من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير  
الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم  
صنيعة الفقيه محمد بن عبد البرّ بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف  
الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ،  
بهَرَه هولُ المقام ، وأبْهَتَه الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غُشِيَ عليه وسقط

---

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد المعارضة  
حاضر الجواب عتيده ، ثابته الحجة ، ولى بقرطبة قضاء الجماعة — المعبر عنه في المشرق بقضاء القضاة —  
لعبد الرحمن الناصر ، ثم لابنه الحكم المستنصر ، ستة عشر عاماً من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، لم يحفظ  
عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بغير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن  
عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أنفراء بني  
أمية بالأندلس بأمر المؤمنين عندما التفت أمر الخلافة بالشرق ، وغلب موالى الترك على بني العباس ، وبلغه  
أن المفتدّر قتله مولاه مؤنس المظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالى - صاحب الأمالى ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : ثم فارق هذا الوهى <sup>(١)</sup> ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً فى كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطى - وكان ممن حضر فى زُمرّة الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مِرقاته ، فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كَانَ يَسُحُّه سَحّاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، وَالتَّمْدَادُ لآلَائِهِ ، والشكر لِنِعْمَائِهِ ، والصلاة والسلام على محمد صَفِيَّهِ وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حَادِثَةٍ مَقَامًا ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقّ إلا الضلال ، وإني قد قمتُ فى مقام كريم ، بين يَدَيِّ مَلِكٍ عَظِيمٍ ، فَأَضَعُوا <sup>(٢)</sup> إِلَى مَعَشَرَ الْمَلَأِ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَاتَّقِنُوا عَنِي <sup>(٣)</sup> بِأَقْدَتِكُمْ ، إن من الحق أن يقال لِلْمُحِقِّ صِدْقٌ ، وَلِلْمُبْطِلِ كَذِبٌ ، وإن الجليلَ تعالى فى سَمَائِهِ ، وَتَقَدَّسَ فى صفاته وأَسْمَائِهِ ، أمر كَلِيمَهُ موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم ، وفيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَإِنِى أَذْكُرُكُمْ أَيَّامَ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّتِى لَمْتُ شَعَثَكُمْ ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ <sup>(٤)</sup> ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقوّاكم ، وَمُسْتَذَلِّينَ فَنَصَرَكُمْ ، وَلَاءَ اللَّهِ رِعَايَتَكُمْ ، وَأَسْنَدَ

[١] الوهى : الشق فى الشيء . [٢] الذى فى كتب اللغة : « أصنى إليه سمعه : أماله ، وأصنى

إليه : مال به سمعه نحوه » ولعل زيادة الباء فى « بأسماعكم » من اللساخ لا من الخطيب .

[٣] هكذا فى نفع الطيب ، وفى مطبع الأنفس : « ومنوا على بأقْدَتِكُمْ » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضَرَبَتِ الفتنَةُ سُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعَلُ النفاق ، حتى صرتم في مِثْلِ حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء <sup>(١)</sup> ، وانتقلتم بِمِئْنِ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ العافية بعد استيطان البلاء .

أَنْشُدْكُمْ بالله معاشرَ المَلَأَ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحَقَّنَهَا ، وَالسُّبُلَ مَحْوُوفَةً ، فَأَمَّنَهَا ، والأموال منتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا ؟ ألم تكن البلاد خراباً فَعَمَّرَهَا ، وثغور المسلمين مُهْتَزَّضَةً فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاءَ الله عليكم بخلافته ، وتلا فيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وَشَقَى صدوركم ، وَصَرِّمَ يداً على عدوكم ، بعد أن كَانَ بِأُسُكُمْ بينكم .

فَأَنْشُدْكُمْ الله ، ألم تكن خلافته قُفْلُ الفتنَةِ بعد انطلاقها من عِقَالِهَا ؟ ألم يَتَلَاَفَ صَلَاحُ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ؟ ولم يَكِلْ ذلك إلى القُوَادِ والأجناد ، حتى باشره بالقُوَّةَ وَالْمُهْجَةَ والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، وَرَفَضَ الدَّعَةَ ، وهي محبوبة ، وترك الرُّكُونَ إلى الراحة ، وهي مطلوبة ، بِطَوِيَّةٍ صَحِيحَةٍ ، وعزيمة صريحة ، وبصيرة ثابتة ، نافذة ثاقبة ، وريح هابئة غالبة ، وَنُصْرَةً من الله واقعة واجبة ، وَسُلْطَانٍ قاهر ، وَجِدِّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متَحَمِّلاً لِلنَّصَبِ ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنَةِ عند حَدِيثِهَا ، ولم يبق لها غَارِبٌ إِلَّا جَبَّهُ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا نَجَمَ <sup>(٣)</sup> لأهلها قَرْنٌ إِلَّا جَدَّهُ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] الغارب : الكاهل ، أو ما بين السنام والعنق ، وجَّهه : قطعه .

[٣] في الأصل : « نَجَم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أى ظهر وطلع ، وجده : قطعه .



فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، و بَلَّمَ أمير المؤمنين لشَعَثِكُمْ على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأَقْصَيْنِ والأَذْنَيْنِ مستخدمةً إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍّ عميق ، وبلد سَحِيق <sup>(١)</sup> ، لأخذ حَبْل <sup>(٢)</sup> بينه وبينكم جُمْلَةً وتفصيلاً ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وإن يُخْلَفَ الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وَجَفَنَهَا غير نائم « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَهَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، وليس في تصديق ما وَعَدَ اللَّهُ ارتياب ، ولكل نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ، ولكل أجلٍ كتابٌ ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين <sup>(٣)</sup> خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعِصْمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قراراً ، وأمنعهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تُهاجون ولا تُذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عمّ نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، وَمَرَقَ من الدين ، فقد خَسِرَ الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أى معاودة بينه وبينكم . [٣] هكذا في فتح الطيب ، ومطمح الأنفس ، ولعلّ صوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق بِعِصْمَتِهَا ، والتمسك بِعُرْوَتِهَا ، حفظ الأموال ، وَحَقْنُ الدماء ، وصِلَاحُ الْخَاصَّةِ وَالذَّهْمَاءِ <sup>(١)</sup> ، وَأَنْ بَدَاوِمَ <sup>(٢)</sup> الطَّاعَةِ تُقَامُ الْحُدُودُ ، وَتُوفَّى الْعُهُودُ ، وَبِهَا وَصِلَتِ الْأَرْحَامُ ، وَوَضَحَتِ الْأَحْكَامُ ، وَبِهَا سَدَّ اللَّهُ الْخَلَلَ ، وَأَمَّنَ السَّبَلَ ، وَوَطَّأَ الْأَكْنَافَ ، وَرَفَعَ الْاِخْتِلَافَ ، وَبِهَا طَابَ لَكُمْ الْقَرَارُ ، وَاطْمَأْنَنْتُمْ بِكُمْ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ بِالْاِعْتِصَامِ بِهِ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَحَاطَ بِكُمْ فِي جَزِيرَتِكُمْ هَذِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَشْرُوكِينَ ، وَصَنُوفِ الْمُلْحِدِينَ السَّاعِينَ فِي شَقٍّ عَصَاكُمْ ، وَتَفْرِيقِ مَلَئِكِكُمْ ، الْآخِذِينَ فِي مَخَاذِلِ دِينِكُمْ ، وَهَتْكِ حَرِيمِكُمْ ، وَتَوْهِينِ دَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَخْتِمُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مُسْتَغْفِرًا لِلَّهِ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ ، فَهُوَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وَكَانَ النَّاصِرُ أَشَدَّهُمْ تَعْجَبًا مِنْهُ ، فَوَلَّاهُ الصَّلَاةَ وَالْخُطَابَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالزَّهْرَاءِ ، ثُمَّ تُوفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْقَاضِي ، فَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَةِ ، وَأَقَرَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ بِالزَّهْرَاءِ . ( نفح الطيب ١ : ١٧٢ ، ومطمح الأفس ص ٤٣ )

## ٩ — خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ، أَنْ قَالَ :

« حَتَّى مَتَى ، وَإِلَى مَتَى ، أَعْظِ وَلَا أَتَعِظْ ، وَأَزْجُرْ وَلَا أَنْزَجِرْ ؟ أَدُلُّ الطَّرِيقَ

[١] الذَّهْمَاءُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ . [٢] فِي الْأَصْلِ : « بَقَوَامِ » ، وَأُظْهِرَ : « بَدَوَامِ » .

إلى المستدلين ، وأُبْقِيَ مَقِيماً مع الحائرِينَ ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن  
هِيَ إِلَّا فَتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا  
تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ ، وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ،  
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . ( نفع الطيب ١ : ٢٢٢ )

١٠ — أحد حساد الرمادى الشاعر والمنصور بن أبي عامر  
( المتوفى سنة ٣٩٤ هـ )

وقال المنصور بن أبي عامر المُعَاْفِرِيّ <sup>(١)</sup> يوماً لأبي عمر يوسف الرمادى  
الشاعر : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك <sup>(٢)</sup> » ،  
فأطرق المنصور كالغضبان ، فَأَنْسَلَ الرمادى وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَر منه ،  
وجعل يقول : أَخْطَأْتُ ! لا والله ، ما يُفْلِحُ مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كَانَ  
ضَرَّرَنِي لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتمنطقتُ بالجوزاء ! وأنشد :  
متى يَأْتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قد قَضَيْتُ قضاءها  
وكان في المجلس من يحسُّده على مكانه من المنصور ، فوجد قُرْصَةً فقال :

[١] هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك  
المعافري . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عطيماً في قومه ، وله في الفتح أثر ، وكان  
الحكم بن الناصر قد استوزر ابن أبي عامر ، وفوّض إليه أموره ، وترقت حاله عنده ، ثم توفي الحكم  
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت سنة تسع سنين ، فحدث ابن أبي عامر نفسه بالتغلب عليه  
لصغر سنه ، وتم له ما أُمِل ، فتغلب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يحيا بتحية الملوك ، وتسمى  
بالحاحب المنصور ، ونهدت الكتب والمحاطبات والأواسر باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدماء  
للخليفة ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على المنابر ، وكتابة اسمه في السكة والطرر ،  
وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .  
[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يعطيه مثلك مثلي » .

« وَصَلَ اللَّهُ لَمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَةَ ، إِنَّ هَذَا الصَّنِيفَ صَنْفُ زُورٍ وَهَذَيَانٌ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا <sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابُ مَنْ غَلَبَ ، وَأَصْحَابُ مَنْ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْابْتِعَادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنَ الْاقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسَنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

\* \* \*

فرقع المنصور رأسه - وكان مُحَامِي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال :

« مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسِيئُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَذَرُونَ ، أَيُرْضَى أَمْ يُسَخِطُ ؟ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُبْتَغِثُ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَحَسَدُكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ - لَا عَلَيْهِمْ حَسَدٌ وَهُوَ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا غَرَضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ <sup>(٢)</sup> ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا ، وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَجِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَالِيَةِ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الْإِلَّةُ : الْعَهْدُ .

[٢] مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « تَقْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ طَمَعُ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الناصر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،  
والله لو حكمته في بيوت الأموال ، لرأيت أنها لا ترجع ما تكلم به قلبه ذرةً ،  
وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا  
تحكموا علينا في أوليائنا ، ولو أبصرتم منا التغير عليهم ، فإننا لا نتغير عليهم  
بغضاً لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إبعاده لم نُظهر له  
التغير ، بل نبذه مرة واحدة ، فإن التغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو  
كنتُ مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لتفرقتم أيدي سباً (١) ،  
وجؤنبتُ أنا مجانبة الأجر ، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مرصاتي ، فتجنبوا سُخطي بما جئتموه على أنفسكم .

\* \*

ثم أمر أن يُردّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال :  
الأمرُ على خلاف ما قدّرت ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن  
لتأنيسه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر حشاً قَمَ النابذة بالذر ، لكلام  
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك ، ما هو أنوّه وأحسن طائفةً ،  
وكتب له ببال وخالع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى التكلم في شأن  
الرمادي - وقد كان يفوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلّ به مما رأى وسمع -

[١] من أمثالهم أيضاً : « ذهبوا أيدي سباً ، وتفرقوا أيدي سباً ، وأيادي سباً » ، واليد : الطريق  
أي فرقهم لفرقتهم التي سلّكوها كما تفرق أهل سباً في مذاهب مختلفة . ضرب المثل بهم ، لأنه لما غرق مكانهم ،  
وذهبت جناتهم ، تبددوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد بنوا أيدي سباً ،  
وأيدي سباً على السكون لكونه مركباً تركيب خمسة عشر .

وقال : « وَالْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب ، نعم ، ذلك لمن ليس له مفاخر ، يريد تخليدها ، ولا أيادٍ يرغب في نشرها ، فأين الذين قيل فيهم :

على مُكثَرِيهِمْ رَزَقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ      وعند المُقِلِّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ<sup>(١)</sup>  
وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إنما الدنيا أبو ذَلْفٍ      بين مَبْدَاهِ وَمُحْتَضَرِهِ  
فَإِذَا وَلَّى أَبُو ذَلْفٍ      وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ<sup>(٢)</sup>

أَمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مَنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بلى ، ولكن مُصَنِّبَةَ الشعراء والاحسان إليهم ، أَحْيَيْتُ غَايِرَ ذِكْرِهِمْ ، وَخَصَّصْتَهُمْ بِمُفَاخِرِ عَصَرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ تَخْلُدِ الْأَمْدَاحُ<sup>(٣)</sup> مَا تَرَاهُمْ ، فَدَثَّرَ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَ نَحْوُهُمْ .

( نفع الطيب ٢ : ٢٢٦ )

١١ — ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح

لما مات المعتصم بن صمادح<sup>(٤)</sup> ملك المَرِيَّةَ ركب البحر ابنه وولى عهده  
الواثق عز الدولة ، وفارق الملك كما أوصاه والده المعتصم .

[١] البيت لرهير بن أبي سلمى من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لعلّ بن جبلة الأنباري الملقب بالكوك من قصيدة قالها في مدح أبي دلف اقسام بن عيسى العجلي — وكان حوادا ممدحا — وفيها يقول :

كل من في الأرض من عرب      بين بادية إلى حضره  
مستعير منه مكرمة      يكتسبها يوم مفتخره

وهذا البيتان الأخيران أحفظا عليه المأمون ، فطلبه حتى ظفر به ، فسلب لسانه من قباه ، ويقال : بل هرب ولم يزل متواريا منه حتى مات ، قال صاحب الأغاني : « وهذا هو الصحيح من القوائين ، والآخر شاذ » .  
[٣] لم أجد هذا الجمع في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « المدحة بالكسر والمدح والأمدوحة بالضم : ما يمدح به ، والجمع مدح كعب ومدائح وأمدائح » .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المَرِيَّةَ « بلد بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان منافسا للمعتد بن عباد صاحب لشبيلية معاونا له ، وقد سعى به لدى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين

قال أبو بكر بن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جَور الدهر، حتى اجتمعت  
بِجَاية<sup>(١)</sup> مع عز الدولة بن المعتصم، فإني رأيت منه خير من يُجْتَمَع به، كأنه  
لم يخلقه الله تعالى إلا المُلْك والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تَنِمُّ  
من تحت مُخْوله، كما يَنِمُّ فِرْنْدُ<sup>(٢)</sup> السيف وَكَرَمُهُ من تحت الصَّدَأ، مع حفظه  
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه، ولطافة ذهنه،  
ولقد ذكرته لأحد من صَحْبته من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه  
الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، وَرَغِبَ إلىَّ في أن أستاذنه في ذلك، فلما  
أعلمت عز الدولة قال:

« يا أبا بكر، إنك لتعلم أنا اليوم في مُخُول وَضِيق، لا يتسع لنا معهما، ولا  
يحمل بنا الاجتماع مع أحد، لا سيما مع ذي أدب ونباهة، يلقانا بين الرحمة،  
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا، ونكابد من ألقاظ توجّعهِ، وألحاظ تفجّعهِ،  
ما يحدّد لنا همّاً قد بلي، وَيُخَيِّ كدّاً قد فني، ومالنا قدرة على أن نجود عليه  
بما يَرْضَى عن همّنا، فدَعْنَا كأننا في قبر، تدرّع لسهام الدهر، بدرع الصبر،  
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،  
فكأننا لم نكشف حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا نحمل غيرك بحملك».

قال ابن اللبانة: فلا والله سمى بلاغة لا تصدر إلا عن سداد، ونفس أية  
ممكنة من أعنة البيان، وانصرفت متمثلاً:

وأفسد ما بينهما، وكان ابن عباد قد استنصر ابن تاشفين لصد غارة الإسبان، فمهر بمحبته من مراکش  
إلى الأندلس، وأبلى بلاء حسناً في قتالهم حتى دارت عليهم الدائرة في وقعة الزلاقة، ثم مال على ملوك  
الطوائف، فاكسح دولهم، ودانت له الأندلس. [١] بجاية: بلد بالمغرب على ساحل بلاد الجزائر.  
[٢] جويرة.

لسانُ الفتى نصفٌ ، ونِصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدمِ  
وَكأَنَّ ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ زيادتهُ أو نقصُهُ في التكلّم<sup>(١)</sup>  
(نفع الطيب ٢ : ٢٢٨)

## ١٢ — دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

### بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حسون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة<sup>(٢)</sup> ،  
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار ، فقصد إلى حضرة  
الإمامة « مرّاكش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد  
غصّ بأربابه ، فقال :

« إنه لمقام كريم ، نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ، ونصلّى على خيرة أنبيائه ،  
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحّابته نجوم الليل البهيم<sup>(٣)</sup> ،  
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفيّ  
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك مما دهمنا<sup>(٤)</sup> فى حماك ، ونبث إليك ما لحقنا من  
الضيم ، ونحن تحت ظلّ علاك ، ويأبى الله أن يذهّم من احتّمى بأمر المسلمين ،  
ويُصاب بضيمٍ من أدرع بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى  
حق أمرك الذى عضده<sup>(٥)</sup> مؤيّده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقّده ، وإن  
قاضيك ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت بعدله فيمن بها

[١] البيتان لزمير بن أبى سلمى من مملته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجنوبى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسمع ومنع : غشبه .

[٥] عضده كنعصره : أصاب عضده ، والمراد بمؤيده بنو حسون ، والمعنى : إن بنى حسون — وكانوا  
أحق بتأييد أمرك وتوطيده — قد أروهنوه وأوهوه بتعرضهم لأحكام القاضى ، والظعن فيها ، أو معنى  
عضده : نصره ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، والمعنى على ذلك ، إن القاضى القائم بأمرك يدأب على  
نصره ، وثبت دعاته ، بانتهاجه طريق الحق فى حكمه ، ولو غضب من جراء ذلك فريق من الرعية .



من الخِصَّة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيُرْضَى  
الله تعالى وَيُرْضَى الناس بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا  
له موقف خِزى ، ولم يزل جارياً على مَا يُرْضَى الله تعالى ويرضيك ويرضينا ،  
إلى أن تعرضت بنو حِثُون للطعن فى أحكامه ، والهدَّ من أعلامه ، ولم يعلموا  
أن اهتضام المقدَّم ، راجع على المقدَّم ، بل جَمَعُوا فى لجأهم ، فَعَمُوا وَصَمُوا ،  
وفعلوا وأمضوا ما به همُّوا ، وإلى السُّحْب يَرْفَع الكفَّ من قد جَفَّ عنه مَسِيلُ  
عين ونهر .

فلا سمَّه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه . ( فتح الطيب ٢ : ٢٤٠ )

١٣ — موعظة ابن أبى رندقة الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبى رندقة الطرطوشى<sup>(١)</sup> مرة على الأفضل<sup>(٢)</sup> بن أمير الجيوش  
فوعظه ، وقال له :

« إن الأمر الذى أصبحت فيه من الملك ، إنما صار إليك بموت من كان  
قبلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خولك من هذه  
الامة ، فإن الله عز وجل سائلك عن النقيير والقمطير والفتيل<sup>(٣)</sup> ، واعلم أن الله

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب المهرى الطرطوشى  
( بضم الطاءين ، وقد تفتح الطاء الأولى ، نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس ) ويعرف بابن أبى رندقة  
وكان زاهداً عابداً متورطاً متقللاً من الدنيا قوَّالاً للحق ، رحل إلى المشرق ، ودخل بغداد والبصرة ،  
وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرهه ، فلما ولي بعده المأمون بن البطائنى  
أكرم الطرطوشى إكراماً كثيراً ، وله ألـب الشيخ « سراج الملوك » وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .  
[٢] هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالى حاكم عكا ، فأرسل  
إليه الخليفة الفاطمى المستنصر يسأله القدوم إلى مصر لإصلاح أحوالها المضطربة إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولى  
شئونها ، وأقام معوجها ، وصارت له فيها الكلمة النافذة ، ثم لابنه الأفضل .

[٣] النقيير : النقرة التى فى ظهر النواة ، والقمطير : القشرة الرقيقة التى بين النواة والتمر ، والفتيل :  
ما يكون فى شق النواة .

عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها ، فسخر له الإنس والجِن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء<sup>(١)</sup> حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ<sup>(٢)</sup> أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فما عدَّ ذلك نعمة كما عدَّتموها ، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي<sup>(٣)</sup> أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فافتتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . ( نفع الطيب ١ : ٢٦٣ )

## ١٤ — خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ( المتوفى سنة ٥٣٤ هـ )

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت<sup>(٤)</sup> مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فاما حضروا بين يديه قام :

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أى فأعطى منه من شئت . [٣] بلاه : اختبره .  
[٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه اتى أبا حامد الغزالي ، ثم رجع إلى المغرب ، وفامت دعوته في أوّل الأمر في صورة أمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، فاتبعه بعض القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والدعاة إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جعل يذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ، ادّعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادّعى إنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرّح بدعوى العصمة لنفسه ، وأنه المهدي المعصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استنقرّ عندهم أنه المهدي ، فبايعوه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهر جيشاً عظيماً — وكانت مراکش تحت إمرة المرابطين — فقال : اقصدوا هؤلاء المارقين المبذلين الذين تسموا بالمرابطين ، فادعواهم إلى إمامة المنكر ، وإحياء المعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ، فإن أجابوكم فهم لإخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فلقبهم المرابطون

نحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم  
أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم ، ويدكر ما كانوا عليه من  
الثبات في دينهم ، والمزينة في أمرهم ، وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم ،  
وذكر من حدّ عمر رضى الله عنه ابنة في الحر ، وتصميمه على الحق ، في أشباه  
لهذه الفصول ، ثم قال :

فانقرضت هذه العصاة ، نظر الله وجوهها ، وشكر لها سمعها ، وجزاها  
خيراً عن أمة نبيها ، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران ، والعالم متجاهلاً  
مداهناً ، فلم ينتفع العلماء بعلومهم ، بل قصدوا به الملوك ، واجتلبوا به الدنيا ،  
وأمالوا وجوه الناس إليهم ، في أشباه لهذا القول ، إلى هلمّ جراً .

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - منّ عليكم - أيها الطائفة - بتأييده ،  
وخصّكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده ، وقبض <sup>(١)</sup> لكم من <sup>(٢)</sup>  
ألفاكم ضللاً لا تهتدون ، وعمياً لا تبصرون ، لاتعرفون معروفاً ، ولا تنكرون  
منكراً ، قد فشت فيكم البدع ، واستهوئكم الأباطيل ، وزين لكم الشيطان  
أضاليل وترهات <sup>(٣)</sup> ، أنزله لسانى عن النطق بها ، وأربأ <sup>(٤)</sup> بلفظى عن

قريباً منها بجيش ضخم أميرم الزبير بن على بن يوسف بن تاشفين ، فدعوم إلى ما أمرم به ابن تومرت  
فردوا عليهم أسوأ رد ، ثم التفت العشائر ، فانهزم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع  
القوم إلى ابن تومرت جعل يهون عليهم أسر الهزيمة ، ويقرّر في نفوسهم أن قتلام شهداء ، لأنهم ذابون  
من دين الله ، فزادهم ذلك بصيرة في أمرهم ، وحرصاً على لقاء عدوهم ، وجعلوا يشنون الغارات على نواحي  
مراكش ويقتلون ويسبون ولا يقعون على أحد ممن قدروا عليه ، وكثر الداخلون في طاعتهم ، ولم يزل  
أصحابه ظاهرين ، وأحوال المرابطين تختل ، وانقراض دولتهم يترايد ، إلى أن تولى ابن تومرت سنة ٥٣٤ هـ  
بعد أن أسس الأمور ، وأحكم التدبير ، وقام بأمر الموحدين من بعده عبد المؤمن بن على . وقد استوثق له  
الأسر بموت على بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين سنة ٥٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم وسبب وهماً . [٢] يعنى نفسه . [٣] جمع ترعة : وهى الباطل .

[٤] ارتفع

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبَصَّرَكُم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزَّكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين <sup>(١)</sup> ، وسيُورثكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كَسَبَتْه أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

فجَدِّدُوا الله سبحانه خالصَ نيَّاتِكُمْ ، وأرؤوه من الشكر قولاً وفعلًا ما يُزَكِّي به سعيكم ، ويتقبَّل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة ، وَشَتَات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثُر أتباعكم ، وأظهر الله الحقَّ على أيديكم ، وإلَّا تفعلوا شَمَلَكُم الذَّلَّ ، وَعَمَّكُم الصَّغَارُ <sup>(٢)</sup> ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفتكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بِمَنْزَجِ الرَّأْفَةِ بِالْعَلِظَةِ ، واللين بالعُنْفِ ، واعلموا مع هذا أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَمْرٌ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، إِلَّا عَلَى الَّذِي صَلَّحَ عَلَيْهِ أَمْرُ أَوَّلِهَا .

وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلَّوْنَاهُ <sup>(٣)</sup> في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريرته وعلا نيَّته ، فرأيناه في ذلك كله ثَبَتًا <sup>(٤)</sup> في دينه ، متبصِّراً في أمره ، وإِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ لَا يُخْلِفَ الظَّنَّ فِيهِ ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لرَبِّهِ ، فَإِنْ بَدَّلَ أَوْ نَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ ، أَوَارَتَابٌ فِي أَمْرِهِ ، فِي الْمَوْحِدِينَ - أعزَّهم الله - بركةٌ وخير كثير ، والأمرُ أمرُ الله يقلِّده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت .

( المعجب ، في تاريخ أخبار المغرب ص ١٠٨ )

## ١٥ - مقال لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ) في الحُضِّ على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب <sup>(١)</sup> في الحُضِّ على الجهاد <sup>(٢)</sup> .

« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى - :

إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دَهَمَ العدوُّ - قَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى - سَاحَتَهُمْ ،  
ورام الكفرُ - خَذَلَهُ اللهُ تَعَالَى - استِباحَتَهُمْ ، وَزَحَفَتِ أحزاب الطُّوَاعِيتِ  
إليهم ، وَمَدَّ الصَّليبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ - بِعِزَّةِ اللهِ تَعَالَى - أَقْوَى ، وَأَنْتُمْ  
الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ الْقَرِيبُ فَلَا  
تُخْفِرُوهُ <sup>(٣)</sup> ، وَسَبِيلُ الرُّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَلْتَبْصُرُوهُ ، الْجِهَادُ الْجِهَادُ فَقَدْ تَعَيَّنَ ،  
الْجَارُ الْجَارُ فَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ ، اللهُ اللهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللهُ اللهُ فِي أُمَّةِ  
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللهُ اللهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللهِ ، اللهُ اللهُ فِي  
وَطَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، قَدْ اسْتَعَاثَ بِكُمْ الدِّينُ فَأَعِيشُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللهِ

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المصهور بابن الخطيب خاتمة أدباء الأندلس ، ولد بقرناطة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجعله وزيره ، وفُتِنَ إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أقره على الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطر أن يبادره إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد محمد إلى ملكه ، ودق مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى قرناطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فأهلب ذلك نار الحسد في ابن زمرك وأبصاره ، فسعوا به إليه حتى أحفظوه عليه ، فهرب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين ، وهم من البربر - حكموا المغرب بعد الموحديين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وخطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه إلى أن مات ( عبد العزيز ) ، وثار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليمه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقبض عليه ، وسجن بفاس ، ونوظر في كلماته في كتابه « الحجة » وأفتى الفقهاء بقتله ، فدفن عليه من خنقه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسفروا إلى ملوك بني مرين يستنجدهم على الإسبان .

[٣] أخبره : غدر به ونقض عهده .

وحاشاكم أن تنكثوه ، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله تعالى عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة (١) ، واسئوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تُناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ » ، ومما صح عنه قوله : « من أغبرت قدماءه في سبيل الله حرهما الله على النار » ، « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » ، « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده ، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنبيكم      وطريق هذا العذر غير مُمهّد  
إن قال : لم فرطتمو في أمّتي      وتركتموهم للعدو المعتدى ؟  
تالله لو أن العقوبة لم تُخف      لكفى الحياء من وجه ذاك السيد

اللهم اعطِ علينا قلوب العباد ، اللهم بُثْ لنا الحمية في البلاد ، اللهم دافع عن الحرم والضعيف والأولاد ، اللهم انصرنا على أعدائك ، بأحبائك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً ، وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

( نفح الطيب ٤ : ٣ )

١٦ - ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
لما قصد لها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المَوْلَى المُتَمَكِّن ، الذي عرف فضله الإسلام ،  
وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وَخَفَقَتْ بِعِزِّ نصره الأعلام ، وتنافست في  
إنفاذ أمره ونهيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المَوْلَى الذي قَسَمَ زمانه  
بين خُكْمِ فَصْلِ ، وإمضاء نَصْلِ ، وإحراز خَصْلِ <sup>(١)</sup> ، وعبادة قامت من اليقين  
على أَصْلِ ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشَبِّع البطون الجائعة ،  
وكاسي الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الوارية ، ومكتب الكتاب الغازية ،  
في سبيل الله تعالى والسَّرايا <sup>(٢)</sup> السارية ، السلام عليك يا حُجَّة الصبر والتسليم ،  
ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد  
إلى السميع العليم ، وَمُعْمِلُ البَنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم ، كَرَّمَ  
الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَّسَهَا ، وطيب رُوحَكَ الزَكِيَّةَ وَأَنَسَهَا ، فلقد كنت للدهر  
جَمَالاً ، وللإسلام ثَمَلاً <sup>(٣)</sup> ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت  
للمحارب صَدْرًا ، وفي المواكب بَذْرًا ، وللمواهب بحرًا ، وعلى العباد والبلاد  
ظِلًّا ظليلاً وَسِتْرًا ، لقد فَرَعْتَ <sup>(٤)</sup> أعلام عِزِّكَ الثنايا ، وأجزأت همَّتِكَ لملوك  
الأرض الهدايا ، كأنك لم تَعْرِض الجنود ، ولم تنشُر البنود <sup>(٥)</sup> ، ولم تبسُط العدل

[١] الحصل : الدلبة في الضال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من خمسة أنفس إلى ثمانية

أو أربعمائة . [٣] الثمال : الفياث الذي يقوم بأمر قومه .

[٤] فرعت : علت ، والثنايا : جمع ثنية كهدية ، وهي العتبة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .

[٥] البنود جمع بند كشس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تَزِنِ الرِّكْعَ السُّجُودَ ، فتوسَّدت الثرى ، وأطلتَ الكرى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارع<sup>(١)</sup> الخدّ ، كليل الخدّ ، سالِ كَاسَنَ الأب والجدّ ، لم تجذ بعد انصرام أجلك ، إلا صالحَ عملك ، ولا صَحِبْتَ لقبرك ، إلا رابحَ تجرّك<sup>(٢)</sup> ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ، فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويجود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفك بصدق اليقين ، ويجعلك من الأئمة المتقين ، ويُعلي درجتك في عليّين<sup>(٣)</sup> ، ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّدّيقين .

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارَقَ رَعْدُكَ ، وَمُنْجَزَ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدِكَ ، وَرَيْحَانَةَ خَلْدِكَ<sup>(٤)</sup> ، وَشِقَّةَ<sup>(٥)</sup> نَفْسِكَ ، وَالسَّرْحَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ غَرْسِكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَوَصَلَ عَمَلَكَ الْبَرَّ إِلَى رَمْسِكَ ، فَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ دَعَوَاتِكَ ، فِي خَلَوَاتِكَ ، وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ ، فَكَامِلَتِكَ وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَفِيَّةٍ ، وَحَسَنَتِكَ إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ رَاقِيَةً ، يَرْعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ ، وَيَتِمُّ مَقَاصِدَكَ الْجَمِيلَةَ ، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِرَّةِ رِضَاكَ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَأَبْعَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَعَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارَ عُدَدَهُ . وَإِنِّي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشَنِي<sup>(٦)</sup> وَبَرَانِي ، وَتَعَبَّدَنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي اسْتِخْلَاصِي خَطَ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ مَكَافَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ بِرِثَائِكَ ، وَإِغْرَاءَ لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّائِكَ ، وَتَعْفِيرِ

[١] ذليل . [٢] تمر تجراً وتجارة .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخلد : النفس والقلب ،

[٥] الشقة : نصف الشيء إذا شق ، والسرحة : الشجرة العظيمة .

[٦] راش السهم : ألزق عليه الريش ، وراش الصديق : أطعمه وسقاه وكساء وأصلح حاله .



الْوَجَنَةُ فِي حَرَمِكَ ، وَالْإِشَادَةُ بِعَدِّ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، فَفَتَحْتَ الْبَابَ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمَقْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَا تَصَلَّتِ الْغَفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَعَادَتِ ، فَمَا يَدْبَسَتِ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مُتَحَيِّزًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بَادِئًا بِزِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ رَحْلَةُ الْغَرْبِ ، مَا نَوَيْتَهُ مِنْ رَحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَأَقْطَعَهُ أَثَرُ مَوَاقِعِ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيَبْلُغُ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَتَنَمَّدُ مِنْ ضَاجَعَتِهِ مَنْ سَلَفَكَ الْكِرَامَ بِالْمَغْفِرَةِ الصَّيِّبَةِ ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ ، فَتَعْنُمُ الْمُلُوكُ الْكِبَارَ ، وَالْخُلَفَاءُ الْأَبْرَارَ ، وَالْأُمَمُ الْأَخْيَارَ ، الَّذِينَ كَرُمَتِ مِنْهُمْ السَّيَرُ وَحَسُنَتِ الْأَخْبَارُ ، وَسَعِدَ بِعَزَمَاتِهِمُ الْجِهَادِيَّةُ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكَفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَوْدًا وَبَدَأًا عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمَصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا . ( نفع الطيب ٤ : ١٣٥ )

## ١٧ — وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُرَوِّعُهُ الْحِمَامُ الْمَرْقُوبُ ، إِذَا شِيمَ <sup>(١)</sup> نَجْمُهُ الْمُثْقُوبُ ، وَلَا يَبْتَغِيهِ الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ ، وَلَا يَفْجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَعْتُوبُ ، مُلْهِمُ الْهُدَى الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَمَوْضِعُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبُ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ قِسْمِ الْوَجُوبِ ، لَا سِيَّمَا لِلْوَلِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَالْوَلَدِ الْمَنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الْأَسْلُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] مِنْ شَامِ الْبَرْقِ : نَظَرُ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْصِدُ ، وَأَيْنَ يَمُطِرُ . [٢] وَتَمَامُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :

« إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ<sup>(١)</sup> ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،  
أكرم من زُرْتُ على نُوره جُيُوبُ الغيوب ، وأشرف من خُلِعَتْ عليه حُلُلُ  
المهابة والمِصْمة ، فلا تَقْتَحِمُهُ<sup>(٢)</sup> العيون ، ولا تَصِغُهُ العيوب ، والرضا عن آله  
وأصحابه المثابرين على لسان<sup>(٣)</sup> الاستقامة بالهَوَى المغلوب ، والأمل المسلوب ،  
والاقتداء الموصِّلِ المرغوب ، والعزِّ والأمن من اللُّغُوب<sup>(٤)</sup> ، وبعد : فإنى لما  
علانى المَشِيب بِقِمَّتِهِ<sup>(٥)</sup> ، وقادنى الكِبَر بِرُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وأدَّ كَرَّتُ الشباب بعد  
أُمَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، أَسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، وَنَدِمْتُ بعد الفِطَام على ما رَضَعْتُ ، وتأكدَّ  
وجوبُ نصْحى لمن لَزِمْنى رَعِيَّتُهُ ، وتعلَّقَ بعِينى سَعِيَّتُهُ ، وأملتُ أن تتعدَّى إلى  
ثمرَةِ استقامته وأنا رهين فَوَات ، وفى بَرْزَخِ أموات ، ويأمن العثور فى الطريق  
التي اقتضت عِثَارى ، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثارى ، فقلت  
أخاطب الثلاثة الولد ، وثمراتِ الخلد<sup>(٨)</sup> بعد الضَّرَاعَةِ إلى الله تعالى فى توفيقهم ،  
وإيضاح طريقهم ، وَجَمَعَ تفريقهم ، وأن يَمُنَّ علىَّ منهم بحسن الخَلَف ،  
والتلافى من قَبْلِ التَّلَف ، وأن يرزُق خَلْفَهُم التمسك بهدى السَّلَف ، فهو وَلِيّ  
ذلك ، والهادى إلى خير المسالك : اعلموا هداكم الله تعالى الذى بأنواره تهتدى

[١] وتعالى الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا  
إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تردديه وتحتفره ، ووصفه : طاب . [٣] اللسان : الرسالة .

[٤] اللغوب : أشد الإعياء . [٥] النمة : أعلى كل شيء .

[٦] الرمة بالضم ويكر : قطعة من جبل .

[٧] الأمة هنا : الحين ، اقتبس من قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ »

[٨] الخلد : القلب والنفس .

الضلال ، و بِرِضاه تَرْفَعِ الأغلال ، وبِالتماس قُرْبِه يحصل الكمال ، إذا ذهب  
 المال ، وأَخْلَقَتِ الآمال ، وتَبَرَّأت من يمينها الشَّمال ، أنى مُودَّعُكم وإن سَأَلْتَنِي  
 الرِّدَى ، وَمُفَارِقُكم وإن طال المَدَى ، وما عَدَا يَمَّا بدا ، فكيف وأدواتُ  
 السَّفَرِ تُجْمَع ، ومنادى الرحيل يُسْمَع ، ولا أَقْلٌ للحبيب المودَّع ، من وصية  
 مُحْتَضَرٍ ، وَعَجالة مقتَصِرٍ ، وَرَتِيمة <sup>(١)</sup> تُعَقَّد في خِنْصِرٍ ، ونصيحة تكون نَشِيدَةً <sup>(٢)</sup>  
 وَاجٍ مُبْصِرٍ ، تتكفَّل لكم بحسن المواقب من بعدى ، وتوضِّح لكم من الشفقة  
 والحنو قَصْدِي ، حسبما تَضَمَّن وَعْدُ اللَّهِ من قبل وَعْدِي ، فهى أَرْبُكم الذى  
 لا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، ولا يَنالُكم المَكْرُوه ما رَفَّ عليكم سَقْفُهُ ، وكأَنى بشبابكم قد  
 شاخ ، وَبِرَاحِلِكُم قد أَناخ ، وَبِنَاشِطِكُم قد كَسَل ، واستبدل الصَّاب <sup>(٣)</sup> من  
 الْعَسَل ، وَنُصُولُ <sup>(٤)</sup> الشَّيْب تروِّع بِأَسَل ، لا بل السَّامُ <sup>(٥)</sup> من كل حَدَبٍ قد  
 نَسَل ، وَالْمَعَادُ اللَّحْدُ ولا تَسَل ، فبالأَمْس كَتَمَ فِرَاحَ حَجَرٍ <sup>(٦)</sup> ، واليوم أبناء  
 عَسْكَرٍ حَجَرٍ ، وغداً شيوخ مَضْيَعَةٍ وَهَجَرٍ ، والقبورُ فَاغِرَةٌ <sup>(٧)</sup> ، والنفوس عن  
 المألوفات صَاغِرَةٌ ، والدنيا بأهلها ساخِرَةٌ ، والأولى تَعَقُّبُهَا الآخِرَةُ ، والحازم من لم  
 يَتَمَظَّ به فى أمرٍ ، وقال : « ييدى لا يَدِ عَمُرُو <sup>(٨)</sup> » ، فاقتنوها من وَصِيَّةٍ ،

[١] الرتيمة : خيط يعقد فى الإصبع للتذكير .

[٢] الصاب : عصارة شجر مرّ . [٣] الصول جمع فصل : وهو جديدة الرمح والسيف ،  
 والأسل : الرماح . [٤] السام : الموت ، والحذب : ما ارتفع من الأرض ، ونسل كضرب : أمرع  
 والمعاد : المرجع . [٥] أى كالفراخ فى حجر أمها وحضنها ، والمجر : الكثير من كل شئ . ، وحيش  
 حجر : كثير جدا . [٦] أى فائحة أفواهاها للموتى .

[٧] هو مثل قالته الزباء ملكة الجزيرة ، وذلك أنها كانت دعت جذيمة الأبرش ملك ما على شاطئ  
 الفرات إلى زواجها ، فلما استقرَّ عدما قتله نأراً بأبيها - وكان جذيمة قد قتله - فاحتال مولاه قصير للتأمر  
 منها ، فجذب أنه وأثر نأراً بطهره ، ثم خرج إلى الزباء ، وأظهر أن عمرو بن هدي - ابن أخت جذيمة -  
 فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء ، فلما استرسلت إليه ووثقت به ، زين لها

وَمَرَامٍ<sup>(١)</sup> فِي النَّصْحِ قَصِيَّةٌ ، وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا  
 اتَّقَلُّوا ، وَحَسَنِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ  
 أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا مَنْزِلًا ، وَلَا لَطَفَ بَعْنٍ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،  
 وَلِتَلَقُّنَّوْا تَلَقِينَا ، وَتَعَلَّمُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ إِنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرِدَ بِذَنْبِي ،  
 وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي ، وَيَسُحَّ انْسِكَابِي ، وَتَهْرُوِلَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَحْرَصَ  
 مِنِّي عَلَى سَعَادَةٍ إِلَيْكُمْ تُجْلِبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبَبِكُمْ تُرْتَادُ وَتُطْلَبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ  
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَوْرَفُ<sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ مَحَلًّا ، وَلَا أَغْبَطُ نَهْلًا وَعَلَّا<sup>(٣)</sup> ،  
 وَأَقْلَ مَا يُوَجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّخُوا<sup>(٤)</sup> إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ ، وَتَسْتَهْجُوا صُبْحَ  
 نُصْحِي فَقَدْ بَانَ ، وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :  
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ  
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ  
 عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ<sup>(٥)</sup> خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَبْعَنَّهُ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَائِفِهَا وَنِيَابِهَا وَطَبِيبِهَا ، وَأَنَّهُ سَتَصِيبُ فِي ذَلِكَ أَرْبَاعًا عَظِيمًا ، فَأَذِنَتْ  
 لَهُ وَقَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَآتَى الْحَبِيرَةَ مُتَنَكِّرًا ، وَزَوَّدَهُ عَمْرُو نَصُوفَ الْبَزِّ وَالْأَمْتَعَةَ ، وَرَجَعَ إِلَى الرِّبَاءِ ، فَاعْجَبَهَا  
 مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَازْدَادَتْ بِهِ تَقَةً ، وَجَهَرَنَّهُ ثَابِيَةً ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرُو فَجَهَزَهُ وَعَادَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ حَادَ  
 الثَّالِثَةَ وَجَمَعَ ثِقَاتٍ مِنْ رِجَالِ عَمْرُو ، وَحَمَلَهُمْ فِي الْغُرَائِرِ عَلَى الْجَمَالِ ، وَسَارَ إِلَى الزَّبَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْإِبِلُ الْمَدِينَةَ  
 - وَكَانَتِ الزَّبَاءُ قَدْ حَذَرَتْ عَمْرًا ، وَاتَّخَذَتْ نَفَقًا إِلَى حِصْنٍ لَهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، وَقَالَتْ : إِنْ جَاءَنِي أَمْرٌ  
 دَخَلْتُ النَّفَقَ إِلَى حِصْنِي - وَدَلَّ قَصِيرٌ عَمْرًا عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، فَلَمَّا حَرَجَتْ الرِّجَالُ مِنَ الْغُرَائِرِ سَاحَوْا بِأَهْلِ  
 الْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وَقَامَ عَمْرُو عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، وَأَهْبَلَتِ الزَّبَاءُ تَرِيدُ النَّفَقَ ، فَأَبْصَرَتْ عَمْرًا فَعَرَفَتْهُ  
 بِالصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَتَّتْ خَاتَمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَالَتْ : « بِيَدِي لَا يَبِيدُ عَمْرُو » مَدْهَبَتْ مِثْلًا ،  
 وَتَلَقَّاهَا عَمْرُو فَجَلَّلَهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، وَانْكَفَأَ رَاجِعًا إِلَى الْعِرَاقِ .

[١] مَرَامٍ : جَمْعُ مَرَمٍ ، وَقَصِيَّةٌ : بَعِيدَةٌ .

[٢] وَرَفُ الظِّلِّ : اتَّسَعَ وَطَالَ وَامْتَدَّ . [٣] النَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلَّ وَالْعَلَّ : الشَّرْبُ

الثَّانِي أَوْ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَا . [٤] أَصَاحَ لَهُ : اسْتَمَعَ . [٥] صَعَّرَ خَدَّهُ : أَمَالَ كِبَرًا .

تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، وأعيد وصية  
خليل الله وإسرائيل ، حُكْمُ (١) مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمُ تَنْزِيلِهِ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَقَى  
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،  
وأكمله ووفاه ، وقرَّره مُصْطَفَاهُ ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُعْمِلَ فِيهِ اتِّقَادُ ،  
فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مُقَرَّرٌ ، ومستمدٌّ من عقل أو نقل محرر ، والعقل  
متقدِّمٌ ، وبنائوه مع رَفَضِ أَخِيهِ مُتَهَدِّمٌ ، فالله واحد أحد ، فَرَدَّ صَمَدٌ (٢) ،  
ليس له والد ولا ولد ، تنزَّه عن الزمان والمكان ، وَسَبَقَ وجوده وجودَ الأَكْوَانِ ،  
خالِقُ الخلق وما يعملون ، الذي لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْمُدَبِّرُ  
الْقَدِيرُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أرسل الرسل رحمةً لتدعو الناس  
إلى النجاة من الشقاء ، وتوجَّهَ الْحُجَّةُ فِي مَصِيرِهِمْ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، مُؤَيَّدَةً بِالْمُعْجَزَاتِ  
الَّتِي لَا تَنْصِفُ أَنْوَارُهَا بِالْإِخْتِفَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى تَوَاتُرِهَا دَعْوَى الْإِتْفَاءِ ، ثُمَّ  
خَتَمَ دِيْوَانَهُمْ بِنَبِيِّ مِلَّتِنَا الْمَرْعِيَةِ الْمَعْمَلِ ، الشَّاهِدَةِ عَلَى الْمَلِكِ ، فَتَلَخَّصَتْ الطَّاعَةُ ،  
وَتَعَيَّنَتِ الْإِمْرَةُ الْمُطَاعَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا ارْتِقَابُ السَّاعَةِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَهُ  
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وَتَرَكَ دِينَهُ يَضُمُّ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا (٣) ، فَمَنْ تَبِعَهُ لِحَقِّ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَهُ  
نُؤُوطٌ (٤) عَنْهُ فِي مَنْسَبِهِ ، وَكَانَتْ نَجَاتُهُ عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رُؤِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي » ، فَمَعُضُوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ (٥) .

[١] لإسرائيل : يعقوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يدل من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصمد أى يقصد فى قضاء الحاجج . [٣] النفر : المنتشر ، ومنه :

« اللَّهُمَّ اضْمِمْ لِقَرْنِي » . [٤] أى أبعد عنه وطرده ، يقال ناطت الدار : أى بعدت .

[٥] أقصى الأضراس .

فاعملوا يا بَنِي بوصيةٍ من ناصحٍ جاهد ، وَمُشْفِقٍ شفقةً والد ، واستشعروا حُبَّه الذي توافرت دواعيه ، وَعُوا مَرَّاشِدَ هَدْيِهِ ، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصِلُوا السَّبَبَ بسببه ، وَآمِنُوا بكلِّ ما جاء به ، مُجْمَلًا أَوْ مُفَصَّلًا على حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجِلَّةَ لِصَحْبِهِ ، الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أُولَى الْفَضْلِ الشَّهِير ، وتبرءوا من العصبية التي لم يَدْعِكُمْ إليها داعٍ ، وَلَا تَعِ الشَّاجِرَ بَيْنَهُمْ أَذُنُ وَاعٍ ، فهو عنوان السَّدَاد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء المِلَّة ، وَأَتَمُّهَا الْحِلَّة <sup>(١)</sup> ، فهم صَقَلَةُ نُصُولِهِمْ ، وفروعٌ ناشئة من أصولهم ، وَوَرَثَتُهُمْ وورثة رسولهم ، واعلموا أنني قَطَعْتُ في البحثِ زَمَانِي ، وجعلتُ النظرَ شَانِي ، منذ براني الله تعالى وَأَنْشَانِي ، مع نُبُلٍ <sup>(٢)</sup> يَعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وإدراكٍ يَسْلَمُهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، فلم أَجِدْ خَابِطَ وَرَقٍ ، وَلَا مُصِيبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَارِ عَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ التي يَقْصِدُهَا قَدْ نَضَلْتُهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَتْهَا ، وَفَرَعَتْ <sup>(٣)</sup> تَنْبِيْثَهَا وَارْتَقَتْهَا ، فعليكم بالتزام جادَّتْهَا <sup>(٤)</sup> السَّابِلَةُ ، ومصاحبة رَفَقَتِهَا الْكَامِلَةُ ، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول ، وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَدْتَعِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وقد عَلِمْتُ شَرَائِعَهُ ، وَرَاعِ الشُّكُوكَ رَائِعَهُ ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوسَ فِعْلَ الْمُهْتَدِينَ ، فلن يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْقُودٌ مَعَ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ ،

[١] جمع جليل . [٢] النبل : الذكاء والنجابة ، والشان : البغض .

[٣] فرعه : علاه ، والثبينة : العقبة ، أو الجبل أو الطريقة به أو إليه .

[٤] الجادة : الطريق الواضح ، والسابلة مع الطرق : السلوك .

ومتاع الحياة الدنيا أَخْسُ ما وَرِثَ الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بَلَغْتُ فَأَنْتَ  
خير الشاهدين ، فَاحْذَرُوا المَعَاطِبَ التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي  
شَوَةَ الوجوه وَتُضَجِّجَ الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وارَبُّوا بنفوسكم  
عن غَمَطِهِ ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بِغُرُورٍ قد خَدَعَ أسلافكم ، ولا تحمدوا  
على جِيفَةِ المَرَضِ الزائل ائْتَلَفَكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا<sup>(١)</sup> على  
ما فات وتمذّر ، فَإِنَّمَا هِيَ دُجْنَةٌ<sup>(٢)</sup> يَنْسَخُهَا الصَّبَاحُ ، وَصَفْقَةُ يَتَاعِبِهَا الخَسَارُ أو  
الرَّيَّاحُ ، ودونكم عقيدة الإيمان فَشُدُّوا بالنواجذ عليها ، وَكَفِّكَفُوا الشُّبُهَةَ أَنْ  
تَذُنُوا إِلَيْهَا ، واعلموا أن الإِخْلَالَ بشيء من ذلك خَرَقٌ لَا يَرْفُؤُهُ<sup>(٣)</sup> عمل ، وكل  
ما سوى الراعى هَمَلٌ ، وما بعدَ الرأسِ في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب  
الله تعالى حِفْظًا وَتِلَاوَةً ، واجعلوا حِمْلَهُ على حِجْلِ التَّكْلِيفِ عِلاوَةً ، وتفكروا في  
آيَاتِهِ ومعانيه ، وامْتَثِلُوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تَمَلُّوا فيه ، وأَشْرِبُوا  
قلوبكم حُبًّا من انْزَلِ على قلبه ، وأَكْثِرُوا من بواعث حُبِّهِ ، وصونوا شعائرَ  
الله صونَ المحترَمِ ، واحفظوا القواعد التي يَنْبَنِي عليها الإسلام حتى لا يَنْخَرِمَ ،  
اللَّهُ اللهُ في الصلاة ذريعة التَّعَجُّلَةِ ، وخاصَّةُ المِلَّةِ ، وحاقِنَةُ الدم ، وَغِنَى المستأجرِ  
المستخدم ، وأمَّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشَّهادة ، والناحية  
عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَرَضَهَا ، ووطأ للنفس الأُمارة سماءها  
وأَرْضَهَا ، والوسيلة إلى بَلِّ الجوانحِ يَرُودُ الذِّكْرُ ، وإيصال تُحْفَةِ الله إلى مَرِيضِ  
الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجَّار ، والواسمة

[١] ولا تحزنوا . [٢] الدجنة : الطلعة .

[٣] رَفَأَ الثوبَ كَنَعَ : لَمْ يَخْرُقْهُ ، وَضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ .

بِسْمَةِ السَّلامَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعَبْدِ بِرَفْعِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولٌ <sup>(١)</sup> الطَّبْعُ إِذَا شَانَهُ طَبَعَ ،  
وَالْخَيْرُ الَّذِي كُلُّ مَاسِوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وَظَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،  
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدِّنِيَّةِ ،  
فَإِنْ أَوْقَاتُهَا الْمَعِينَةُ بِالْإِنْفِلَاتِ تَنْبَسُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُحْبَسُ ،  
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَغْيِرُهُ الْغُدُوُّ  
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا النَّوَافِلَ  
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالِإِتْقَانِ تَفَاضَلَتِ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالُ ، وَلَا  
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رِبْحَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ أَحْرَى بِإِقَامَةِ  
الْفَرَضِ ، وَأَدْعَى إِلَى مَسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضُ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مُوَصَّلٍ ، وَشَرَطٌ لِمَشْرُوطِهِ مُحْصَلٌ ،  
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءَ تَظْفُفُوهَا ، وَمِيَاهَهَا بَغِيرِ أَوْصَافِهَا الْحَمِيدَةِ فَلَا تَصْفُوهَا ،  
وَالْحُجُولَ وَالْفُرَرَ <sup>(٣)</sup> فَأَطِيلُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ  
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِرَأْسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مِنْ صَلَاةٍ وَطُهُورٍ ، وَذَكَرَ  
مَجْهُورٍ وَغَيْرِ مَجْهُورٍ ، تَسْتَعْرِقُ الْأَوْقَاتَ ، وَتَنَازِعُ شَيْئَ الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرَقَاتِ ،

[١] الْغَسُولُ كَصَبُورٍ وَتَنُورٍ : الْمَاءُ يَغْتَسِلُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « غَاسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبْعُ :  
الشَّيْءُ وَالْعَيْبُ . [٢] أَيْ تَذْهَبُ وَتَضْيَعُ ، يُقَالُ : انْبَسَّ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَبَسَّ »  
وَأَرَاهُ مَحْرَمًا .

[٣] الْحُجُولُ جَمْعُ حُجْلٍ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْحَمْلُ ، وَالرَّادُّ بِهَا هَذَا الْأَطْرَافُ ، وَبِاطَانِهَا  
اسْتِيعَابُ غَسَلِهَا ، وَالْفُرَرُ جَمْعُ غُرَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْوُجْهَةُ ، وَالرَّادُّ بِطَوِيلِهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسَلَ مَقْدَمَ الرَّأْسِ  
مَعَ الْوُجْهِ ، وَغَسَلَ صَفْحَةَ الْعُنُقِ ، وَجَمْلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِسْبَاحِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْحَدِيثِ التَّحْرِيفُ :  
« أُمِّتِي الْغُرُّ الْمُحَجَّجُونَ » وَالْفُرَرُ جَمْعُ الْأَغْرَةِ مِنَ الْغُرَّةِ ، وَهِيَ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْمَرْءِ مَوْقِ الدَّرَمِ ،  
يُقَالُ : فَرَسٌ أَغْرٌ وَغَرَاءٌ ، وَالْمُحَجَّلُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبَيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَيْدِ أَيْ بَيَاضُ  
مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنَ الْوُجْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتِعَارَ أَثَرَ الْوُضُوءِ فِي الْوُجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْبَيَاضِ  
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَبَيْدِهِ وَرِجْلَيْهِ .



فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاضَ صَدَأَهُ بِصِقَالٍ <sup>(١)</sup> ، وإن تراخى قَهَقَرٌ <sup>(٢)</sup> الباعُ ، وَسَرَقَتْهُ الطَّبَاعُ ، وَكَانَ لَهَا سِوَاهَا أَضْيَعُ ، فَشِمِلَ الضِّيَاعُ . والزكَاةُ أختها الحَيِيَّةُ ، وَلِدَتْهَا الْقَرِيْبَةُ ، مفتاح السعادة بِالْعَرَضِ الزَائِلِ ، وشكران المستولِ عَلَى الضَّدِّ مِنْ دَرَجَةِ السَّائِلِ ، وَحَقَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَالٍ مِنْ أَغْنَاهُ ، لِمَنْ أَجْهَدُهُ فِي الْمَعَاشِ وَعِزَّاهُ <sup>(٣)</sup> ، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مَلَأَ يَدَهُ وَإِخْلَاءَ يَدِ أَخِيهِ ، وَلَا عِلَّةَ إِلَّا الْقَدَرُ الَّذِي يُخْفِيهِ ، وَمَا لَمْ يَنْلَهُ حِظَّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، فَاسْمَحُوا بِتَفْرِيقِهَا لِلْحَاضِرِ لِإِخْرَاجِهَا ، فِي اخْتِيَارِ عَرَضِهَا وَتِجَارِهَا ، وَاسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَبْخَلُوا عَلَيْهِ بِبَعْضِ مَا بَدَّلَ ، وَخَالَفُوا الشَّيْطَانَ كُلَّمَا عَذَلَ ، وَاذْكُرُوا خُرُوجَكُمْ إِلَى الْوُجُودِ لَا تَمْلِكُونَ ، وَلَا تَدْرُونَ أَيْنَ تَسْلُكُونَ ، فَوَهَبْ وَأَقْدِرْ ، وَأُورِدْ بِفَضْلِهِ وَأَصْدِرْ ، لِيَرْتَّبَ بِكَرَمِهِ الْوَسَائِلَ ، أَوْ يَقِيمَ الْحُجَجَ وَالْدَّلَائِلَ ، فَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِمَالِهِ ، وَاعْتَنِمُوا رِضَاهُ بِبَعْضِ نَوَالِهِ . وصِيَامُ رَمَضَانَ عِبَادَةُ السَّرِّ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، الْمَحْوُضَةُ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى ، مُؤَكَّدَةٌ بِصِيَامِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ ، وَالْقِيَامِ بِرِّ الْقِيَامِ ، وَالْاجْتِهَادِ وَإِثَارِ الشَّهَادِ ، عَلَى الْمِهَادِ ، وَإِنْ وَسِمَ الْاعْتِكَافُ فَهُوَ مِنْ سُنَنِ الْمَرْعِيَّةِ ، وَلَوْ أَحَقَّهُ الشَّرْعِيَّةُ ، فَبِذَلِكَ تَحْسُنُ الْوُجُوهَ ، وَتَحْصُلُ مِنَ الرِّقَّةِ عَلَى مَا تَرْجُوهُ ، وَتَذْهَبُ قَسْوَةُ الطَّبَاعِ ، وَيَمْتَدُّ فِي مَيْدَانِ الْوَسَائِلِ الْبَاعِ ، وَالْحُجْجِ مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ الرُّكْنُ الْوَاجِبُ ، وَالْقَرَضُ عَلَى الْعَيْنِ لَا يَحْجُبُهُ الْحَاجِبُ ، وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْرَهُ فِيمَا فَرَضَ عَنْ رَبِّهِ وَسَنَّهُ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

[١] صواب العبارة « واستعاضَ بصدئه صقالا » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أخذته مكانه ( ومنه ترى أن الباء داخله على المتروك ) واعتاضه منه واستعاضه ( والباء كمن ) .  
[٢] قهقر وقهقرى : رجع القهقرى . [٣] أُنْبِئْ . [٤] الخالصة .

الجنة » ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع تقيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه محمد الاسلام وفروضه ، وتقود مهزه وعروضه ، لحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يؤاويكم <sup>(١)</sup> ظاهرين ، وتلقوا الله لامبداين ولا مغيين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب <sup>(٢)</sup> ، فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى الباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النحلة <sup>(٣)</sup> عادة ، والأخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتسوه لبنيتكم ، واستدر كوا منه ما خرج عن أيديكم ، وانحلوم على جمعه ودزسه ، واجعلوا طباعهم ترى لغرسه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه <sup>(٤)</sup> ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحلوم وثابة رفعة لا يحط فارغها ولا يستنزل ، واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا ينالها

[١] يعاديتكم ، وظاهرين : ظالين . [٢] أى بعد الاختفاء ، من انتقلت المرأة ليست القاب .

[٣] نحلة : أعطاء ، والاسم النحلة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جراه ومن جراهه بالتشديد

ويخففان ، ومن جريرته : أى من أجله ، والهكرى : النوم .

في غيرِه <sup>(١)</sup> المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نَجَمَ بِمَنَابِتِهَا المَرِيعَةُ <sup>(٢)</sup> ،  
 من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولُها ، ولا يضائق ثمراتِ المعادِ حصولُها ،  
 فإنها هي آلاتُ لغيرِ ، وأسبابُ إلى خير منها وخير ، فمن كَانَ قابلاً للزيادة ،  
 وألْفَى فهمه ذا انقياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة  
 صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة ، المهدى  
 كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلالة ، والتدرج في  
 طرق النظر بصحيح الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ، ومن قصر  
 إدراكه عن هذا المرمى ، وتقاعدَ عن التي هي أسمى ، فليزوِ الحديث بعد تجويد  
 الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم  
 القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرُها لا يُفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً  
 ركيكاً ، ولا يُثمر في العاجلة إلا اقتحامَ العيون ، وتطريقَ الظنون ، وتطويق  
 الاحتقار ، وسمّة الصغار ، وخمول الأقدار ، والخسْف من بعد الإبدار ، وجادة  
 الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن  
 رُشد <sup>(٣)</sup> قاضي المصر ومفتيه ، وملتبسُ الرشد وموليه ، عادت عليه بالسَّخطة

[١] غير الدهر : أحداثه المفيرة ، والضمير فيه يعود على الوقت . [٢] المخصبة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ  
 ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واتصل بيوسف بن عبد المؤمن زعيم الموحدين ، وشرح له فلسفة  
 أرسطو ، وقد ولاء قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراكش ، وجعله طبيباً للحام ، ثم جعله قاضي القضاة  
 بقرطبة ، ولما ولي بعده ابنه المنصور بالله علت مكانة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فكادوا  
 له عند السلطان واتهموه أنه يجحد القرآن ، وينشط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلا من علوم الدين ، وينصر  
 مذهب القدماء في القول بالوهمية بعض الكواكب ، فعزله المنصور من قضاء قرطبة ، ثم دعا عنه ،  
 واستدعاه إلى مراكش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات  
 الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في نهضتهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم <sup>(١)</sup> بجامها ، إلا ما كان من حساب ومساحة ، وما يعود يجذوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور ، وضررم <sup>(٢)</sup> مسجور ، ومحقوت مهجور ، وأمرؤا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانهموا عن المنكر نهياً حريّاً بالاعتدال حقيقاً ، وأغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً ، وأطيعوا أمر من ولأه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جحراً ، ولا تدخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى <sup>(٣)</sup> عليه الآباء السنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به ، وإياكم والكذب ، فهو العورة التي لا توارى ، والسوءة التي لا يورتاب في عارها ولا يمتارى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي مما أعد الله له من العذاب ، أن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق ، وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، وفي وجه الديانة كلوم <sup>(٤)</sup> ، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولا ، ولا تقرؤا عليه طبعاً مجبولا ، وأوفؤا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن ، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء

[١] الجام : لئاء من فضة . [٢] جمع ضربة بالتحريك وهي الجرة والدار ، وسجر التور : أحمام

[٣] ضرى بالشئ : كتب : اعتاده وأولع به ، ويعدى بالهمز والتصنيف ، فيقال : أصريته وضرريته :

أى أفريته به . [٤] الكلوم جمع كام بالفتح يدهو الجرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة ، وسُئِلَ الله تعالى غير مُنْسَدَّة ، ما لم يُقْبِذ إلى الله تعالى بأمانه ، وَيَمَسَّ الدَّم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَى بِهِ سَنَنًا قَوِيًّا ، وَجَلَّى مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ لَيْلًا بَهِيًّا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ، واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل السعادة بآئمه ، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه ، فالحلال لم تضيق عن الشهوات أنواعه ، ولا عُدِمَ إقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فليُنظر : هل يجب أن يُزَنَى بأهله ؟ والله قد أعدَّ للزاني عذابًا ويلا ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرَام الكبار ، ومفتاح الجرائم والجرائر<sup>(١)</sup> ، والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذي سَوَّغ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرَضَةِ الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رَجَسًا محرَّمًا على العباد ، وَقَرَنَهَا بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ فِي مُبَايَنَةِ السَّدَادِ<sup>(٢)</sup> ، ولا تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فإنه من مَنَاهِي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مَالَ أَحَدٍ بِغَيْرِ حَقٍّ يُبَيِّحُهُ ، واترعوا

[١] الجرائم جمع جريمة : وهي الجريمة .

[٢] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

الطَّعْمُ<sup>(١)</sup> عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْتَعْنِي فيه أحدُكم على قَدَمِهِ ، ولا يَكِلْ خِيَارَهُ إِلَّا لِلثِّقَةِ مِنْ خَدَمِهِ ، ولا تَلَجَّثُوا إِلَى الْمُتَشَابِهِ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِهِ ، فهو في السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْلٌ مُشْرُوطٌ ، والمحافظُ عليه مَغْبُوطٌ ، وإياكم والظلمَ ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مُجَاهِرِ اللَّهِ تَعَالَى بِصَرِيحِ الْعِصْيَانِ ، « وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحَاحِ الْحِسانِ ، والنِّمِيةُ فسادٌ وَشَتَاتٌ ، لا يَبْقَى عَلَيْهِ مُتَاتٌ<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ<sup>(٣)</sup> » واطَّرَحُوا الْحَسَدَ ، فإِذَا سَادَ حَسُودٌ ، وإِذَا كَمَّ غِييَةٌ : فبابُ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، والبخلُ ، فإِذَا رُئِيَ الْبَخِيلُ وَهُوَ مَوْدُودٌ ، وإِذَا كَمَّ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، ففَوَاقِعُ الْخُزْيِ لَا تُسْتَقَالُ عَثَرَاتُهَا ، وَمَظَنِّاتُ الْفَضَائِحِ لَا تُؤْمَنُ نَعْمَرَاتُهَا ، وتفَقَّدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرَفُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ<sup>(٤)</sup> وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُرَى بِحُكْمِ فِي الْبُضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا الْمُسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَاذْكُرُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَعَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ<sup>(٥)</sup> الْبَادِيَةِ الْإِلْتِحَامَ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُفْسِدُ السِّرَّ وَالْجَهْرَ ، وَالرُّشْدَ ، فَإِنَّهَا تَحْطُّ الْأَقْدَارَ ، وَتُسْتَدْعَى الْمَذَلَّةُ وَالصَّغَارُ ، وَلَا تَسَاحَوْا فِي لُعْبَةِ قَمَرٍ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا تَشَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ، وَالْأَيْمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ ، وَحَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : الشهوة . [٢] المتات : ما يعت به أى يتوسل . [٣] القتات : النمام .

[٤] الزمان : العاهة .

[٥] الوشائج جمع وشيجة : وهي اشتباك الثياب . [٦] قمره : غلبه في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهجُوا بالآمالِ العِجاف<sup>(١)</sup> ولا تكلّفُوا بالكهانة والإرجاف،  
 واجعلوا العمرين معاشٍ ومعاد ، وخصوصيّةً وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه  
 بالمرصاد، وأن الخلق بين زرع وحصاد، وأقلّوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا  
 القواطعَ عن السعادة كما تُحذّرُ السُّموم ، واعلموا أن الخير أو الشرف في الدنيا مُحالٌ  
 أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذيةَ المؤذنين ، ولا تعارضوا مقالاتِ الظالمين ، فالله لمن  
 بُغِيَ عليه خيرُ الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كما نزلت ، ولا تضيّعوا  
 للأمراض إذا أعضلت ، فكلُّ مُنقَرَضٍ حقير ، وكلُّ مُنْقَضٍ وإن طال قصير ،  
 وانتظروا الفرج ، وانتشّقُوا من جناب الله تعالى الأرج<sup>(٢)</sup> ، وأوسعُوا بالرجاء  
 الجوانح ، واجنَحُوا إلى الخوف من الله تعالى فَطُوبَى لِمَعْبُدٍ إِلَيْهِ جَانِحٌ ، وتضرّعوا  
 إلى الله تعالى بالدعاء ، وألجئُوا إليه في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى  
 بالشكر الذي يقيّد به الشارد ، وَيَعَذِّبُ الْوَارِدَ ، وَأَسْهِمُوا<sup>(٣)</sup> منها للمساكين  
 وأفضّلوا عليهم ، وعيّنُوا الحُظُوظَ منها لديهم ؛ فمن الآثار: « ياعائشة أحسنى جوار  
 نعم الله ، فإنها قلّما زالت عن قوم فعادت إليهم » ، ولا تطغوا في النعم وتقصّروا  
 عن شكرها ، وتغلبكم<sup>(٤)</sup> الجهالة بسُكْرِها ، وتتوهموا أن سعيكم جَلَبَها ، وَجَدَّكم  
 حَلَبَها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فِعل إلا لله إذا نُظِرَ بعين  
 اليقين ، والله الله لا تَنَسُوا الفضلَ بينكم ، ولا تُذهَبوا بذهابه زَيْنكم ، وليلتزم  
 كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تَوَاحِيه ، بما أمكنه من إخلاص وَبَرٍّ ، ومراعاةٍ  
 في علانية وسرٍّ ، وللإنسان مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ، وأظهروا التعاضد

[١] العجاف جمع عجفاء : وهي المهرولة . [٢] الأرج : تومج ربح الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراء محرفاً عن « وتغلبكم » .

والتناصر ، وَصَلُوا التَّعَاهِدَ والتزاور ، تُرْغِمُوا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ،  
ولا تَتَنَافَسُوا في الحظوظ السَّخِيفَةِ ، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجَيْفَةِ ،  
واعلموا أن المعروف يَكْثُرُ بالامتنان ، وطاعة النساء شرّ ما أفسد بين الإخوان ،  
فإذا أسديتم معروفًا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء  
أمرًا فاحقرّوه ، والله الله لا تفسؤا مُقَارَضَةَ سَجَلِي<sup>(١)</sup> ، وَبَرُّوا أهل مودتي من  
أجلى ، ومن رُزق منكم مالاً بهذا الوطن القَلِقِ المهّاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ،  
فلا يستهلكه أجمع في العَمَّار ، فيصبح عُرضة للمذاتة والاحتقار ، وساعياً لنفسه  
- إن تغلب العدو على بلده - في الاقتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ،  
أمام الثوب الثقال ، وإذا كَانَ رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ،  
وازهّدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا ، نغیرها لا يقوم بشرّها ، ونفعها لا يقوم  
بضرّها ، وأعقابُ من تقدّم شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاصدة ، ومن  
بُلي بها منكم فليستظهر بِسَمَةِ الاحتمال ، والتقلُّل من المال ، وإيحذر مُعاداة  
الرجال ، وَمَزَلَّاتِ الإِدْلَال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ،  
وَسُكْرُ الاغترار ، فإنه دأب الغرّ ، وَلِيَصْنِ الديانة ، وَيُؤْثِرِ الصمت ويلازم  
الأمانة ، وَيَمِرْ من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمرانِ قَصَدَ  
أقربهما إلى الحق ، وَلِيَقِفْ في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان ،  
والزعازعُ تسالم اللذن<sup>(٢)</sup> اللطيف من الأغصان ، وإياكم وطلب الولاياتِ رغبةً  
واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ،  
داعٍ إلى الفضيحة والعار ، ومن أمتحن بها منكم اختياراً ، أو جبر عليه إكراهاً

[١] السجل : النصيب . والمعنى : إنكم مدينون لي بما قدمت لكم من معروفى ، فلا تسوا أن تردّوه  
لي بأكرام من أودّ . [٢] اللذن اللين .



وإثارة ، فليتلق وظائفها بسعة صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهي بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة <sup>(١)</sup> بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتماد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أليه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتني التي لربكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلت على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآلها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ، ومهما سئتم إطالتها ، واستغزرت مقالاتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك <sup>(٢)</sup> الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، وتفق بضائعها المزجاة <sup>(٣)</sup> ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يُلثمه <sup>(٤)</sup> حيث شاء من شمل متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . ( نفع الطيب ٤ : ١٩٩ )

## ١٨ — خطبة وعظية له

وصدر عنه على لسان واعظ :

« الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، البعيد في قربه من العبيد ، القريب

[١] للإدالة : الغلبة . [٢] فذلك حسابه كدحرج : أنباء وفرغ منه ، مخترعة من قوله إذا أجل حسابه : فذلك كذا وكذا . [٣] بصاعة مرجاة : رديئة أو قليلة يردوها ويدفعها من رآها رغبة عنها ، وثق السلة تفيقاً : روجها . [٤] لأم الجرح والصدع كقطع والألم : سده .

في بعده وهو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيد <sup>(١)</sup> ، مُخَيِّ رُبْعِ الْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ ، وَمُفْنِي نَفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ الْاِقْتِقَارِ إِلَى الْعَرَضِ الزَّهِيدِ ، وَمُخْلَصِ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سَجُونِ دُجُونِ <sup>(٢)</sup> التَّقْيِيدِ ، إِلَى قُسْحِ التَّجْرِيدِ ، نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ الدَّوَامِ ، وَسُمُوطِ <sup>(٣)</sup> التَّأْيِيدِ ، حَمْدَ مَنْ نَزَّهَ أَحْكَامَ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ ، عَنْ مَرَابِطِ التَّقْيِيدِ ، وَمَخَابِطِ الطَّبْعِ الْبَلِيدِ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ افْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةً تَتَخَطَّى بِهَا مَعَالِمَ الْخَلْقِ ، إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ ، عَلَى كَبِدِ التَّفْرِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ قِلَادَةُ الْجِيدِ الْمَجِيدِ ، وَهَلَالُ الْعِيدِ ، وَقَدْ لَكَ الْحِسَابُ وَبَيْتُ الْقَصِيدِ ، الْمَخْصُوصُ بِمَنْشُورِ الْإِدْلَالِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِقْطَاعِ الْكَمَالِ ، بَيْنَ مَقَامِ الْمُرَادِ وَمَقَامِ الْمُرِيدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ السَّعِيدِ ، وَخَاطِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ بِمُحْجَتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكُ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، لِيَأْخُذَ بِالْحُجَزِ <sup>(٥)</sup> وَالْأَطْوَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُورًا سُبُوحًا رَفِيعًا ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق. [٢] أى ظلام التقييد ، والدجون جمع دجن بالفتح : وهو لباس الغيم الأرض وأقطار السماء. [٣] سموط جمع سمط بالكسر : وهو خيط النظم. [٤] أدل عليه : وثيق بمحبته. [٥] المحرز جمع حجرة كفرصة : وهي مقعد الإزار ، ومن السراويل موضع الشبكة.

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة  
تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتَسْرَى إلى تَرْبَتِهِ الزَّكِيَّةِ من ظهور المَواجِدِ الجائِيةِ  
على البَرِيدِ :

قعدتُ لتذكيرٍ ، ولو كنتُ منصفاً      لذكرتُ نفسي فهي أحوجُ للذكرى  
إذا لم يكن منى لنفسي واعظاً      فيا ليت شعري كيف أفعل في الأخرى ؟  
آه ، أيُّ وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسْمَعُ ، وفي ماذا - وقد تبين الرُّشدُ  
من النِّفى - يُطْمَعُ ؟ يا من يُعْطَى ويمنع ، إذا لم تُقِمِ الصَّنيعةَ فماذا نصنع ؟ أَتَجْعَلُنَا  
بقلوبنا يا من يُفَرِّقُ ويجمع ، وَكَيْنَ حَدِيدَها بنارِ خَشْيَتِكَ ، فقد استمادَ نَبِيِّكَ  
صلى الله عليه وسلم مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، ومن عينٍ لَا تَدْمَعُ : اعلموا رحمكم الله أن  
الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجماد والحِوان ، وما  
أملأه المَلَوَانُ (١) ، فإن الحق نور لا يضره أن صدر من الحامل ، ولا يقصر  
بمحموله احتقارُ الحامل ، وأنتم تدرُونَ أنكم في أطوارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لها دون  
الغايةِ رِحْلَةٍ ، وَلَا تَتَأَثَّى معها إقامة ولا مُهْلَةٌ ، من الأصلاب إلى الأرحام إلى  
الوجود ، إلى القبور إلى النُّشُورِ إلى إحدى دارَيِ البقاء ، أفي الله شك ؟ فلو  
أبصرتم مسافراً في البرِّيَّةِ يَدْنِي وَيَفْرِشُ ، وَيُمَهِّدُ وَيَعْرِشُ ، ألم تكونوا تضحكون  
من جهله ، وَتَمَجِّبُونَ من رِكَائِكَ عقله ؟ ووالله ما أموالكم ولا أولادكم ،  
وشواغِلُكم عن الله ، التي فيها اجتهدُكم ، إلا بقاءُ سَفَرٍ (٢) في قَفَرٍ ، أو إعراسٌ في  
ليلةٍ نَمَرٍ (٣) ، كأنكم بها مُطَرَّحَةٌ تَعْبُرُ فيها المواشي ، وتنبو العيونُ عن خبرها

[١] المَلَوَانِ : الليل والنهار .

[٢] الدَّهْرُ : جماعة المسافرين . [٣] أعرس القوم وعرسوا : نزلوا في آخر الليل للاستراحة ،

ونمر الحاج من منى كضرب نمرأ ونفورا . انظر ج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشي « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد  
المَقِيلِ إِلَّا الرَّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا المنزلُ الكريمُ ، أو المنزل الويل ، وإنيكم  
تستقبلون أهوالاً ، سَكَرَاتُ الموتِ بَوَاكِيرُ حسابها ، وَعَتَبُ أبوابها ، فلو  
كُشِفَ الغطاء عن ذَرَّةٍ منها ، لَذَهَلَتِ العقول وطاشت الأبواب ، وما كلُّ  
حقيقةٍ يشرحها الكلام ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعددتُم لهذه الوَرْطَةِ حيلةً ، وأظهرتم  
للاهتمام بها خيلةً <sup>(١)</sup> ؟ أتعويلا على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام  
التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمننا من مكره مع المنايذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ  
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعنا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :  
« فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أُمُشَاقَّةٌ وَمَعَانِدَةٌ ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكنا في الله ؟ فعمالوا نُعيد الحساب ، وَنُقَرِّرُ الْعَقْدَ ، وَنَتَّصِفُ  
بدعوة الحقِّ (أَوْ غَيْرَهَا) من اليوم ، يُفْقَدُ عَقْدُ الْعَقَائِدِ عند التساهل بالوعيد <sup>(٢)</sup> ،  
فالعاميُّ يُدْمِي الأصبع الوجِعةً ، والعارف يضمُّد لها مبدأ العَصَبِ .

هكذا هكذا يكون التعمى هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا  
مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرءوف الرحيم يقول لكم : « أَلَكَيْسُ  
مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى  
عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ، فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعْوَلِ ، وماذا يتأوَّل ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الخيلة الظن . [٢] أى أن المرء إذا لم يحسب لوعيد الله حساباً ، واسرسل في اقتراف المعاصي  
والموبقات ، أفضى به ذلك إلى زلزلة العقيدة ، ولم أنه كان خالص الإيمان لارعوى عما نهى عنه .

نفوسكم وَأَنْصَحُوهَا ، وَاعْتَنِمُوا قُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجُّوهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ  
يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّاخِرِينَ » ، وتنادى  
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وتستغيث أخرى : « يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ  
فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ أَرْجِعُونِي » ، فَرَحِمَ  
الله من نظر لنفسه ، قبل غُرُوب شمسهِ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ  
تَجْرُؤُ إِلَى الْمَوْتِ ، والغفلة تقود إلى الفَوْتِ ، والصحة مَرَكَبُ الْأَلَمِ ، والشببية  
سفينة تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْمَرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ وَالْكَلْفُ بِالْوُجُودِ الْفَانِي ، عن الدائم الباقي ،  
والدهر يقطع الأماني ، وَهَادِمُ اللِّذَاتِ قَدْ شَرَعَ فِي تَقْضِ الْمَبَانِي ، أَلَا مَعْتَبِرِي  
عَالَمِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، أَلَا مَرْتَحِلٍ عَنْ مَغَايِبِ هَذِهِ الْمَغَانِي <sup>(١)</sup> ؟

أَلَا أَذُنٌ تُصْنِي إِلَى سَمِيعَةٍ      أَحَدَثَهَا بِالصَّدْقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَّاهُ حَسْرَةً      عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ      فَتَوَبُوا سِرًّا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفَوْتُ  
يَا كَلِيفًا بَمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِغُرُورِ الْوُجُودِ الْمَعْدُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجْلِ  
الْمَهْدُومِ ، يَا مُشْتَغِلًا بَيْنِيَانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي  
فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُعَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ <sup>(٢)</sup> ،  
لَا بَدَأَ أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْعُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجْلِ بَيْتَ صَمْرَكٍ ،  
فَسَلَبَ النِّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَوَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ <sup>(٣)</sup> ، واقتلع جواهر

[١] للمعاني جمع معنى وهو المنزل .

[٢] السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . [٣] كربه النعم كنصر : اشتد عليه .

الجوارح ، وقد وقع بك النّهب ، ولم يَبْقَ إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .  
لو خُفِّفَ الوجدُ عني دعوتُ طالب ثارى

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التّراخى والفوتُ مع الأنفاس يُنتظر ،  
كيف الأمان وهاجم الموت لا يُبْقِي ولا يَذَرُ ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح  
وقد صَحَّ الخبر ؟ من فكّر في كَرْب الخُمار <sup>(١)</sup> تنغّصت عنده لذة النّبيذ ، من  
أَحْسَنَ بِلَفْظٍ <sup>(٢)</sup> الحريق فوق جدّاره ، لم يُصْغِرْ بصوته لِنَعْمَةِ العود ، من تَيَقَّنَ  
بذُلَّ العُزلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشرّه أولى لنا ما قلّ منك وما كفى  
أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: أَنْ ضَعَّ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ،  
فَبَعَدَ مَا حَازَتْهُ مِنْ شَعْرِهِ تَعِيشَ سَنِينَ ، فقال : يارب وبعد ذلك ؟ قال :  
تموت ، قال : يارب فالآن .

رأى الأمرَ يُفْضَى إلى آخرِ فصيرَ آخره أوّلا  
إذا شَعَرْتَ نَفْسَكَ بِالْمِيلِ إِلَى شَيْءٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ « لِيَهْلِكَ مَنْ  
هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ » فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين  
الأحباب مرّوا ؟ فياليت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطّروا ،  
واستغاثوا مَنْ سَبَقَكَ <sup>(٣)</sup> بأولياهم ففرّوا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضرّوا ، فالمنازل  
من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاصيل  
متشابهة متساوية ، والمساكن تَنْدُبُ في أطلالها الذئابُ العاوية .

[١] الخمار : صداع الجر وأذاها . [٢] أى برميهِ . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن  
يقول : « واستغاث من سبقك بأولياهم » إلا أن يخرج على أن « من » مبتدأ مؤخر كما في قوله تعالى :  
« ثُمَّ عَمُوا وَصَدُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من »

صَحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا      لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي الْغَرِيبُ ؟  
وَيَجْتَنِبُ الدَّارَ قَبْرُ جَدِيدُ      مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيدُ  
غَاغَرَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّجَاحِي      قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِّبُ <sup>(١)</sup>  
لَا تَسْأَلُ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ      إِنَّ يَوْمَ الْيَتْرِ يَوْمَ عَصِيبُ  
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي      بَعْدَ إِلْفِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أَيْنَ الْمَعْمَرُ الْخَالِدُ ، أَيْنَ الْوَلَدُ أَيْنَ الْوَالِدُ ، أَيْنَ الطَّارِفُ أَيْنَ التَّالِدُ ، أَيْنَ الْمَجَادِلُ أَيْنَ  
الْمُجَالِدِ ؟ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ <sup>(٢)</sup> وَجْوهَ عِلَاهُنَّ الثَّرَى ،  
وَصَحَائِفُ تَفَضُّنَ ، وَأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ ، بِحَثِّ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ ، وَالْعَارِفُونَ  
وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يُهْدَى بِهِمُ الْعِبَادُ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ  
بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبَعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي  
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلَى      فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلَى مِنْ حَبِيبٍ  
وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلَى      سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ

وَقَالُوا : مَا أوردَ النَّفْسَ الْمَوَارِدَ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْحَتْفِ إِلَّا الْأَمَلُ ، كَلِمًا قَوِّمَتْهَا  
مُثَاقِفُ الْحُدُودِ ، فَتَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ . كَلِمًا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا  
طُرْفُ الْغُرُورِ فِي أَطْبَاقٍ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا  
حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمَلُ      وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلُ  
يَفْرَضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَمَهْمَا مَالَهُ      حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

[١] لَحَى وَالْحَى وَالتَّحَى : إِذَا أَبْصَرَهُ بَنَظَرٍ خَفِيفٍ . [٢] الرِّكْزُ : الصَّوْتُ الْحَقِيقِيُّ .

ما فوق وَجْهِ الْأَرْضِ نَفْسٌ حَيَّةٌ ۖ إِنْ لَقِيتُمْ فِيهَا الْوَيْلَ لَا تَقُولُوا  
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا لَمُوتٍ، وَهَؤُلَاءِ كِلَا الْمُسْتَعْجِلِ  
وَالْوَعْدِ حَقٌّ، وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ ۖ أَيْنَ الَّذِينَ شَهِدُوا وَاعْتَرَسُوا  
أَيْنَ ذُوو الرِّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةً ۖ لَمْ تَدْفَعْ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ  
اللَّهَ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مِنْ لَه ۖ لَا تَتْرَكْنَهَا فِي عَمَى وَحَيْرَةٍ  
حَقَّرَ لَهَا الْفَانِي، وَحَاوَلَ زُهْدَهَا وَفِدَ إِلَى اللَّهِ بِهَا مَضْطَرَةً  
هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْبَقَاءُ بَعْدَهُ ۖ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ وَيَا حَسْرَتَهَا  
يَوْمَ يُؤَوِّفِي النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا

يَا طَرْدُ<sup>(١)</sup>، الْخَالَفَةُ، أَنْكُمْ مُذَرَّكُونَ فَاسْتَبِقُوا بَابَ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ رَبَّ تِلْكَ الدَّارِ يُجِيرُ وَلَا  
يُجَارُ عَلَيْهِ « فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ »، يَا طُفَيْلِيَّةَ الْهَمَّةِ، دُسُّوا  
أَنْفُسَكُمْ بِزُمرِ النَّائِبِينَ، وَقَدْ دُعُوا إِلَى اللَّهِ دَعْوَةَ الْحَبِيبِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكُلٌ فَلَا  
أَقْلٌ مِنْ طَيْبِ الْوَلِيَّةِ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا عَقَدَ النَّائِبُونَ الصَّلَاحَ مَعَ اللَّهِ  
تَعَالَى، انْتَشَرَتْ رَعَايَا الطَّاعَةِ فِي عِمَالَةِ الْأَعْمَالِ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[١] جنبه : دفعه . [٢] أى اتق الله فى نفسك التى هى أولى . . . الخ .

[٣] فد : أسر من وفد أى اقدم . [٤] الطريدة : ما طردت من صيد أو غيره .



وَوَضَعَ الْكِتَابُ « معاني هذا المجلس والله نَسِيمٌ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَنَشَقَهُ مَخْمُورُ  
الْغَفْلَةِ أَفَاقٌ ، سَعُوطٌ <sup>(١)</sup> هذا الوعظ يَنْقُضُ <sup>(٢)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَمَةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ  
الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ ، إِنْ كَسِيرَ <sup>(٣)</sup> هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرٍ <sup>(٤)</sup> ،  
الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ عَيْنٍ مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى  
يَبْنِيهِمْ اللَّهُ » إلهي ذُلُّنا مِنْ حَيْرَةٍ يَضِلُّ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدليلُ ،  
وَأَجْرُنَا مِنْ غَمْرَةٍ <sup>(٥)</sup> وكيف - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السبيلُ ، نفوسٌ صَدِيقٌ مِنْ مَرٍّ  
الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّقِيلُ ، وَنَبَاً يَحْنُوبُهَا عَنْ الْحَقِّ الْمَقِيلُ ، وَأَذَانٌ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ  
الثَقِيلُ ، وَعَثَرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا  
وَنَعْمَ <sup>(٦)</sup> الْوَكِيلُ . ( نفع الطيب ٤ : ٨٥ )

## ١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى <sup>(٧)</sup> لابنه

قال أبو الحسن عليّ بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :  
لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرفاً عن « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسعوط : الدواء  
يسبب في الأنف . [٢] في الأصل « ييفض » وأراه « ينقض » أى يذهب .  
[٣] الإكسير : الكيمياء .

[٤] يريد جابر بن حيان . قال ابن الفطحي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو جابر بن حيان الصوفي  
الكوفي ، وكان متقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيمياء . . . الخ » وذكره ابن زيدون في  
رسالته الهزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيان على سرّ الكيمياء » قال ابن نباتة في سرح اليون :  
« وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول  
أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن » وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،  
وأنه إذا قال في كتبه : قال لي سيدي ، وسمعت من سيدي ، فإنه يرمى به جعفر الصادق « وقد قدمنا لك  
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] الغمرة : الشدة . [٦] أورد المقرئ في نفع الطيب لسان الدين عقب ذلك كلاماً آخر في الوعظ  
وهو على نمط ما أوردناه لك فافطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلالة  
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد نوبّه به ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الخضراء ، وهو

الإسكندرية، رأى أبي أن يكتب لى وصية أجعلها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبها عنه ، وهى هذه :

|                                    |                                                |
|------------------------------------|------------------------------------------------|
| أودِعْكَ الرَّحْمَنَ فى غُرْبَتِكَ | مُرْتَقِباً رُحَمَاءَ فى أَوْبَتِكَ            |
| وما اختيارى كَانَ طَوْعَ النَّوَى  | لكننى أَجْرِى على بُغْيَتِكَ <sup>(١)</sup>    |
| فلا تُطِلْ حَبِلَ النَّوَى ، إبنى  | واللهِ أَشْتاقُ إلى طَلَعَتِكَ                 |
| من كَانَ مفتوناً بأبنائه           | فإبنى أَمَعَنْتُ فى خِبرَتِكَ                  |
| فاختصرِ التوديعَ أَخْذاً ، فما     | لى ناظرٌ يَقْوَى على فُرْقَتِكَ                |
| واجعلِ وصاتى نُصْبَ عَيْنٍ ، ولا   | تَبْرَحْ مَدَى الأيامِ من فِكْرَتِكَ           |
| خُلَاصَةَ العَمْرِ التى حُنَّكَتْ  | فى ساعةٍ زُفَّتْ إلى فِطْنَتِكَ <sup>(٢)</sup> |
| فللتجارِيبِ أُمُورٌ إذا            | طالَعَتْها تَشَحَّدُ من غفلتك                  |
| فلا تَتَمَّ عن وَغِيها ساعة        | فإنها عَوْنٌ إلى يَقْظَتِكَ <sup>(٣)</sup>     |
| وكلَّ ما كَابَدَتْه فى النَّوَى    | إياك أن يكسِرَ من هِمَّتِكَ                    |
| فليس يُدْرِى أصلُ ذى غُرْبَةٍ      | وإنما تُعْرِفُ من شِيمَتِكَ                    |

من رحل من علماء الأندلس إلى الشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ عن ٦٧ عاماً . وكان أبوه محمد وزيراً جليلاً بعيد الصيت ، على الذكر ، رفيع الهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا خطوة لدى الموحدين ، وولى لهم أعمالاً كثيرة بمراكش وإشبيلية وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك البربر ، إلى أن استبد بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن على هو منتم كتاب : « المغرب فى أخبار المغرب » ، وكان السبب فى تأليفه هو جده عبد الملك بن سعيد ، ثم تلمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ، ثم أربى على الجميع فى إتمامه على بن موسى ، وقد ذكر فى خطبته أنه بدى فيه من سنة ٥٣٠ هـ ، ومنتهاه إلى غرة سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن بقرناطة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بتونس سنة ٦٨٥ هـ [١] النوى : البعد . [٢] حنكت : أجهكت . [٣] اليفظة بالتحريك وسكنه للشعر .

وكل ما يُفْضَى لِمُذِرٍ فلا  
 ولا تجالس مَنْ فشا جهله  
 ولا تجادل أبدأ حاسداً  
 وامنس الهوينى مظهر عفة  
 أفش التحيات إلى أهلها  
 وأنطق بحيث العي مستقبج  
 ولا تزل مجتمعا طالبا  
 وكلما أبصرتها أمكنت  
 وبلغ على رزقك من باب  
 وأياس من الود لدى حاسد  
 ووفر الجهد ، فمن قصده  
 ووف كلاً حقه ، ولكن  
 ولا تكن تحقر ذا رتبة  
 وحيما خيمت فاقصده إلى  
 وللرزايا وثبة ، ماله  
 ولا تقل : ( أسلم لي وخذني )  
 والتزم الأحوال وزنا ولا  
 وتجعل العقل محكاً ، وخذ  
 واعتبر الناس بالفاظهم  
 تجعله في الغربة من إزبتك<sup>(١)</sup>  
 وأقصده لمن يرغب في صنعتك  
 فإنه أذعى إلى هيتك  
 وأنج رضا الأعين عن هيتك  
 ونبه الناس على رمتك  
 واصمت بحيث الخير في سكتك  
 من دهرك الفرصة في وثبتك  
 ثب واثقا بالله في مكتك<sup>(٢)</sup>  
 وأقصده لما عشت في بكرتك  
 ضد ، ونافسه على خطبك<sup>(٣)</sup>  
 قصدك لا تعتبه في بنضتك  
 تكسر عند الفخر من حدتك  
 فإنه أنفع في غرتك  
 محبة من ترجوه في نصرتك  
 إلا الذي تذخر من عدتك  
 فقد تقاسى الذل في وحدتك  
 ترجع إلى ما قام في شهوتك  
 كلاً بما يظهر في نقدتك  
 وأصحب أخا يرغب في محبتك

[١] الإربة : الحاجة . [٢] المكنة بفتح فكسر : التمكن والقدرة ، وسكنه للشعر .

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحته « وأياس » وبه يستقيم المعنى .

بعد اختبارٍ منك يَقْضَى بما  
 كم من صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصَحَهُ  
 إياك أن تَقْرَبَهُ ، إنه  
 وَأَقْنَعُ إذا ما لم تجد مَطْمَعًا  
 وَأَنْتُمْ نَمُو النبت قد زارهُ  
 وإن نَبَا دهرٍ فَوَطَّنْ له  
 فكل ذى أمرٍ له دولةٌ  
 ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا  
 والشرَّ مهما أَسْطَعَمْتَ لا تَأْتِيهِ  
 يَحْسُنُ في الآخِذِ من خِلَاطِكَ<sup>(١)</sup>  
 وَفِكْرُهُ وَقَفُّ على عَثَرَتِكَ  
 عَوْنٌ مع الدهر على كَرْبَتِكَ  
 وَأَطْمَعُ إذا أُنْعِشْتَ من عُسْرَتِكَ  
 غِيبُ النَّدَى ، واسمُ إلى قِدرَتِكَ  
 جَأَشَكَ ، وانظرهُ إلى مُدَّتِكَ  
 فَوَفَّ ما وَاثَاكَ في دولَتِكَ  
 تَذَكَارُهُ يُذَكِّرُ لَطَى حَسْرَتِكَ  
 فَإِنَّهُ حَوُزٌ على مُهْجَتِكَ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

يا بُنَيَّ الذي لا ناصح له مثلى ، ولا منصوح لى مثله ، قد قدمت لك فى هذا  
 النظم ما إن أخطرتَه بخاطرِكَ فى كل أوان ، رجوتُ لك حسن العافية إن شاء  
 الله تعالى ، وإن أخفَّ منه للحفظ ، وأعلقَ بالفكر ، وأحقُّ بالتقدم قول الأول :

١ يَزِينُ الغريبَ إذا ما اغْتَرَبَ ثلاثٌ ، فمنهن : حُسْنُ الأدبِ  
 وَثَانِيَةٌ : حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةٌ : إجتِنَابُ الرِّيبِ

وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ، ولزمتها فى الغربية ، رأيتها جامعة نافعة ، لا يَلْحَقُكُ  
 إن شاء الله مع استعمالها نَدَمٌ ، ولا يفارقك بِرٌّ ولا كَرَمٌ ، والله دَرُّ القائل :  
 يُعَدُّ رَفِيعَ القومِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وإن لم يكن فى قومه بحسيب

[١] الخلطة مثل العشرة وزنا ومعنى ، والخلطة بالضم : اسم من الاختلاط ، مثل الفرقة من الافتراق .  
 [٢] حازه حوزا : جمعه وضمه وامتلكه كاحتازه احتياراً ، والمعنى : أملك إن أتيت الشر استحوذ على  
 نفسك وتملكك .

إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بَغْرِيْبٍ  
وَمَا قَصَّرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تُعَاشِرُهُ وَدَارِهِ ، فَالْيَيْبُ مَنْ دَارَى  
وَاتَّخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلَ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا  
وَأَصْغَرَ يَا بُنَى إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup> ، وَسَلِّمَ الْكِرْمَ وَالصَّبْرَ :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ<sup>(٢)</sup>  
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ ، وَلَتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ  
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : « وَكَانَ كَلِمًا طَرَأَ<sup>(٣)</sup> عَلَى مَلِكٍ ، فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصَدَ ،  
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى  
صَحْبَةٍ مَنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْعَلِ التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهُبْ فِي رَوْضِ  
أَخْلَاقِهِ هَبُوبَ الدَّسِيمِ ، وَخُلْ بِطَرْفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ<sup>(٥)</sup> ، وَانْزِلْ بِقَلْبِهِ نَزُولَ الْمَسْرَةِ ،  
حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،  
وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،  
أَوْ حَسُودَ لَهُ يَغَارُ لِتَجَمُّلِهِ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدْ  
بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ ، فَقَدْ يَذْبُحُهُ الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَاللِّسَانَ ، وَلِذَا قِيلَ : « إِذَا  
أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا مَّا ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »  
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مَعْيَارًا ، وَكَانَ كَالْمَرَاةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ ، وَجَعَلَ  
نُصَبَ نَازِرِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

[١] يَتِيمٌ : دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ : أَيْ لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَمُوزُ نَظِيرَهُ فَهُوَ يَتِيمٌ .  
[٢] نَبَا بِهِ مَنْزِلُهُ : إِذَا لَمْ يُوَاقِفْهُ . [٣] طَرَأَ عَلَيْهِمْ كَنْعٌ : أَتَاهُمْ مِنْ مَكَانٍ ، أَوْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ لِحَاقَةٌ .  
[٤] الضَّمِيرُ فِيهِ يَمُودُ عَلَى « قَلْبِكَ » . [٥] الْوَسْنُ : التَّعَاسُ .

ولما صار ودّ الناس خبيثاً جزيتُ على ابتسام بابتسام<sup>(١)</sup>

وفي أمثال العامة : « من سَبَقَكَ بيوم فقد سبقك بعقل » ، فاختدِ بأمثلة من جَرَب ، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزُبدة تجاربهم ، ولا تتكىل على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم ، وابتاعوه غالياً بتجاربههم ، يُرَبِّحُكَ ويقع عليك رخيصاً ، وإن رأيت مَنْ له رُوءى وعقل وتجربة ، فاستفد منه ، ولا تضيع قوله ولا فعله ، فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك ، وحثاً لك واهتداء .

وإياك أن تعمل بهذا البيت في كلّ موضع : وَالْحَرْ يُخَذَعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدهم : ما قيل أضرّ من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسنُ بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك ، مُصْلِحاً لحالك ، فراع ذلك عندك ، وإلا فانبذْه نَبَذَ النَوَاة ، فليس لكل أحد يُتَبَسَّمُ ، ولا كل شخص يُكَلَّمُ ، ولا الجود مما يُعَمُّ به ، ولا حُسْنُ الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ، والله درّ القائل :

وَمَالِي لَا أَوْفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدَرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وإياك أن تُعْطِيَ من نفسك إلا بِقَدَرٍ : فلا تعامل الدُّونَ بمعاملة الكفء ، ولا الكفء بمعاملة الأعلى ، ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ، وَيُثْبِتُكَ على مصلحة حاضرة عاجلة ، بغائبة آجلة ، واسمع قول الأول :

وَبِعْ أَجْلاً مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ من زيارة الناس ما استطعت ، ولا تَجْفُهِمْ بِالْجُمْلَةِ ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يُلْحَقَ منه مَلَلٌ ولا ضَجَرٌ ولا جفاء ،

ولا تقل أيضاً : أقمُدُ في كِسْرِيَّتِي ، ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل داج إلى الذل والمهانة ، وإذا علم عدوك أو صديق منك ذلك ، عاملاك بحسبه ، فازدراك الصديق ، وجسر عليك العدو ، وإياك أن يفرك صاحب عن أن تدخر غيره للزمان ، وتطيعه في عداوة سواء ، ففي الممكن أن يتغير عليك ، فتطلب إعانة غيره عليه ، أو استغناء عنه ، فلا تجد ذخيرة قدّمتها ، وكان هو في أوسع حال ، وأعلى رأي ، بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلو اتفق لك أن تصحب من كل صناعة وكل رياسة ، من يكون لك عُدَّةٌ ، لكان ذلك أولى وأصوب ، وسلنى فإنى خير ، طال - والله - ما صحبْتُ الشخص أكثرَ عمرى ، لأعتمد على سواء ، ولأعتدّ إلا إياه ، منخدعا بسرايه ، موثوقاً في حبال خطابيه ، إلى أن لا يحصل لى منه غير العَضِّ على البنّان ، وقول : لو كان ولو كان ! ولا يحملئك أيضاً هذا القول أن تظنه في كلّ أحد ، وتمجّل المكافأة ، وليكن حسن الظن بمقدار ما ، واصبر بمقدار ما ، والفطن لا تخفى عليه تخاييل الأحوال ، وفي الوجوه دلالات وعلامات ، وأصغر إلى القائل :

ليس ذا وجهٍ مَنْ يَضِيفُ ولا يَقْ - رى ولا يدفع الأذى عن حريم<sup>(١)</sup>  
فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قولٌ وجهك عنه قبلةً ترضاها ، ولتحرص  
جهدك على أن لا تصحب أو تخدم إلا ربَّ حِشمةٍ ونعمة ، ومن نشأ في  
رفاهية ومروءة ، فإنك تنام معه في مهاد العافية ، وإن الجياد على أعراقها<sup>(٢)</sup>  
تجرى ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها

[١] ضافه يضيفه : نزل به ضيفاً ، وقرى الضيف كرمى : أحس إليه .

[٢] الأعراق جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرَبَ مُضْعَبُ الْحَمْرِ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عَلِمَ مُضْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مُرْوَتَهُ مَا شَرِبَهُ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يابنى ، وقد عامت أن الدنيا دار مفارقة وتغير ، وقد قيل : « أَصْحَبُ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فتى فارقت أحداً فَعَلَى حُسْنَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ » ، وإياك والبيت السائر :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما يَبْئُثُهُ لَكَ الْقَائِلُ : « كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ يَتَمَسَّكُنُ حَتَّى يَتِمَّ كُنْ » وفول الآخر : « ابْنُ آدَمَ ذَنْبٌ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحْبَتَهُ ، فجأوبه : « إِنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضَعُ رِقِّي فِي يَدِكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ <sup>(١)</sup> » ، وأستمل <sup>(٢)</sup> مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَفْقَدُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسِنِ وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة بالتحريك ، وملكاً مثلث الميم ، ومماكة مثلث اللام : احتواء قادراً على الاستعداد به .

[٢] من استملته الكتاب : سأله أن يملأه على ، والمعنى : استرشد وتبين من نظرات عينه ، أحبب لك هو أم مدو .



يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالأنين يُعزف ألم الجرح ،  
واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وأكذ ما أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

واقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نعمة

إذ الأفكار تجلب الهموم ، وتضاعف الغموم ، وملازمة القُطوب ، عنوان  
المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو المُجانب ، ولا  
تض بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، والله درّ القائل :

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم ؟

مع أنه لا يرد عليك الفاتية الحزن ، ولا يرعوى بطول عتبك الزمن ، ولقد  
شاهدت بفرناطة شخصاً قد ألفت الهموم ، وعشيقته الغموم ، من صغره إلى  
كبره ، لا تراه أبداً خلياً من فكره ، حتى لُقّب بصدر الهم ، ومن أعجب ما  
رأيت منه أنه يتكبد في الشدة ، ولا يتعل بأن يكون بعدها فرج ، ويتكبد في  
الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .

ويُنشِد : توقع زوالاً إذا قيل تم ، ويُنشِد : وعند التناهي يقصر المتطاويل .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا ثمرة نخسور يمر ضياها .  
ومتى رفعك الزمان إلى قوم يذمّون من العلم ما تُحسِنُه حسداً لك ، وقصداً  
لتصغير قدرك عندك ، وتزهيداً لك فيه ، فلا يَحْمِلُكَ ذلك على أن ترهّد في علمك ،  
وتركّن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحجلة<sup>(١)</sup>

[١] المجمل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقفا أحمر المنار والرجلين ، والواحدة حجلة ، واسم جمه

حبلى بكسر فسكون ففتح ولا نظير له سوى ظربي ( ومفرده ظربان بفتح فكسر وهو دويبة منتنة الريح )

فرام أن يتعلمه فصَّعْب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنَسِيَه ، فَبَقِيَ مُجَبَّلَ المشى ، كما قيل :

إن الغراب ( وكان يمشى مِشْيَةً      فيما مضى من سالف الأجيال )<sup>(١)</sup>  
حَسَدَ الْقَطَا ، وأراد يمشى مشيها      فأصابه ضَرْبٌ من الْعُقَالِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ ، وأخطأ مشيها      فلذلك سَمَّوْهُ أبا بَرِّقَالِ<sup>(٣)</sup>

ولا يُفْسِدُ خاطرك مَنْ جَعَلَ يَدُومَ الزَّمانَ وأَهْلَهُ ، ويقول : « ما بَقِيَ في الدنيا كريم ولا فاضل ، ولا مكان يُرْتاحُ فيه » ، فإن الذين تراهم على هذه الصفة ، أكثر ما يكونون ممن صَحِبَهُ الْحِرْمانَ ، واستحقت ظِلْمَتَهُ لِلْهوانِ ، وَأَبْرَمُوا<sup>(٤)</sup> على الناس بالسؤال فمقتوهم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها ، فاستراحوا إلى الوقوع في الناس ، وإقامة الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ، وتعذير أمورهم ، ولا تُزِلْ هذين البيتين من فكرك :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا      فأخو العزِّ يلينُ  
فإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ      فكما كنتَ تكونُ

وقول الآخر :

تِهْ وارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْـتَرْ ، وانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثْرَى<sup>(٥)</sup>  
كَالْغَصَنِ يَسْفُلُ مَا أَكْتَمَى      مَمَرًّا ، ويعلو ما تَعَرَّى

[١] هذا البيت ليس مثبتاً في الأصل ، وقد أوردته الدميري مع البيتين بعده في حياة الحيوان الكبرى ٢ : ٢٤٤ . [٢] العقال : داء في رجل الدابة إذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط . [٣] من أرفات الدابة إذا أسرع . [٤] أورد الفعل لازماً وهو متعد ، جاء في كتب اللغة : « أبرمه فبرم كفرح وتبرم : أله فل » . [٥] أقتر : افتقر .

لا قول الآخر :

الخير يَنْتَقِي وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أَخْبَثُ ما أوعيتَ مِنْ زاد  
واعتقد في الناس ما قاله القائل :  
وَمَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ      وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَى النَّعْيِ لَأَنْمَا  
وقريب منه قول القائل :

بقدر الصُّعُودِ يكون الهبوطُ      فإياك والرُّتَبَ العالِيَّةُ  
وكن في مكانٍ إذا ما سَقَطَتْ      تقومُ ورجلاك في عافِيَةٍ  
وَتَحْفَظُ بما تَضَمَّنَهُ قول الآخر :

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّهِ      ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ  
ولله درَّ القائل :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً      فإذا قَنِيتَ فكلُّ شيءٍ كافٍ  
والأمثال يَضْرِبُهَا لَدَى اللَّبِّ الحَكِيمِ ، وذو البَصَرِ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،  
والفِطْنِ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ ،  
لَا رَبَّ سِوَاهُ . ( فتح الطيب ١ : ٤٩٣ )

٢٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف ( توفي سنة ٧٢٨ هـ )  
وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات <sup>(١)</sup> خطبة ألغيت الألف من  
حروفها على كثرة تردها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب المتصوف ، من أهل بلش مائة ولد سنة ٦٤٩ هـ ،  
وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجالسه أكثر الأحيان بخطب غريبة ،  
يطبق بها مفاسل الأغراض التي يشرع فيها ، وينظم الشعر دائماً في مراجعته ومحاضراته وإجازته من غير  
تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكه ، واستعمل في السفارات بين الملوك لسحق السخام ، وإصلاح الأمور ،  
فكانوا يوجبون حقّه ، ويكثرون بركته ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِدَتْ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ مَحْمُودٌ ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٌ ، وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كَفُورٍ ، وَقَدَسْتُهُ عَنْ قَوْلٍ كُلِّ مُفْسِدٍ غُرُورٍ . كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمُ فِي فَهْمٍ لِحَدٍّ <sup>(١)</sup> ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرَ فِي رَسْمٍ لِحَدٍّ <sup>(٢)</sup> ، لَوْ عَرَّتَهُ <sup>(٣)</sup> فِكْرُهُ تَصَوُّرٌ لَتَصَوَّرَ ، وَلَوْ حَدَّتْهُ فِكْرُهُ لَتَقَدَّرَ <sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ فَهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَةُ ابْطَالِ قِدَمِهِ ، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَةُ لِحْصَلِ عَدَمِهِ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لَقُطِعَ بَتَجَسُّمِهِ ، وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِعَ <sup>(٥)</sup> بِتَقْسُّمِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَبَحٌ لَرَهَقَهُ <sup>(٦)</sup> كَيْفٌ . عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قُطِرَ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكِرَ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُنْسِكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذَرِكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ يُلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَرَضٍ يُلْحَقُهُ <sup>(٧)</sup> ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ، لَوْ وُجِدَ لَهُ جِنْسٌ لَعُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ <sup>(٨)</sup> ، وَلَوْ ثَبَّتَ لَهُ حِسٌّ لَنُوزِعَ فِي دَيُّومِيَّتِهِ <sup>(٩)</sup> .

ومنها : تَقَدَّسَ وَعَزَّ فَعْلُهُ ، وَتَنَزَّاهُ عَزَّ اسْمُهُ وَفَضْلُهُ ، جَلَّ قَاهِرُ فِدْرَتِهِ ، وَعَزَّ بَاهِرُ عِزَّتِهِ ، وَعَظُمَتْ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مَنَنِتُهُ ، فَتَقَّ وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَأَصَرَ وَخَذَلَ ، حَمِدَتْهُ حَمْدًا مِنْ عَرَفَ رَبَّهُ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ ، وَصَفَّتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ ، وَزَكَّتْ <sup>(١٠)</sup> بِصِيرَةِ دِينِهِ لُبَّهُ ، رَبَطَ سِلَاطَ سُلُوكِهِ

[١] أى لعرف ، من الحد : وهو التعريف . [٢] من التحديد ، أى لصارت له ذات محدودة ، ولأنه قال : « قديم » بدل « قدير » لئلا يقال بعده : « لحد » بالجيم المفتوحة أى لصار جديداً حادثاً . [٣] عرته : أى اعترته وتناواته ، وفى الأصل « عدته » بالذال وأراه محرفاً ، وتصوّر أى تمثل فى صورة ، يقال : صورته فتصور . [٤] لتقدر : أى صار له قدر مجسم ، وفى الأصل « لتقدر » وأراه محرفاً . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : غشيه ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يناله وبأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يتصف به .

[٨] القيوم : من أسمائه تعالى ، أى الذى لا ندر له . [٩] الديومة : الدوام .

[١٠] زكت : طهرت .

وَشَدَّ<sup>(١)</sup>، وَهَدَمَ صَرَحَ عُنُوهُ وَهَدَّ، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّتِهِ<sup>(٢)</sup> وَرَذَلَهُ<sup>(٣)</sup>، عِلِمَ عِلْمَ تَحْقِيقِ فَنَحَا نَحْوَهُ، ثَقَرَّ لَهُ عَزٌّ وَجَلٌّ بِثَبُوتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَقِدَمِهِ، وَنَعْتَقَدُ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضٍ عَنِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَّي رَبُّهُ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ، رَسُولَهُ وَخَيْرِ خَلْقِهِ، وَنُعْلِنُ بِنَهْوضِهِ فِي تَبْيِينِ فَرَضِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةٍ شَرْعِهِ فَنَسَخَتْ كُلَّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَ عَزِيمَتَهُ فَقَمَعَ عَدُوَّهُ خَيْرَ قَمْعٍ، قَوْمَ كُلِّ مَقْوَمٍ بِقَوِيْمِ سُنَّتِهِ، وَكَرِيمِ هَدْيِهِ، وَبَيْنَ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرَكُنُونَ<sup>(٤)</sup>، فَفَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَعْيِهِ، بِشَرِّ مُطِيعَةٍ فَظْفَرِ بُرَحْمَتِهِ، وَحَذَرِ حَاصِيَةِ فَشَقِيَّ بِنَقْمَتِهِ .

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون ، وهديتكم لو كنتم تعلمون ، بُصِّرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نَشْرِكُمْ ، وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ خَشْرِكُمْ ، فَكَمْ تَرَكَضُونَ فِي طَلْقِ<sup>(٥)</sup> غَفْلَتِكُمْ ، وَتَنْفُلُونَ عَنِ يَوْمِ بَعْثِكُمْ ، وَالْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عَزِمَ غَيْرُ مَعْلُولٍ ، فَكَيْفَ بَكُمْ يَوْمَ يُوْخَذُ كُلُّ بَذَنَبَةٍ ، وَيُخْبَرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْدَمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَشْتَغِلُ بِهِمَّةً وَكَرْبَةً ، عَنْ صَدِيقِهِ وَتَرْبَةٍ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَتَعْيَنُ لَهُ بُقْعَةٌ ؟ فَرَبِّحْ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتَرْسُلْ فِي رَضِيٍّ عَمَلٍ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَكَسْرِ صَنْمِ شَهْوَتِهِ ، لِيَقْرَأَ فِي بُحْبُوحَةٍ<sup>(٧)</sup> قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرقاً عن « شد » إذ هي التي تلام قولها « وربط » .

[٢] الغرة : العملة . [٣] رذله وأرذله : عدّه رذلاً .

[٤] ركن إلى الشيء : ركّونا : مال إليه واطمأن ، أي بين لهم كيف يركنوا إلى الحق والصواب ،

وقد كانوا من قبله يعمهون في ضلالتهم ويخطئون .

[٥] يقال : جرى الفرس طلقاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرمس : القبر .

[٧] بحبوة المسكن : وسطه .

ومنها : فَتَنَّبَهُ - وَيَحْكُ - مِنْ سِنَتِكَ وَنَوْمِكَ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ مُصْحَبِكَ  
وَقَوْمِكَ ، هَتَفَ بِهِمْ مَنْ تَعَلَّمَ ، وَشَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ حَرَقٌ <sup>(١)</sup> مُظْلِمٌ ، نَخَرَبَتْ  
بَصِيحَتَهُ رَبْوَعُهُمْ ، وَتَفَرَّقَتْ لَهْوَلَهُ جُوعُهُمْ ، وَذَلَّ عَزِيزُهُمْ ، وَخَسِيَ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمَّ  
سَمِيعُهُمْ ، نَخَرَجَ كُلَّ مِنْهُمْ عَنْ قَصْرِهِ ، وَرُمِيَ غَيْرَ مُوسَدٍ فِي قَبْرِهِ ، فَهُمْ بَيْنَ سَعِيدٍ  
فِي رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي حُفْرَةٍ مُعَذِّبٍ ، فَنَسْتَوْهَبُ مِنْهُ عِزَّ وَجَلَّ  
عِصْمَةً مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةً تَبْقَى مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةٍ .

( الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤ )

## ٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض <sup>(٢)</sup> خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال :  
« الحمد لله الذي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ كَلَامَهُ ، وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَحْكَامَهُ ، وَمَدَّ  
فِي آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ مَائِدَةَ الْأَنْعَامِ لِيُتِمَّ إِنْعَامَهُ ، وَجَعَلَ فِي الْأَعْرَافِ أَنْفَالَ  
تُوبَةِ يُونسَ وَالرِّكِيبِ أَهْكَمَتِ آيَاتُهُ ، بِمَجَاوِرَةِ يوسُفَ الصَّدِّيقِ فِي دَارِ  
الْكَرَامَةِ ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَجَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، لِيُؤْمِنَ  
أَهْلُ الْحِجْرِ <sup>(٣)</sup> أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُظَاهَمُونَ  
قُلَامَهُ ، وَجَعَلَ فِي حُرُوفِ كَهْيَعَصَ سِرًّا مَكْنُونًا ، قَدَّمَ بِسَبَبِهِ طَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيُظْهَرَ إِجْلَالُهُ وَإِعْظَامُهُ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ حَتَّى حَبَّجَ الْمُؤْمِنُونَ

[١] الحرق : الذار ولهبها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، بسبقة - بلد بمراكش على  
الساحل الشمالي - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان  
له به كبير عناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو واللغة ، واستقضى ببلده سبقة ، ثم نقل منها إلى قضاء  
غرناطة ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال المقرئ بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفسى من  
نسبتها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل محمود .

بِنُورِ الْفُرْقَانِ ، والشعراء صاروا كالنمل ذلاً وَصَغَاراً لِعَظَمَتِهِ ، وظهرت قَصَصُ الْعَنْكَبُوتِ فَأَمِنَ بِهِ الرُّومُ ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَاقٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْضَحَ لِقَمَانُ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّاهُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذُلًا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ يُسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ <sup>(١)</sup> ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ يَذَرُهُ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صِنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِيبِ <sup>(٢)</sup> مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ شَأَلَتْ بِهِمُ النَّمَامَةُ <sup>(٣)</sup> ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَأَيْسَرَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَوَّرُوا بَيْنَهُمْ ، وَشَنَعْلَهُمْ زُخْرُفَ الْآخِرَةِ عَنْ دُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَثُّوا أَمَامَ الْأَخْقَافِ <sup>(٤)</sup> لِقِتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطَوْا الْفَتْحَ وَبُوءُوا حُجْرَاتِ الْجِنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا : قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ الذَّارِيَاتِ <sup>(٥)</sup> وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ الْحَقِيقَةِ ، وَانْشَقَّ لَهُمْ قَمَرُ الْيَقِينِ ، فَنَافَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنُّهُمْ الرَّحْمَنُ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزُمَ الْمَجَادِلُونَ ، وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِجُونَ يُيُوتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحَنَتِهِ صَفُوفُ الْجَمْعِ فِي تَفَقُّ التَّغَابُنِ ، فَطَلَّقَ الْحُرُمَاتِ حِينَ اعْتَبَرَ الْمَلِكُ وَعَامَهُ ، وَقَدْ سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ <sup>(٦)</sup> وَالْمَعَارِجِ يَمِينَهُ

[١] الملائكة تصف نفوسها للعبادة . [٢] القلب : البئر .

[٣] شألت : سألت : خفت منازلهم منهم ، أو تفرقت كلمتهم ، أو ذهب مزيم .

[٤] واد باليمن به منازل عاد . [٥] الذاريات : الرياح تدرو التراب وتغيره .

[٦] الحاققة : الحاقة .

وَرِثَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نُوْحُ الْجَنِّ فَتَزَمَّلَ <sup>(١)</sup> وَتَدَثَّرَ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْإِنْطِقَارِ التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبَيِّنُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْفَكِّينَ دَهْرَهُمْ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّلْزَلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ <sup>(٢)</sup> لِيُطْفِئُوا نَوْرَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِمِهِمُ التَّكَاثُرَ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْهُمَزَةَ ، وَتَمَثَّلُوا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءُوسِهِمُ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُوْثَرُ <sup>(٣)</sup> مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُذِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعُدِلَ بِهِمْ عَنْ لَهَبِ الطَّامَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرَأُوا وَسَعَدُوا ، وَبِرَبِّ الْفَلَقِ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسِ ، اسْتَعَاذُوا فَأَعِيدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَهُمْ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكِرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ حَمَامَةٌ . ( نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ٣٩١ )

## ٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ <sup>(٥)</sup> خطبة على هذا النمط نصّها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفى من آلِ عِمْرَانَ

[١] تَزَمَّلَ بِثِيَابِهِ : تَلَفَفَ بِهَا ، وَكَذَا تَدَثَّرَ .

[٢] الْخَيْلُ تَعْدُو فِي الْغَزْوِ ، وَالْقَارِعَةُ الَّتِي تَفْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا .

[٣] الْكُوْثَرُ : نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ . [٤] الْفَلَقُ : الصُّبْحُ .

[٥] هُوَ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَقْرِيٍّ عَمُّ أَحْمَدَ الْمَقْرِيٍّ صَاحِبِ نَفْحِ الطَّيِّبِ .



رجالاً ونساءً، وفضلهم تفضيلاً، ومدة مائدة إنعامه ورزقه، اعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً من كربته وحزنه، كما خلص يوسف من جُبّه وسجنه، وسبّح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلاً، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شرباً نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفاً قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلاً، وفضل طه على جميع الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دما إلى الإسلام قد أفلح المؤمنين، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصدق محمداً صلى الله عليه وسلم الذي عجزت الشعراء في صدق نعته، وشهدت النمل بصدق بعثه، ويين قصص الأنبياء في مدة مكثه، ونسج العنكبوت عليه في الغار سِتراً مسدولاً، ومثلت قلوب الروم رعباً من هيئته، وتعلم لقمان الحكمة من حكيمته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزم الأحزاب وسبّاهم وأخذهم أخذاً ويلاً، فلَقَبَهُ فاطرُ السموات والأرض ييساً، كما نفذ حكمة في الصافات، وبين صن صدقه بإظهار المعجزات، وفرّق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم هجراً جيلاً، فنفّر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفي دخان الشرك، وخرت المشركون جاثيةً، كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلاً، وأذل الذين كفروا بشدة القتال، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجر الحجرات الحريز، وبق القدرة قتل الخراصون<sup>(١)</sup> تقتيلاً، كلم موسى على جبل

الطُّور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم ، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتعجب الحديد من قوته ، وكثرة المجادلة في أمته ، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مَقِيلَا ، امتحنه في صفّ الأنبياء وصلى بهم إماماً ، وفي تلك الجمعة مُائِت قلوبُ المنافقين من التغابن خُسراً وإرغاماً ، فطلق وحرّم ، تبارك الذي أعطاه الملك ، وعلم بالقلم ، ورتّل القرآن ترتيلاً ، وعن علم الحاقة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ، وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن ، فأنزل عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » ، فكم من مُدَثِّر يوم القيامة شفقةً على الإنسان إذا أرسل مُرْسَلَاتِ الدمع ، فعمّ يتساءلون أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك وتولّاهم بالعذاب ، وَكَوُرت الشمس وانفطرت السماء ، وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالغمام ، وَطُوِيَتْ ذات البروج ، وَطَرَق طارق العُشُور بالنفخ للقيام ، وعزّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر ، فيومئذ لا بلدَ ولا شمسَ ولا ليلَ طويلاً ، فَطُوبَىٰ لِمُصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم ، إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة ، فسجدوا بِأَقْرَأِ اسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النِّعَمِ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَتَبَتَّلُوا تَبَتُّلًا ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم ، وتسوقهم كالعاديّات إلى سواء<sup>(١)</sup> الجحيم ، وزلّات بهم قارعة العقاب ، وقيل لهم : أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ، هذا عصر العقاب الأليم ، وَخُسِرَ الْهُمَزَةُ وَأَصْحَابُ الْفِيلِ إِلَى النَّارِ فَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ، وقالت قريش ما أمنتكم من

هول الحشر، أرأيت الذى يكذبُ بالدين كيف طُرِدَ عن الكوثر؟ وسيق الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح، قَتَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ: إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنعوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، ونعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذى فَسَقَ، وتوب إليه وتوكل عليه وَكفى بالله وكيلا». (فتح الطيب ٤: ٣٩٢)

### ٢٣ - خطبة الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمى <sup>(١)</sup> خطبة على هذا النمط أيضا نصها:

« الحمد لله الذى شَرَّفَ النّبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة، من بين الأنام، وفضّل آل عمران على الرجال والنساء، بما وهب لهم من مائدة الأنعام، ومنحهم بأعراف الأنفال، وكتب لهم بَرَاءَةً من الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذى نَجَّى يونس وهوذا ويوسف من قومهم، برّعه الانتقام، وغذّى إبراهيم فى الحِجْرِ بِلُعَابِ النحل ذاتِ الإسرار، فضاهى كهف مريم عليها السلام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الأنبياء، وحجج المؤمنين، ونور فرقان الملك العلام، فالشعراء والنمل بفضلُه تُخْبِر، ولقصص العنكبوت الروم تذكّر، ولقمان فى سجدته يَشْكُر، والأحزاب كأيدى سَبَا تُقَهَّر، وفاطريس لصافاته يُنْصَر، وصاد مقلّة زُمَره تنظر الأعلام، قَالَ خُمُ بَقْتَال فتحة فى حُجُرَات قافه قد ظَهَرَتْ، وذَارِيَات طُورِه ونجمه وقره قد عَطِرَتْ، وبالرحمن واقعة حديد يوم المجادلة قد نُصِرَتْ، وأبصار معانديه فى الحشر يوم

[١] قال صاحب فتح الطيب فى ترجمته: «هو إبراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كافر هتما قرية من قرى أعمال سمرقند كما تقول فى النسبة لى بنى همداندار عبدرى، وللى حصن كيفا: حصكى».

الامتحان حَسَرَتْ<sup>(١)</sup> ، وَصَفَّ جَمْعَتَهُ فَأُزِرَ إِذْ أَجْسَادُ الْمُنَافِقِينَ بِالتَّغَابُنِ اسْتَعْرَتْ ،  
وَلَهُ الطَّلَاقُ وَالتَّحْرِيمُ وَمَقَامُ الْمَلِكِ وَالْقَلَمُ ، فَزَاهِيكَ بِهِ مِنْ مَقَامٍ ، وَفِي الْحَاقَةِ ،  
أَعْلَى اللَّهِ لَهُ الْمَعَارِجُ نُوحُ الْمُطَهَّرِ ، وَخَصَّهُ مِنْ بَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِبَيِّئَتِكَ الْمُزْمَلِ ،  
وَبَيِّئَتِكَ الْمُدْتَرِّ ، وَشَفَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دَمَوْعُ الْإِنْسَانِ مُرْسَلَاتٌ كَالْمَاءِ الْمُتَفَجِّرِ ،  
وَوُجْهُهُ عِنْدَ نَبِيٍّ النَّازِعَاتِ وَقَدْ عَبَسَ الْوَجْهَ كَالْهَلَالِ الْمُتَوَوِّرِ ، وَيَوْمَ التَّكْوِيرِ  
وَالْإِنْفِطَارِ وَهَلَاكَ الْمُطَفِّقِينَ وَانْشِقَاقِ ذَاتِ الْبُرُوجِ بِشَفَاعَتِهِ غَيْرِ مُتَضَجِّرٍ ، وَقَدْ  
حُرِسَتْ لِمَوْلَدِهِ السَّمَاءُ بِالطَّارِقِ الْأَعْلَى ، وَتَمَّتْ غَاشِيَةُ الْعَذَابِ إِلَى الْفَجْرِ عَلَى الْمَرْدَةِ  
اللَّثَامِ ، فَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَشَمْسُ اللَّيْلِ وَالضُّحَى الْخُصُوصُ بِالنَّشْرَاحِ الصَّدْرِ ،  
وَالْمُفْضَلُ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ أَمْشَاجٍ<sup>(٢)</sup> الْعَلَقِ ، الطَّاهِرُ الْعَلِيِّ الْقَدْرِ ،  
شَجَاعُ الْبَرِيَّةِ يَوْمَ الزَّلْزَالِ ، إِذْ عَادِيَاتُ الْقَارِعَةِ تَدُوسُ أَهْلَ التَّكَاثُرِ وَمُشْرِكِي الْعَصْرِ ،  
أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْهَمَزَةَ وَأَصْحَابَ الْفِيلِ إِذْ مَكَرُوا وَبَقَرِيشَ وَلَمْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَلَمْ  
يَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، الْمَخْصُوصُ بِالْدِينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْكَوْثَرِ السَّلْسَالِ ، وَالْمَوْثِدُ عَلَى أَهْلِ  
الْجَحْدِ بِالنَّصْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَبَيَّنَتْ يَدَا مُعَادِيهِ ، وَنَعِمَ بِالتَّوْحِيدِ  
مُؤَالِيهِ ، وَمَا أَفْصَحَ فَلَقُ الصَّبْحِ بَيْنَ النَّاسِ وَامْتَدَّ الظَّلَامُ .

( نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ٣٩٥ )



[١] حَسَرَ الْبَصَرَ كَضَرْبٍ : كُلٌّ فَهُوَ حَسِيرٌ . [٢] مَشَّحَ بَيْنَهُمَا كَضَرْبٍ : خَلَطَ ، وَالنَّبِيُّ : مَشِيحٌ ،  
وَالْجَمْعُ أَمْشَاجٌ كَيْنِيمٌ وَأَيْتَامٌ .

## الباب الثاني

في

### خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما وَلِيَ أبو بكر بن عبد الله المدينة <sup>(١)</sup> وطال مُكثُهُ عليها ، كَانَ يبلغُهُ عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعافٌ من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقرَّبوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قائلٌ قولاً ، فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم

---

[١] لا أعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة، وإنما الذي قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم الأنصاري ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ » وذكر أيضاً القلقشندي في صبح الأعشى « ج ٤ : ص ٢٩٦ » أن أبا بكر بن محمد هذا ولي المدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والطاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإني لأستأس في ذلك بقوله : « وطال مكثه عليها » فقد تولاهما خمس سنين ، وبالفرض الذي قيلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والنضال السياسي البعيد المدى ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه محمد ، تسمى به تواضعاً ، وكان ذلك من عادة السلف الصالح رضوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلاً كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . ( الطبري ٤ : ١٥٩ ) .

يَعَهُ فَلَا يَمُتُ مِنْ ذِمَامِهَا <sup>(١)</sup> إِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ تَفْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،  
فَأَرْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ <sup>(٢)</sup> قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ،  
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ <sup>(٣)</sup> السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ »  
فَاتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا الْغَىَّ تَرْشُدُوا ، « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ  
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخِطَهَا مِنْكُمْ ، ف « لَا تَقُوا اللَّهَ  
حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(٤)</sup> وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا  
تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا <sup>(٥)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ  
مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَانْمَا  
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ  
لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوُزَرَاءَ دُونَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَهُمْ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ  
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ <sup>(٦)</sup> وَوَقَرُّوهُ ، فَلَمْ يُقْدِمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُحْجِمُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ،  
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِعَهْدِهِ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتَهُمْ ، وَذَكَرَهُمْ  
فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ  
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » ، تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أَى فَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَرَمَتِهَا ، وَتَأْنِيثُ الضَّمِيرِ فِي « ذِمَامِهَا » بِاعْتِبَارِ الْمَوْعِظَةِ أَوْ الْمَقَالَةِ .

[٢] أَى الرِّقْوَةَ بِهِ . [٣] الْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ ، أَى بَيَانُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْحَقِّ .

[٤] النِّقَاةُ : التَّقْوَى ، وَجَمْعُهَا تَقَى كَرَطِبَةٍ وَرَطْبٌ ، وَأَصْلُهَا وَفِيَّةٌ قَلْبَتْ وَأَوَاهَا الْمَضْمُومَةُ تَاهُ ، كَمَا فِي تَوْذَةِ

وَتَخْمَةٍ ، وَالْبَاءُ أَلْفًا . [٥] الشِّفَا : حَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ .

[٦] التَّمْزِيرُ : التَّفْخِيمُ وَالتَّعْظِيمُ « وَهُوَ أَيْضًا أَشَدُّ الضَّرْبِ . ضِدُّ » .

وَرِضْوَانًا ، سَيِّئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ،  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup> ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوَاقِهِ ، يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ ، لِيَنْخِيطَ بِهِمْ الْكَفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، « فَمَنْ غَاظَهُ كَفَرٌ  
وَخَابَ ، وَفَجَرَ وَخَسِرَ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُمُومِهِمْ يَتَنَبَّهُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ » فَمَنْ خَالَفَ شَرِيطَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَهْم ، وَأَمَرَهُ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي النَّفْسِ  
وَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَرَّقَتْ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وَفَارَقُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلُوهُمْ عِضِينَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَشَعَّبُوا  
أَحْزَابًا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا <sup>(٤)</sup> ، نَخَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذَوْا  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، نَخَابُوا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

[١] أى ذلك مثلهم في الكتاب ، والشطء : فراخ الزرع ، فأزره أى فقواه ، فاستوى على سواقه :

أى فاستقام على أصوله وسبقاته . [٢] يؤثرون : يفضلون ويقدمون ، والخصاصة : الحاجة والفقرة .

[٣] جمع عضة كعدة : وهى الفرقة والقطعة . [٤] أشابات جمع أشابة : وهى الأخلاط ، وأشبه

كفهره : خلطه ، والأوشاب جمع وشب كحمل ، والأوباش جمع وبش كسبب : الأخلاط والسفلة .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ؟ » مالى أرى عيوننا خُزراً <sup>(١)</sup> ، ورقابنا صُغراً <sup>(٢)</sup> ، وبطوننا يُجْزاً <sup>(٣)</sup> ، شَجَا لا يُسِيغُهُ الْمَاءُ <sup>(٤)</sup> ، وداء لا يُشْرِبُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُتْسِرِّفِينَ ؟ » كلا والله ، بل هو الهِنَاءُ <sup>(٥)</sup> والظَّلَاءُ ، حتى يظهر العُذْر ، وَيَبُوحَ السَّرُّ ، وَيَضْحَحَ الْغَيْبُ ، وَيُسَوِّسَ الْجُنُبُ <sup>(٦)</sup> ، فإنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثًا ، ولم تُتْرَكُوا سُدىً ، وَنَحْكُمُ الْإِنِّى لست أَنَاوِيًّا <sup>(٧)</sup> أَعْلَمُ ، ولا بَدَوِيًّا أَفْهَمُ ، قد حَلَبْتُمْ أَشْطُرًا <sup>(٨)</sup> ، وَقَلَبْتُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرَ ، فَعَرَفْتُمْ أَتْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّنْتِهِمْ ، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَعُضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذُنُونَ <sup>(٩)</sup> لَهُمْ ، وَيُصْنَعُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ <sup>(١٠)</sup> ، وَطُولِ الرِّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا <sup>(١١)</sup> ، فَلَسْتُ أَعْتَنِي <sup>(١٢)</sup> آتِبَا وَلَا تَائِبَا ، « عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » ،

- [١] جمع خزراء مؤنث أخزر وصف من الحزر بالتحريك ، وهو الطير في أحد الشقين .  
 [٢] الصعر بالتحريك ميل في الوجه ، أو في أحد الشقين ، أو داء في البعير يلوى عنقه منه ، صعر كفرح فهو أصعر . [٣] بحر بطنه كفرح أيساً فهو أبجر : عظم ، والجعم بحر كحمر .  
 [٤] الشجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه ، لا يسيفه : أى لا يجهله سائماً سهل المدخل في الخلق .  
 [٥] الهناء : الفطران ، يريد أنه يماجههم كما تطفى الإبل الحربي بالفطران لمداواتها .  
 [٦] باح السر : ظهر ، وباح بسر : أظهره ، ووضع يصح وانضح واحد ، ويسوس : أى يروض ويذل ، مضاعف ساسه يسوسه . يقال : سوست له أمراً إذا روضته وذلته ، والجنب : الصعب الذى لا ينقاد . [٧] الأناوى : الغريب عن القوم . [٨] اقتبسه من المثل المشهور : « حلب الدهر أشطره » وللناقة شطران ، قادمان وآخران ، فكل خافين شطر بفتح الشين - والحلب للناقة كالضرع للبقرة - وأشطره منصوب على البدل ، فكأنه قال : حلب أشطر الدهر ، والمعنى : اختبر الدهر وعرف خيره وشره . [٩] أذن له وإليه كفرح : استمع . [١٠] القوارع جمع فارعة : وهي الداهية الفاجئة ، والروائع جمع رائعة ، وهي المفزعة . [١١] أى هذا الذى أتهددكم به من القوارع والروائع ، لهذا الذى تخوضون فيه ، ومقرون به . [١٢] اعتنشه : ظاهه .



فَأَسِرُّوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوهُ ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلِصُوهُ ، فَمَا لِمَا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى  
نَا كِصِينَ ، وَلِيَعْلَمَ مَنْ أَدْبَرَ وَأَصْرَ أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ تَقِيَّةٍ ، وَلَيْسَتْ أَدْعَاكُمْ  
إِلَى أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ ، إِنَّمَا أَدْعَاكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، الَّتِي  
فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رَشْدِهِ ، وَمَنْ نَعِيَ فَعِنَ قَصْدِهِ ، فَهَلُمَّ  
إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تُوتَلُوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ  
أَذَنِي <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « يَدُسُّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُيِّنَاتٍ <sup>(٣)</sup> الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،  
فَهِيَ أَسَدٌ <sup>(٥)</sup> وَأُورَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقَدْ أُرِدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ  
إِلَّا مَا سَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » <sup>(٦)</sup>  
بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى « رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،  
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

( نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٥٦ ، وَصِيحُ الْأَعْنَى ١ : ٢٢٠ )

[١] الَّذِي فِي كِتَابِ الْاَلْفَةِ : « جَدَائِعُ كَسْحَابٍ وَقَطَامٍ : السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ تَجْدَعُ بِالْمَالِ وَتَذْهَبُ بِهِ » وَهَذِهِ  
الْكَلِمَةُ هِيَ الَّتِي يَسْرُخُ أَنْ تَجْمَعَ عَلَى جَدَائِعٍ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَنْتَاسِبُ الْمَقَامَ هُنَا ، فَلَمَّا لَمْ يَأْتِ « الْجَوَادِعُ »  
جَمْعُ جَادِعَةٍ : وَهِيَ الْفَاطِمَةُ ، يَرِيدُ الْمَصْرَاحَ الصَّحِيحَةَ الْحَقَّةَ لِأَنَّهَا تَقَطُّعُ الْبَاطِلَ وَتَرْهَقُهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : انْبَسَجُوا  
الْحَقَّةَ الْمَاسِيَّةَ ، أَوْ الْجَدَائِعُ جَمْعُ جَدُوعٍ كَمَجُوزٍ صَيْفَةٍ مَبَالِغَةٍ مِنْ جَادِعَةٍ ، وَفِي التَّعْلِيلِ عَلَى نَهَايَةِ الْأَرْبِ  
« وَلِلَّهِ الْجَوَامِعُ : أَيُّ الَّتِي تَجْمَعُ النَّاسُ عَلَى اتِّبَاعِهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ » .

[٢] أَيُّ أَخْسَرٍ وَأَدُونُ قُدْرًا ، وَأَصْلُ الدَّنُو : الْقُرْبُ فِي الْمَكَانِ اسْتِمْرَارُ الْخُسْفَةِ كَمَا اسْتِمْرَارُ الْبَعْدِ لِلشَّرَفِ  
وَالرَّفَةِ ، أَوْ هُوَ مُسَهَّلٌ عَنْ أَدْنَى مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَقَدْ قُرِئَ فِي آيَةِ الْكَرِيمَةِ : « أَنْتَسَبِدِلُونِ الَّذِي  
هُوَ أَذَنَّا بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بُيِّنَاتُ الطَّرِيقِ : التَّرَاهَاتُ ( جَمْعُ تَرَاهَةٍ كَقَبْرِهِ ) وَهِيَ الطَّرِيقُ  
الصَّغِيرَةُ الْمُنْشَبَةُ مِنَ الْجَادَةِ ، أَيُّ اسْلُكُوا الطَّرِيقَ الْعَامَّ طَرِيقَ الْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَعْرِجُوا فِي سَوَاءٍ .

[٤] التَّرْنِيقُ : الضَّعْفُ فِي الْأَمْرِ « وَفِي الْبَصْرِ وَالْبَدَنِ أَيْضًا » ، وَالرَّهَقُ : السَّفَهُ وَالْحَقُّ وَالْحَقَّةُ ،  
وَرُكُوبُ الْمَرِّ وَالْعِلْمُ ، وَغَشْيَانُ الْمَحَارِمِ . [٥] أَفْعَلٌ ، مِنَ السَّدَادِ . [٦] أَسْعَتُهُ : اسْتَأْصَلَهُ .

## ٢ — وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت ببِيشة<sup>(١)</sup> رجلاً من أزدي السَّراةِ أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يا سُمَيَّ ، لا يَغُرُّكَ أَنْ فَسَّحَ الشَّبابُ خَطْوَكَ ، وَخَلَّى سَرَّكَ ، وَأَرْفَهَ وَرَدَكَ<sup>(٢)</sup> ، فَكَأَنَّكَ بِالْكِبَرِ قَدْ أَرَبَ ظَوْفَكَ ، وَأَثْقَلَ أَوْقَكَ ، وَأَوْهَنَ طَوْفَكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَتَمَبَ سَوْفَكَ ، فَهَدَجْتَ بَعْدَ الْهَمَلِجَةِ ، وَدَجَجْتَ بَعْدَ الدَّعْلِجَةِ<sup>(٤)</sup> ، نَخَذَ مِنْ أَيَّامِ التَّرْفِيهِ لَأَيَّامِ الْإِنْزَعَاكِ ، وَمِنْ سَاعَاتِ الْمُهِمَّةِ لِسَاعَةِ الْإِعْجَالِ<sup>(٥)</sup> ، يَا بَنَ أَخِي : إِنْ اغْتَرَاكَ بِالشَّيْبِ ، كَالْتِذَاذِكِ بِسَمَادِيرِ<sup>(٦)</sup> الْأَحْلَامِ ، ثُمَّ تَنْقَشِعْ ، فَلَا تَتَمَسَّكَ مِنْهَا إِلَّا بِالْحَسْرَةِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تُعْرَى رَاحِلَةُ الصَّبَا ، وَتَشْرَبَ سَلْوَةً<sup>(٧)</sup> عَنْ الْهَوَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَغْنَى النَّاسِ يَوْمَ الْفَقْرِ مِنْ قَدَمِ ذَخِيرَةٍ ، وَأَشَدَّهُمْ اغْتِبَاطًا يَوْمَ الْحَسْرَةِ مِنْ أَحْسَنُ سَرِيرَةٍ » .

(الأمل : ٢ : ٣١٦)

## ٣ — وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفراً ، فقال :

[١] ببِيشة : واد بطريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورنهت الإبل كنح : وردت الماء متى شاءت ، وقد أرنهتها ورنهتها بالتشديد . [٣] أرب العقد : شدة ، والأربة بالضم : العقدة ، وظاف البير يظوفه : إذا داني بين قبليه ، والقينان بفتح القاف موضعاً القيد من الوظيف ، والأوق : الثقل ، والظوق : الوسع والظافة . [٤] الهدجان تكففان وغراب : مشية الشبح ، هديج كضرب ، والهمليجة : سرعة في المشي ، ودج كضرب دجيجاً ، صرماً صعيماً ، والدعلجة : ضرب من المشي ، والتردد في الذهاب والجيء ، والدحرجة . [٥] رفه عيشه ككرم فهو رفيه ورافه : مستريح متنعم ، وأرفهه الله ورفهه ترفيهاً ، ومن ساطات المهملات أي الدنيا المهملات : أي التي ستهملها وتقادروا ، وربما كانت « المهملات » [٦] السبادير : ما يترأى للإنسان في نومه من الأباطيل ، وما يترأى السكران في سكره . [٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمعي : يقول الرجل لصاحبه : « سقيني سلوة ( بالفتح ) وسلواناً ( بالضم ) » أي طيبت نفسي عك ، وذكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرزة شفافة تدفن في الرمل فتسود فيبحث عنها ، ويسقاها الإنسان فتسليه .

« آثِرْ بِمَمْلَكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدْعُ لَشَهْوَتِكَ رَشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ  
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَقْصِمُكَ مِنَ الرَّدَى ، أَلْجِمِ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ،  
وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبَرُّ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .

(الامالي ١ : ٢٠٠)

#### ٤ — وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :

« يَا بَنِي : لَا تَخِذْهَا حَنَانَةً ، وَلَا أَثَانَةً ، وَلَا مَنَانَةً <sup>(١)</sup> ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ <sup>(٢)</sup> ،

وَلَا كُبَّةَ الْقَفَا <sup>(٣)</sup> » .

(الأمال ٢ : ٢٦٠)

#### ٥ — وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :

« أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَيْسَعَكَ يَتُّكَ ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَابْكْ

(البيان والتبيين ٢ : ١٦١)

عَلَى خَطِيئَتِكَ » .

#### ٦ — وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :

« لَا يَكُونَنَّ مِنْكَ الْمَحَدَّثُ وَلَا يُنْصَتُ لَهُ ، وَالِدَاخِلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ ،

[١] الحنانة : التي لها ولد من سواء فهي تحن عليهم ، والأثانة : التي مات عنها زوجها ، فهي إذا رأت الزوج الثاني أنت ، وقالت : رحم الله فلانا ، لزوجها الأول ، والثانة : التي لها مال ، فهي تمن على زوجها ، كلها أهوى إلى شيء من مالها . [٢] عشبة الدار : يريد الهجينة ، وعشبة الدار : التي تنبت في دمنة الدار ، وحوطها عشب في يياض الأرض ، فهي أنعم منه وأضخم ، لأنها أخذتها الدمنة ، وذلك ( أي العشب ) أطيب للأكل رطباً وبيساً ، لأنه تنبت في أرض طيبة ، وهذه نبقت في دمنة ، فهي منتنة رطبة ، وإذا يبست صارت حتاتا ( بالضم ) وذهب قفها في الدمنة فلم يمكن جمعه ، وذلك يجمع قفه لأنه في أرض طيبة ( والقف بالضم : ما يبس من البقل ، وسقط على الأرض في موضع نباته ) .

[٣] كبة القفا : هي التي يأتي زوجها أو ابنها القوم ، فإذا انصرف من عندهم ، قال رجل من جنباء . . . . .

ولا آتِ الدعوةَ لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالِسُ المجلسَ لا يستحقُّه ، ولا الطالبُ الفضلَ من أيدي اللّثام ، ولا المتعرِّضُ للخير من عند عدوّه ، ولا المتحمِّق في الدّالة<sup>(١)</sup> .  
( البيان والتبيين ٢ : ٥٨ )

## ٧ — وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والعجلة ، فإن العرب كانت تَكْنِيها « أمّ الندامة » لأن صاحبها يقول قبل أن يَعْلَمَ ، وَيُجِيب قبل أن يَفْهَمَ ، وَيَعْزِم قبل أن يَفْكُرَ ، وَيَقْطَع قبل أن يُقَدِّرَ ، وَيَحْمَد قبل أن يُجَرِّبَ ، وَيَذَمّ قبل أن يَحْجُبُ ، ولن يصحب هذه الصّفةَ أحدٌ إلا صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة » . ( زهر الآداب ٣ : ١٩٧ )

## ٨ — وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمُرُكَ بمجاهدة هوائك ، فإنه يقال : إن الهوى مِفْتَاحُ السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها<sup>(٢)</sup> هَوَى يَكْتُمُكَ في نفسه ، وأعداها هوى يَثُلُ لك الإثم في صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهنٌ ، وصِدْقٍ لا يَطْمَعُ فيه تكذيبٌ ، ومضاء لا يقاربه التثبُّطُ<sup>(٣)</sup> ، وصَبْرٍ لا يغتاله جَزَعٌ ، ونِيَّةٌ لا يتقسمها التضييعُ »  
( زهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

[١] الدالة : ما تدلّ به على حبيبتك .

[٢] أى وأشدّها . [٣] التوقف والإبطاء .

## ٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :  
 « إني لأعظكم ، وإني لكثير الذنوب مُسْرِفٌ على نفسي ، غيرُ حامدٍ لها ،  
 ولا حاملٍها على المكروه في طاعة الله عزَّ وجل ، قد بَلَوْتُهَا فلم أجِدْ لها شُكْرًا في  
 الرِّخَاءِ ، ولا صَبْرًا على البَلَاءِ ، ولو أن المرءَ لَا يَعِظُ أخاه حتى يُنَحِّمَ أمرَ نفسه ،  
 لَتُرِكَ الأمرُ بالخير والنهي عن المنكر ، ولكن عِجْزُ الإِخوان حِياةً للقلوب ،  
 وَجِلَاءُ للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ،  
 وإقبالها إدبار ، وآخِرُ حياتها الموت ، فكم من مستقبلٍ يوما لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، ومُتَنَظِّرٍ  
 غدًا لَا يَبْلُغُهُ ، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأَبْنَضْتُمْ الأملَ وَغُرُّورَهُ .  
 ( الأمل ٢ : ٥٧ )

## ١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذّر بعض الحكماء صديقًا له صَحْبَهُ رجل فقال :  
 « اخذَر فلانًا ، فإنه كثير المسألة ، حَسَنَ البحث ، لطيفُ الاستدراج ،  
 يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أُخْرِتَ بما قدمت ، فلا تُظْهِرَنَّ له  
 المخافة ، فيرى أنك قد تَحَرَّزْتَ ، واعلم أن من يَقْظَةُ الفِطْنَةِ إظهارَ الغفلة مع  
 شدة الحذر ، فبائه مبائة الآمن ، وتحفظُ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظْهِرُ  
 الخفيَّ الباطن ، وَيُبْدِي المستكنَّ الكامن » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :  
 « من كانت فيه سَبْعُ خِصال لم يَعْدَم سبعا : من كَانَ جَوَادًا لم يَعدم الشرف

ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رِماية للحقوق لم يعدم الشؤد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

(الأمال ٢ : ٣٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلق الأبدان ، ويُحدّد الآمال ، ويُقرب الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به نصيب ، ومن فاته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : فى قطع الراحة وبذل المجهود .

(الأمال ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :  
« الحسد ماحق الحسَنات ، والزَّهو جالبٌ لِمَقَتِ الله ومقت الصالحين ،  
والعُجب صارِفٌ عن الازدياد من العلم ، داع إلى التخمُّط <sup>(١)</sup> والجهل ، والبخلُ  
أذمُّ الأخلاق ، وأجلبُها لسوء الأُحدوثة » .

(الأمال ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أولى الناس بالفضل أعوذهم بفضله ، وأعونُ الأشياء على تذكية العقل  
التعلم ، وأدلُ الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير » .

(الأمال ١ : ٢١٧)

وقال الأصمعي : العرب تقول :

« لا ثناء مع الكبر ، ولا صديق لذى الحسد ، ولا شرف لِسَيِّئِ الأدب .  
قال : وكان يقال : « شرُّ خِصال الملوك الجُبْن عن الأعداء ، وإِقْسوة على

(الأمال ١ : ٢٠١)

الضعفاء ، والبخلُ عند الإِطاء » .

وقال أبو علي القالى : وأملى علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياه :  
 « جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوّموك ، وإن أخطأت  
 لم يُفتّدوك <sup>(١)</sup> ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل  
 الجهل ، فإنك إن جهلت عتفوك ، وإن زللت لم يقوّموك ، وإن أخطأت لم  
 يثبتوك » . ( الأما ٢ : ٧٢ )

## ١٢ — رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أى عشيرتك أفضل ؟  
 قال : أتقاهم لله ، بالرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟  
 قال : أرزئهم حِلماً حين يُستجهل ، وأسخاهم حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟  
 قال : من كتم سرّه ممن أحب ، مخافة أن يُشارّه يوماً ، قال : فأيهم أكيس ؟  
 قال : من يُصلح ماله ويقتصد فى معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى  
 بِشَرِّ وجهه أصدقاءه ، ويتلطّف فى مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، فى إجابة  
 دَعَوَاتهم ، وعبادة مَرَضاهم ، والتسليم عليهم ، والمشى مع جنازهم ، والنصح لهم  
 بالغيّب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عَرَف ما يوافق الرجال من الحديث  
 حين يجالسهم ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت عارِضته <sup>(٢)</sup> فى اليقين ،  
 وَحَزْم فى التوكل ، ومنع جاره من الظلم . ( مجمع الأمثال ٢ : ١٧٨ )

## ١٣ — أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت  
 الناس ؟ قال :

[١] فنده : ضعف رأيه وخطأه . [٢] العارضة • الجلد والصرامة واللسن .

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مخبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي ، لكان يسيراً » . ( الأمل ٢ : ٣٩ )

#### ١٤ — كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَضَعْنِي عندك نُحُولُ النَّبُوَّةِ ، وزوالُ الثروة ، فَإِنَّ السيفَ العتيق إذا مَسَّه كثيرُ الصَّدَأِ استغنى بقليلِ الْجَلَاءِ ، حتى يعودَ حَدُّهُ ، ويظهرَ فِرْنَدُهُ ، ولم أَصِفْ نفسي مُعْجَبًا ، لكن شكرًا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرف ولد آدم ولا خِرَ » . فجهَرَ بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » .

( زهر الآداب ٣ : ٩١ )

#### ١٥ — وصف الهلباجة

من أمثال العرب : « أعجز من هَلْبَاجَةٍ » وهو النُّثُومُ الكسلان العُطْلُ<sup>(١)</sup> الجافي ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصِّحين ، وفصل آخر لبعض الحَضَرِيِّين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كَبْشَةَ بن أَلْقَبَعَةَ عَنِ عَنْهُ فَقَالَ : « الْهَلْبَاجَةُ : الضعيف العاجز ، الأخرق الأحمق ، الْجِلْفُ<sup>(٢)</sup> الكسلان ، الساقط لا معنى فيه ، ولا غِنَاءٌ<sup>(٣)</sup> عنده ، ولا كِفَايَةٌ معه ، ولا عمل لديه » .

[١] عطل كفرح : عظم بدنه ، ومن المال والأدب : خلا فهو عطل كقفل وعنق .

[٢] الجافي . [٣] لا غناء : لا كفاية .



وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغاء الأمصار سئل عن الهلباجة فقال :

« هو الذي لَا يَزْعَوِي لِعَذْلِ العاذل ، وَلَا يُصْنَعِي إِلَى وَعْظِ الواعظ ، ينظر بعين حَسُود ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُود ، إِنْ سَأَلَ الْخَلْفَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ سُئِلَ سَوْفَ ، وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ زَجَرَ عَنَّفَ ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَفَ <sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَفَ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ اسْتَغْنَى بَطِرَ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنِطَ ، وَإِنْ فَرِحَ أَشِيرَ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ حَزَنَ يَثْسَ ، وَإِنْ ضَحِكَ زَارَ ، وَإِنْ بَكَى جَارَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ حَكَمَ جَارَ ، وَإِنْ قَدَّمَتْهُ تَأَخَّرَ ، وَإِنْ أَخَّرَتْهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ يَشْكُرْكَ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمَتْهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاَهُ ، وَإِنْ حَضَرَهِ قَلَاَهُ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ فَاتَمَحَتْهُ لَمْ يُجِبْهِ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالوَدِّ هَجَرَ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالْبِرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ الْيَمِي ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَّرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ أَوْثَمَنَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرَ <sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ طَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَثَ ، لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بِخَيِّبَةٍ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِمِخْنَةٍ . »

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الهلباجة ، فقال : « هو الأحمق

الضَّغْمُ الْقَدَمُ <sup>(٨)</sup> الْأَكُولُ الَّذِي وَالَّذِي . . . ثم جعل يلتقاني بعد ذلك ، ويزيد

[١] الخ . [٢] ظلم . [٣] من أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أى لم يستطع النهوض بما حمل . [٤] أشير : مرح . [٥] صاح واستغاث . [٦] أبذنه وكرمه غاية الكراهة . [٧] أخفزه وخفر به : قضى هممه وغدره . [٨] القدم : التي عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ : الأحمق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شرّ .  
( مجمع الأمثال ١ : ٢٣٦ )

## ١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بَسِيطٌ <sup>(١)</sup> الكف ، رَحْبُ الصدر ، مُوَطَّأُ الأَكناف ، سَهْلُ الخلق ، كَرِيمُ الطَّبَاع ، غَيْثٌ مُغَوِّثٌ <sup>(٢)</sup> ، وَبَحْرٌ زَخُورٌ ، خُضُوكُ السِّن ، بِشِيرُ الْوَجْهِ ، بَادِي الْقَبُول <sup>(٣)</sup> غير عبوس ، يَسْتَقْبِلُكَ بِطَلَاةٍ ، وَيُحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ غَيْثٍ ، وَجَمِيلُ بَشَرٍ ، تُبْهِجُكَ طَلَاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشَرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَى مَائِدَتِهِ ، عَبْدٌ لَضَيْفَانِهِ ، غَيْرُ مَلَا حِظَ لَأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ <sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيسٌ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحَلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُحْصَنُ الضَّرِيَةِ <sup>(٦)</sup> ، مِعْطَاةٌ غَيْرُ سَأَلٍ ، كَأْسٍ <sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأْمَةٍ ، إِنْ سَأَلَ بَدَلَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ .  
( زهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقُلْنَ : هَئِمُّنَّ نَصِيفَ خَيْلِ آبَائِنَا فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسٌ أَبِي وَزْدَةٌ ، وَمَا وَرْدَةٌ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مُزَخَلَقٌ ، وَمَتْنٌ أُخْلَقَ ،

[١] أى مبسوط الكف سخى . [٢] غوث تغريثاً : قال واغوثاه .

[٣] القبول بالفتح وقد يضم : الحسن . [٤] أى مبتلى وأصله : عظيم البطن .

[٥] خميس : خال ، وأصله : الجائع . [٦] الضريبة : الطيعة ، ومعصن : عفا

[٧] أى مكسو .

وَجَوْفُ أَخَوْق<sup>(١)</sup> ، وَنَفْسُ مَرْوَحٍ ، وَعَيْنُ طَرْوَحٍ ، وَرِجْلُ ضَرْوَحٍ ، وَيَدُ سَبَّوَحٍ<sup>(٢)</sup> ، بُدَاهَتُهَا إِهْذَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ<sup>(٣)</sup> .

وقالت الثانية :

« فرسُ أَبِي اللَّعَّابِ ، وما اللَّعَّابُ ؟ غَبِيَّةٌ سَحَابٌ ، واضْطَرَامُّ غَابٍ ، مُتَرَصُّ الأوصالِ ، أَشْمُ الْقَذَالِ ، مُلَا حَكُّ المَحَالِ<sup>(٤)</sup> ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فَظَبْيٌ مَعَّاجٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَّاجٌ ، وَإِنْ أَخْضَرَ فَعِلْجٌ هَرَّاجٌ<sup>(٥)</sup> . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أَبِي حُذَمَةٍ ، وما حُذَمَةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاةٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَأَثْفِيَّةٌ مُلَمَلَمَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَضَتْ فَذِئْبَةٌ مُعْجَرِمَةٌ<sup>(٦)</sup> ، أُرْسَاغُهَا مُتَرَصَّةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحَّصَةٌ ، جَرِيَّتُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقَرُّيْتُهَا انكِدَارٌ<sup>(٧)</sup> . »

[١] الزحلق : الملس الذي كأنه زحلوقه ( بالفم ) وهي آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل ، والأخلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة المرح ، طروح بعيدة موقع النظر ، ضروح : دفوع ، يريد أنها تضرح الحمارية برجليها إذا عدت ، سبوح : كأنها تسبح في عدوها من سرعتها . [٣] يدايتها : جاءتها ، والبداهة والبديهة واحد ، والإهذاب : السرعة ، والعقب : جرى بعد جرى ، وغلاب مصدر ، غالبته مغالبة وغلاباً ، كأنها تغالب الجري . [٤] الغيبة : الدفعة من المطر ، والغاب جمع غابة وهي الأجرة ، مترس : محكم ، أترست الشيء : أحكمته أقم : مرتفع ، القذال : مقد العذار ( والعدار من اللجام ككتاب : ماسال على خد الفرس ) ، ملاحك مداخل ( بفتح الحاء ) كأنه دخل بعضه في بعض ، والمال جمع مالة : وهي قنار الظاهر ( كسحاب جمع فقارة ) وذكر الأصمعي أنه رأى قنار فرس ميت ، فإذا ثلاث فقر من عظم واحد ، وكذا تكون العراب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاضر ، معج في سيره ومعج : إذا أسرع ، والمهذج كشمس : المني الرويد ويكون السريع ، والعليج : حمار الوحش السمين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] حذمة : فحلة من الحزم وهو السرعة أو القطع ، فقناة مقومة تريد أنها دقيقة القدم ، وهو مدح في الإثبات ، والأثفية : المجر توضع عليه القدم ، مللمة : مجتمعة ، تريد أنها مدورة المؤخر ، لأن الأثافي تختار مدورة ، معجربة بكسر الراء اسم فاعل من المعجربة ، وهي لإسراع في مقابلة خطو . قال الشاعر :

أَمَّا إِذَا يَحْدُو فَتَحْلِبُ جَرِيَّةٌ أَوْ ذِئْبٌ عَادِيَةٌ يَعْجِرُ عَجْرَمَةٌ

ويقال ناقة معجربة بفتح الراء : أي شديدة . [٧] محصمة : قليلة اللحم قليلة الشعر ، محص الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبى خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعَرَّق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،  
وأديمٌ مُمَلَّق <sup>(١)</sup> ، لها خَلْقٌ أَشْدَف ، وَدَسِيعٌ مُنْفَنَف ، وَتَلِيلٌ مُسَيَّف <sup>(٢)</sup> ،  
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهْجُوج ، تَقْرِيبُهَا لِإِهْمَاج ، وَخَضْرُهَا ارْتِمَاج <sup>(٣)</sup> » .

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبى هُذْلُول ، وما هُذْلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،  
رَقِيقٌ الْمَلَاغِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم <sup>(٤)</sup> ، عَيْلُ الْمَخَزِم ، مَخْدٌ مِرْجَم <sup>(٥)</sup> ، مُنِيفُ الْحَارِك ،  
أَشْمُ السَّنَابِك ، مَجْدُولُ الْخَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل <sup>(٦)</sup> ، غَوْجُ التَّلِيل ، صَاصِلُ  
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَبْيُهُ ضَافٍ <sup>(٧)</sup> ، وَعَفْوُهُ كَافٍ » . ( الأملئ ١ : ١٩٠ )

كفرح ، إذا سقط شعره واملاس ، انثرار : انصباب ، كأنه يثره ثراً ، والتقريب : ضرب من العدو  
أو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً ، وانكدر : أسرع وانقص ، وانكدر عليه القوم : انصبوا .

[١] خيفق : فيعل من الحفق كشمس : وهو السرعة ، الباهقان : العطمان الشاخصان في خدى الفرس  
معرق : قليل اللحم ، أشدق : واسع الشدق ، مملق : مملس . [٢] الأشدق : العظيم الشخص ،  
والشدق محرّكة : الشخص ، الدسيع . مغرز العنق في السكاهل ، منفنق : واسع ، من المنفق بكعقر :  
وهو الهواء بين السماء والأرض ، التليل : العنق ، مسيف : كأنه سيف .

[٣] زلوج : سريعة ، الزليج والرجان بالتحريك : السرعة ، الحيفانة : الجرادة التي فيها نقط سود  
تخالف سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خيفانة لسرعتها لأن الجرادة إذا ظهر فيها تلك النقط كان أسرع  
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الرهيج ، ( والرهج بالتحريك : الغبار ) أهرج الفرس إهماجاً : إذا اجتهد في  
عدوه ، والخضر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتعاج : كثرة البرق وتناوبه .

[٤] محبول : في حباله ، مشكول : موثق في شكال ( الشكال ككتاب : الحبل شدت به قوائم الدابة )  
الملاغم من الإنسان : ماحول القم ، أرادت هاهنا الجحافل ( والجحافل جمع جحفة بالفتح بمنزلة النقة للخيول  
والبغال والخير ) والمعاقم : المفاصل . [٥] عيل : عليل ، والمحرم موضع الحرام ، مخد : يخذ الأرض  
أى يجعل فيها أخاديد ( والأخاديد : الشقوق جمع أخدود ) ، مرجم : يرمي الحجر بالحجر ، أو يرمي  
الأرض بمخوافره . [٦] منيف : مرتفع ، والحارك : منبت أدنى العرف إلى الظهر الذى يأخذ به من  
يركبه ، والسنايك : أطراف الحوافر جمع سنايك كقفذ ، مجدول : مفتول ، الحصائل جمع خصيل : وهي  
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة ، القليل : الشعر المجتمع ، ويقال للقطعة من الشعر : القليلة ،  
سببط : مسترسل . [٧] الغوج : اللين المعطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،  
والسبيب : شعر الناصية ، ضاف : سابع .

## ١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جَدْب فقال :

«نَشَأَ حَمَلًا<sup>(١)</sup> سُدًّا مُتَقَاذِفَ الْأَحْضَانِ ، مُخَمَوِيَّ الْأَرْكَانِ ، لَمَاعِ الْأَقْرَابِ ،  
مُكْفَهَرِ الرَّبَابِ ، تَحِيْنٌ رُعُوْدُهُ حَيْنَ اضْطِرَابِ ، وَتُرْفُجْرُجْرَةِ اللَّيْثِ الْغَضَابِ ،  
لِبَوَارِقِهِ النَّهَابِ ، وَلِرَوَاعِدِهِ اضْطِرَابِ ، فَجَاحَقَتْ<sup>(٢)</sup> صَدُورُهُ الشَّعَافَ ، وَرَكِبَتْ  
أَهْجَازُهُ الْقِفَافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أَعْبَاءَهُ ، وَحَطَّ أَثْقَالَهُ ، فَتَأَلَّقَ وَأَصْعَقَ<sup>(٣)</sup> ، وَانْبَجَسَ  
وَانْبَعَقَ ، ثُمَّ أَتَجَّمَ فَاَنْطَلَقَ ، فَنَادَرَ النَّهَاءَ<sup>(٤)</sup> مُتْرَعَةً ، وَالنَّيْطَانَ مُمْرِعَةً ، حَبَاءَ  
لِلْبِلَادِ ، وَرِزْقًا لِلْعِبَادِ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠ )



[١] الحمل : السحاب الكثير الماء ، والسد : الذي قد سدّ الأفق ، احموى : اسودّ ، والأقرب جمع قرب كقفل وعنق وهو الحاصرة ، والرباب : السحاب الأبيض . [٢] جاحقه : زاحه وداناه ، والشعاف جمع شعة كركبة : وهي رأس الجبل ، والقفاف جمع قفّ بالضم وهو ما علظ من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون جبلا . [٣] صمقتهم السماء وأصعقتهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانبجس : انفجر بالماء وانبعق السحاب : انبعج بالمطر واندفع ، والانبعاق : أن يندفع عليك الشيء فجأة وأنت لا تشع ، وأتجمت السماء : أسرع مطرها . [٤] النهاء جمع نهى بالكسر والفتح : الفدير ، ومترعة : مملوءة ، والنيطان جمع فائط : وهو المطمئن الواسع من الأرض ، ممرعة : مخصبة ، حباء : عطاء .

## الباب الثالث

في

### نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدَي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغِلْظَةِ ، فاحْتِمِلْهُ إن كَرِهْتَهُ ، فَإِنَّ وِرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إن قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نَجُود بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ على من لا نَرْجُو نُصْحَهُ ، ولا نَأْمَنُ غِشَّهُ ، وأَرْجُو أن تكون الناصحَ جَنِيْبًا ، المأمونَ غَيْبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنت بِادِرَةِ غضبك ، فَإِنِّي سأُطْلِقُ لِسَانِي بما خَرِسَتْ عنه الْأَسْنُنُ من عِظَتِكَ ، تَأْذِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وِحْقٍ أَمَامَتِكَ . إنه قد اكْتَنَفَكَ رَجَاءُ أَسَاءِ والاختيارُ لأنفسهم ، فابتاعوا دُنْيَاكَ بدينهم ، ورضاك بِسُخْطِ ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حربٌ لِلْآخِرَةِ ، سِلْمٌ لِلدُّنْيَا ، فلا تَأْمَنْهُمْ على ما أئتمنك الله عليه ، فإنهم

لَا يَأْلُونَكَ<sup>(١)</sup> خَبَالًا ، وَالْأَمَانَةَ تَضِييْعًا ، وَالْأَمَّةَ عَسْفًا وَخَسْفًا<sup>(٢)</sup> ، وَأَنْتَ مَسْثُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا<sup>(٣)</sup> ، وَلَيْسُوا مَسْثُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفُسَادِ آخِرَتِكَ ، فَإِنْ أَخْسَرَ النَّاسَ صَفْقَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَعْظَمَهُمْ غَبْنًا مِنْ بَاعِ آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » قَالَ سُلَيْمَانُ : « أَمَّا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي ، فَقَدْ سَلَّتَ لِسَانَكَ ، وَهُوَ أَقْطَعَ سَيْفِيكَ » ، فَقَالَ : « أَجَلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ لَا عَلَيْكَ » .

(ميون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٧ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وزمر الآداب ١ : ٢٧٧)

## ٢ — أَعْرَابِي يَعْظُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

وَدَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : عِظْنِي يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : « كَفَى بِالْقُرْآنِ وَاعْظَا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُطَفِّفُ فِي الْكِيلِ وَالْمِيزَانِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ<sup>(٥)</sup> ؟ » .

(العقد الفريد ٢ : ٨٤)

## ٣ — خُطْبَةُ أَعْرَابِي<sup>(٦)</sup>

وَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ<sup>(٧)</sup> أَعْرَابِيًّا بَعْضَ مِيَاهِمِمْ ،<sup>(٨)</sup> فَنَظَّطَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ :

[١] أَلَا يَأُو : قَصْرٌ وَأَبْطَأُ ، وَالْحَبَالُ : الْمَسَادُ . [٢] الْعَسْفُ : الطَّلْمُ ، وَالْخَسْفُ : الذَّلُّ .

[٣] اكْتَسَبُوا ، وَفِي رَوَايَةٍ : « اجْتَرَمُوا » .

[٤] طَفَّفَ : نَفَسَ الْمَكْيَالَ . [٥] وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ أَيْضًا هَذِهِ الْعِطَةَ (ج ١ ص ٣٠٦)

وَذَكَرَ أَنَّهَا لِابْنِ السَّمَاكِ وَعَطَّ بِهَا الرَّشِيدُ .

[٦] قَدَمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ٤٦٣ أَنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ مُتَنَازِعٌ فِيهَا ، فَهِيَ تُعْزَى تَارَةً إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأُخْرَى إِلَى سَعْيَانَ وَائِلٍ ، وَثَالِثَةً إِلَى أَعْرَابِي . [٧] هُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ وَالِيًّا لَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ : « هُنَّ الْأَصْصِي قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ : شَهِدْتُ الْجُمُعَةَ بِالْفُرْيَةِ « خُرَيْقَةُ كُفَيْتِي : قَرْيَةٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارُ بَلاغٍ <sup>(١)</sup> ، والآخرة دارُ قرار ، تغذوا لِمَقَرِّكُمْ من مَمَرِّكُمْ ، ولا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عند من لا تَخْفَى عليه أسرارُكم ، وأَخْرِجُوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيَاتُكُمْ ، ولغيرها خُلُقُكُمْ ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هَلَكَ ، قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قَدَّم ؟ فله آباؤكم ! قَدَّمُوا بعضاً ، يكون لكم قَرَضاً ، ولا تَخْلَفُوا كُلاً ، يكون عليكم كُلاً <sup>(٢)</sup> ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قوموا إلى صلاتكم . »

( الأمل ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٨ ،

ومجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وعيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٣ وزهر الآداب ٢ : ٤ )

## ٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق فى ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنْثَنى حتى يُنْثَنَى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُذَرِّكُ وِاصْفُ كُنَّةٍ صفته ، ولا يَبْلُغُ خطيبٌ مُنْتَهَى مِدْحَتِهِ ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم » ثم نزل فصلّى . ( العقد الفريد ٢ : ١٦٤ )

وأمرها رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، وافت ثيابه على رأسه ، ويده قرس فقال . . . . وأورد هذه الخطبة « ، وفى الكامل للبرد : « قال الأصمى فيما بلغنى خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله . . . » .

[١] وفى رواية للميداني ، وعيون الأخبار « بلاء » وفى رواية العقد « دار ممر والآخرة دار مقر »

[٢] الكل : الثقل .



## هـ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي

أن ينهى عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحتنبه ، وقد قال الأول :

وَدَعِ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمَّ أَنْ يَلُومَكَ مَنْ تَلُومُ

أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بِرِضَاهُ . ( القصد الفريد ٢ : ١٦٤ )

## ٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أبنان بن تغلب - وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة توفي سنة ١٤١ هـ -

شَهِدْتُ أَعْرَابِيَةً وَهِيَ تُوصِي وَلِداً لَهَا يَرِيدُ سَفْراً وَهِيَ تَقُولُ لَهُ :

« أَيُّ مُبْنَى اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى <sup>(١)</sup>

عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيُّ مُبْنَى : إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرِعُ الضَّغِينَةَ ، وَتَفَرِّقُ

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتُخَذَّ غَرَضاً <sup>(٢)</sup> ، وَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَثْبُتَ

الغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلَمًا اعْتَوَرْتُ <sup>(٣)</sup> السَّهَامَ غَرَضاً إِلَّا كَلِمَتَهُ <sup>(٤)</sup> حَتَّى

يَهَيَّ <sup>(٥)</sup> مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبَخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ

فَاهْزُزْ كَرِيماً يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ

لِنَفْسِكَ مِثَالٌ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ

فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ

مِنْهُ فَعَلَهُ ، كَأَنَّ صَدِيقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَدَنَوْتُ

[١] أُنْفِخَ [٢] هَدَفَا . [٣] تَدَاوَلَتْ . [٤] جَرَحَتْ وَحَطَّتْ .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلاً زِدْتِهِ فِي الوصية ، فقالت : أَوْ قَدْ أَعْجَبَكَ كَلَامُ الْعَرَبِ يَا عِرَاقِي ؟ قلت : نعم ، قالت : وَالْغَدْرُ أَقْبَحُ مَا تَعَامَلُ بِهِ النَّاسُ يَنْتَهِمُ ، وَمَنْ جَمَعَ الْحِلْمَ وَالسَّخَاءَ فَقَدْ أَجَادَ الْحِلَّةَ <sup>(١)</sup> : رَيَّطَتْهَا وَسَرَّ بِأَلْهَا .

( الأمل ٢ : ٨١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٥ ، وبلاغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٢١ )

## ٧ - أعرابية توصي ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يَا بُنَيَّ ، إِنْ سَأَلَكَ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ اِفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ هُنَّتَ عَلَيْهِ ، وَلَا تَزَلْ تُحْفَظُ وَتُكْرَمُ ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَرْغَبُ ، فَإِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَلَزِمَكَ سُوءُ الْحَالِ ، فَاجْعَلْ سَأَلَكَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ حَاجَةُ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوِلِ ، فَإِنَّهُ يُعْطَى السَّائِلَ » . ( المقد الفريد ٢ : ٨٥ )

## ٨ - أعرابي يوصي ابنه

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْذُلْ الْمَوَدَّةَ الصَّادِقَةَ تَسْتَفِدْ إِخْوَانًا ، وَتَتَّخِذْ أَعْوَانًا ، فَإِنَّ الْعِدَاوَةَ مَوْجُودَةٌ عَتِيدَةٌ ، وَالصَّدَاقَةَ مُسْتَعْرِزَةً <sup>(٢)</sup> بَعِيدَةٌ ، جَنِّبْ كِرَامَتَكَ اللَّثَامَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا ، وَإِنْ نَزَلَتْ شَدِيدَةٌ لَمْ يَصْبِرُوا » . ( الأمل ١ : ٢٠١ )

## ٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ خَفَضِ الْعِيشِ ، وَلَيْنَ الرِّيشِ <sup>(٣)</sup> ، وَلكِنْ فَانْظُرْ

إِلَى سُوءِ الظُّعْنِ ، وَسُوءِ الْمُتَقَلِّبِ » . ( الأمل ٢ : ٥٩ )

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين إزار ورداء ، والريطة : الملافة كلها نسج واحد وقطعة واحدة

والسربال : القميص . [٢] مستعززة : متقبضة شديدة : [٣] الماصب والمعاش .

## ١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعاقل المذبر أرجى منك للأحمق المقبل » ، ثم أنشد :

عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَتَقَى عَلَيْكَ وَأَرْغَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ<sup>(١)</sup>

( ذيل الأمل ٣٤ ص )

## ١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب  
برؤيته ونظره ، وَمَثَلُكَ الْأَحْوالِ الْمَخُوفَةِ عَلَيْكَ ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ  
كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً<sup>(٢)</sup> وَجَائِثُكَ ، وَشُكْرُكَ إِزاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ،  
وَأَنْ الْغَاشِءَ لَكَ ، وَالْحَاطِبَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْاِغْتِرَارِ ، وَوَطَّأَ لَكَ مِهَادَ<sup>(٤)</sup>  
الظُّلْمِ ، تَابِعًا لِمَرْضَاتِكَ ، مِنْقَادًا لِهَوَاكَ » . ( الأمل ١ : ١٩٨ )

## ١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشَّراب ، فقال :

« لَا الدَّهْرُ يَمِظُّكَ ، وَلَا الْأَيَّامُ تُنْذِرُكَ ، وَلَا الشَّيْبُ يَزْجُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ  
تَحْصِي عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَالْمَنَایَا تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ،  
أَعُوذُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٥ ، والأمل ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥ )

[١] الوامق : الحب . [٢] مكافئاً .

[٣] الحاطب : الحامل . [٤] المهاد : الفراش .

### ١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَلَجْتَ <sup>(١)</sup> إلى الباطل ، إنك لَقَطُوفٌ <sup>(٢)</sup> عن الحق ، ولئن أبطأتَ لَيُسْرَعَنَّ بك ، وقد خسرَ أقوام وهم يظنون أنهم رابحون ، فلا تغرَّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٦ )

### ١٤ - أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقُوتُهُ ، وتطلب ما قد كُفِيتَهُ ، فكأن ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد نُقِلَتْ عنه ، فامْهَدْ <sup>(٣)</sup> لنفسك ، وأعدِّ ذلك ، وخذ في جَهَازِكَ » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

### ١٥ - أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَارَ النفسِ أَفْضَلُ من يسار المال ، فإن لم تُرْزَقْ غِنًى فلا تُحْرِمْ تقوى ، فَرُبَّ شَبَعَانَ من النعم ، عُرْيَانٌ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خَيْرٍ : تُرَحَّبُ به الأرض ، وتستبشِّر به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٥ )

[١] من هملج البرذون : مشى مشية سهلة في سرعة .

[٢] من قطفت الدابة كنصر وضرب : ضاق مشيا ، فهي قطوف .

[٣] أى مهد وأعد .

## ١٦ - أعرابي يعظ رجلا

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يعظ رجلاً وهو يقول :  
« وَيُحَكِّمُ ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ  
الشفقة عليك ، إِنْ عَقَّارَبَهُ لَتَسْرِى إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا  
تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَّتِكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٧ - أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال :  
« إِنْكَ غُفْلٌ لَمْ تَسِمِمْكَ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَمْعُ الْعُقَّارِبِ ، كَأَنِّي  
بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بَالِكٌ عَلَيْكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابنَ عَمٍّ لَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ ، فَقَالَ :  
« قَدْ قُلْتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوقَ كَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ،  
وَحَزَنَتَهُ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ  
النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبَلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مَوَدَّتِهِ ، وَصَافِي  
غَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مَنِهْجًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهْتَمًا <sup>(١)</sup> » .  
( الأمل ٢ : ٨٢ )



## ١٩ - كلمات حكيمة للأعراب

قيل لأعرابي : مَالِكَ لَا تَشْرَبِ التَّبِيذَ ؟ قال : « لثَلَاثِ خِلَالٍ فِيهِ : لِأَنَّهُ مُتَشَلِّفٌ لِلْمَالِ ، مُذْهَبٌ لِلْعَقْلِ ، مُسْقِطٌ لِلْمُرُوءَةِ » .

وقال أعرابي : « الدِرَاهِمُ مِيَّاسِيمٌ <sup>(١)</sup> ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فَمَنْ حَبَسَهَا كَانَ لَهَا ، وَمَنْ أَنْفَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، وَلَا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .  
وقال أعرابي لأخ له : « يَا أَخِي إِنَّ مَالَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كُنْتَ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلُّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْمَوْفِقُ مَنْ تَرَكَ أَرْفَقَ الْحَالَاتِ بِهِ ، لِأَصْلَحِهَا لِدِينِهِ ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إِنْ اللَّهُ مُخْلِفٌ مَا أَتَلَفَ النَّاسُ ، وَالْدَّهْرُ مُتَشَلِّفٌ مَا أَخْلَفُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الْحَيَاةَ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَبَتْهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْآمَالُ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مَنْ رَجَاهُ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَصْحَبْ مَنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَهُ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُّوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لَا تَسْأَلْ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى » .

---

[١] مياسم جمع ميسم بالكسر : وهو المكواة .

وقال أعرابي : « ما بقاء عُمرٍ تقطعه الساعات ، وسلامةُ بدنٍ مُعرَّضٍ للآفاتِ ؟ ولقد عجبتُ من المؤمن ! كيف يكره الموتَ ؟ وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله ، وأظنما له نهاره . »

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزُوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضُّوا بقليلٍ فإن ، عِوَصًا عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما نزلَ القدمُ حيث لا ينفع الندم . »

وقال أعرابي : « من كانت مطيته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ . »

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : « وإذا مُتُ فإلى أين يذهب بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فما كراحتي أن يذهب بي إلى من لم أرا الخير إلا منه ؟ » .

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنَحِّ النفسَ عن الشهوات ، أسرعَ به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك . »

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ له الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحبتَ له الموت . »

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسلِّط عليه اللئيمُ ، والعاقلُ يُسلِّط عليه الجاهل . »

وقيل له : أى الداعين أحق بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك نخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .  
وقال أعرابى : « الشرُّ عاجِلُهُ لذيذ ، وآجِلُهُ وَخِيم » .

وقال أعرابى : « من ولد الخير أنتج له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مُراً مذاقه ، وقُضْبَانُهُ الغيظُ ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابى : « من كساه الحياء ثوبه ، خفى على الناس عيبه » وقال : « بئس الزاد، التَّعَدَّى على العباد » ، وقال : « التلطف بالحيلة ، أنفع من الوسيلة » ، وقال : « من ثقل على صديقه ، خفَّ على عدوّه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون » .

وقال أعرابى : « أعجزُ الناس مَنْ قَصَّرَ فى طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضيَّعَ من ظفرٍ به منهم » .

وقال أعرابى لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشرِّ ، فإن الغالب بالشرِّ هو المغلوب » .

وقال أعرابى لأخ له : « قد نهيتك أن تُريق ماء وجهك عند من لاماء فى وجهه ، فإن حَظَّكَ مِن عطيتِهِ السَّوَالُ » .

وقال أعرابى : « إن حبَّ الخير خير وإن عجزتْ عنه المقدرة ، وبغضِ الشرِّ خير وإن فعلتْ أكثره » .



وقال أعرابي : « والله لولا أن المروءة ثَقِيلٌ تَحْمِلُهَا <sup>(١)</sup> ، شديدة مؤثنتها ، ماترك اللثام للكرام شيئا » .

واحتَضِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرةً ، إن غبتم حَنُّوا إليكم ، وإن متم بَكَوْا عليكم » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ <sup>(٢)</sup> شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هو فيها » .

وقال أعرابي : « رُبَّ رجل سِرُّه منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحافَ الجَنَاحِ على الخَوَافِ » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسرِّ ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنْبِتَتْهُ الطَّاعَةُ ، وَحَصَدَتْهُ المَعْصِيَةُ ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدنيا فالآخرة صاحِبته ، ومن فارق الحق فالتَّجْدُعُ راحلته » .

وقال أعرابي : « إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوامَ عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه » .

وقال أعرابي : « إذا كان الرأى عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٥ - ٨٧ )

وقال أعرابي : « إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتخبر عما يكون بما قد كان » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا ولم يغفل الدهر عنا ، فلم

[١] الحمل في الأصل : شقان على البعير يحمل فيهما المديلان . [٢] كساء دون انقطيفة يشتمل به .

نَتَمِظُ بغيرنا ، حتى وَعِظَ غيرُنَا بنا ، فقد أدركت السعادة مَنْ تَنَبَّهَ ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً . ( زمر الآداب ٢ : ٥ )

وقال أعرابي لرجل : « اشكُرْ للمنعِمِ عليك ، وَأَنْعِمِ على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحتَه » . ( زمر الآداب ٢ : ٦ )  
وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّحِمِ ، وأعرابيٌّ جالس ، فقال : « مَنْسَأَةٌ <sup>(١)</sup> في العمر ، مَرَضَاءٌ للربِّ ، حَبَّةٌ في الأهل » . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

وقال أعرابي : « لا أعرف ضُرًّا أَوْصَلَ إلى نِباطِ القلب ، من الحاجة إلى من لم تَثِقْ بإسعافه ، ولا تَأْمَنَ رَدَّه ، وَأَكْلَمُ المصائب فَقْدُ خليل لا عِوَضَ منه » .  
وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ فقال : « مُمَازَحَةُ المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك » .

وقال أعرابي : « من لم يرضَ عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه ، دام سَخَطُه ، ومن عاتب على كل ذنب كثر عدوّه ، ومن لم يؤاخِ من الإخوان إلا مَنْ لا عيبَ فيه قَلَّ صَدِيقُه » . ( الأمل ١ : ٢١٨ )

عن عبدالرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في المراء ؟ قال : « ما عسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة ، وَيَحُلُّ العُقْدَةَ الوثيقة ، أَقَلُّ ما فيه أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبةُ من أمتن أسباب الفتنة » . ( الأمل ١ : ٢٥٨ )  
عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجد العَجُولُ محموداً ، ولا الغَضُوبُ مَسْروراً ، ولا المَلُولُ ذا إخوان ، ولا الحُرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ غنياً » .

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « سُنْ عقلك بالحلم ، وَثِرْ وِثْرَكَ بالعَفَافِ ، وَبَجِدْ ثَمَرَكَ بِمِجَانِيَةِ الْخَيْلَاءِ ، وَخَلِّتَكَ <sup>(١)</sup> بِالْإِجَالِ فِي الطَّلَبِ » . (الأمال : ٢ : ٣٢)  
 وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحُ أَعْمَالُ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِتْقَامَ ، وَمَا اسْتَنْبَطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمَشَاوِرَةِ ، وَلَا حُصِّلَتِ النِّعَمُ بِمِثْلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتَسَبَتِ الْبَغْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبَرِ » . (الأمال : ٢ : ٣٢ ، وَزَمَرَ الْآدَابُ ٢ : ٣)  
 وقال أعرابي : « خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ يُنِيلُ عُرْفًا ، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا » .  
 (الأمال : ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « الْعَاقِلُ حَقِيقٌ أَنْ يُسَخِّيَ بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَنَالَ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَلَّ إِمْتَاعُهُ بِهِ ، أَوْ كَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتْ مَرَزِيَّتُهُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ فِيهِ بَعْدَهُ » . (الأمال : ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « خَصَلْتَانِ مِنَ الْكَرَمِ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ » . (الأمال : ٢ : ٧٣)

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُنَبِّئَ قَوْمِي » ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟  
 قال : « لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَ » . (البيان والتبيين : ٢ : ١٦١)

وقال أعرابي لرجل مَطْلَه في حَاجَةٍ : « إِنْ مِثْلُ الظَّفَرِ بِالْحَاجَةِ تَعَجِيلُ الْيَأْسِ مِنْهَا ، إِذَا عَسُرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الطَّلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ الْحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتِ ، وَالْمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةُ الْجُودِ » . (البيان والتبيين : ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وَعَدُ الْكَرِيمِ تَقْدٌ وَتَعَجِيلٌ ، وَعَدُ اللَّئِيمِ مَطْلٌ وَتَعْلِيلٌ »  
 (البيان والتبيين : ٣ : ٢٣١)

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من منع ، أنجلٌ من وعدٍ تمطول . »

( الأمل ٢ : ١٩٨ )

وقال أعرابي : « عودٌ لسانك الخير ، تسلمٌ من أهل الشر . »

( ذيل الأمل ص ٢٩ )

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت<sup>(١)</sup>

أرجلها ، فازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم

فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجرٌ من

عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ . »

( العقد الفريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦ )

## أجوبة الأعراب

### ٢٠ — مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأصمّر<sup>(٢)</sup> ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من

يتغذى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فأتي به ، فقال السلام عليكم ،

قال : هلم أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال :

ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومٌ في مثل هذا

اليوم الحار ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطر اليوم وصم غداً ،

قال : وَيَضْمَنُ لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليه ، قال : فكيف

تسألني عاجلاً بآجلٍ ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الناقة بذنبها وأشالته : رفعته ، فشال هو .

[٢] أصمّر : برز في الصحراء .

ما طيبه خبأرك ولا طبأحك ، قال : فمن طيبه ؟ قال : العافية ، قال الحجاج :  
تالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه عنى . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ، والقدر الفريد ٢ : ٨٧)

## ٢١ — مساءلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :  
« تركتهم — أصلح الله الأمير — حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ،  
وتشكت النساء ، وعرض الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :  
أخصبا نعت أم جدبا ؟ قالوا : بل جدبا ، قال : بل خصباً ، قوله : تفرقوا في  
النيطان<sup>(١)</sup> ، معناه : أنها أعشبت ، فإبلهم وغنمهم ترعى ، وأخذوا النيران ، معناه :  
استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتشكت النساء  
أعضادهن ، من كثرة ما يمتخضن<sup>(٢)</sup> الألبان ، وعرض الشاء : استن<sup>(٣)</sup> من كثرة  
العشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فياً كل جيفها .  
( ذيل الأملال ص ٨٧ )

## ٢٢ — مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال :  
شمول<sup>(٤)</sup> إذا شجبت ، وفي الكأس مزة لها في عظام الشارين ديب<sup>(٥)</sup>  
ثريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قطوب<sup>(٥)</sup>

[١] جمع غائط : وهو المطنن الواسع من الأرض . [٢] مخض اللبن من بلب قطع ونصر وضرب  
أخذ زبد . [٣] استن : سمن ، سن الإبل كنصر : إذا رطها فأسمها .  
[٤] الشمول : الحمر أو الباردة منها ، لأنها تشل برمجها الناس ، أو لأن لها عصفه كعصفه الشمال ،  
وشج الصراب : مزجه . [٥] القذى : ما يقع في الشراب ، قطب كضرب قطباً وقطوباً : زوى ما بين  
عينيه وكلع ، وأخوما : هو نبيذ الزبيب ، والمعنى : أن الشارين يفضلونها عليه فيشربونها دونه ، فهو  
يقطب من أجل ذلك ، وفي أخيها يقول الشاعر :

فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندى حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٥ )

### ٢٣ — مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسرى

وخطب خالد بن عبد الله القسرى فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجفَى أخلاقكم ، لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً » ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغليظ طعامنا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شرٌّ من كلِّ ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون الذكور » ، قال : « قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به » . ( العقد الفريد ٢ : ١٢٧ )

### ٢٤ أجوبة شتى

وقدّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلاّ أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنتَ فأعمل به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدُنِي به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، غائر العينين ، مُشْرِفِ الحاجبين ، ناتيئ الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالْمِرْصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحسِنُ الشّارة <sup>(١)</sup> ، قال : « ذلك عُنوانُ نعمة الله عندى » .

دع الجر يفسر بها الفواة فإننى رأيت أحاماً مقنياً بكانها  
فإلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غدته أمه بلبانها

[١] الشارة : اللباس والهيئة والزينة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار » .

وسئل أعرابي عن القَدَر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يَعْرِفُ ضوءها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون ، وَحَقٌّ علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٦ - ٨٧ )

وقيل لأعرابي : من أبلغُ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .  
وقيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بِالْعُنُقِ » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرّى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « خُبْزٌ خَمِيرٌ ، ولبنٌ فَطِيرٌ ، وماءٌ نَمِيرٌ <sup>(١)</sup> » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قِدرٍ تفور ، وكأسٍ تدور ، وحديثٍ لا يَحُور <sup>(٢)</sup> » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرّعدة ، وَقرُفُصَاءُ القِمَعَةِ ، وَذَرَبُ المِعَدَةِ <sup>(٣)</sup> » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليلٌ خبيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] الخمر : الذي اختمر ، وماء نَمِيرٌ : ناعم ، عذبا كان أو غير عذب .

[٢] أى - لا ينقص ، وربما كان لايجور بالجم . [٣] القرفصاء : أن يجلس على ألبته ، ويلصق

ظفذه بطنه ، ويعتني يديه يضعهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه منكباً ، ويلصق بطنه بفخذيه ، ويتأبط كفيه ، والذرب : الحدة ، والمعدة ككلمة وكسرة .

قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبت من أنثى »

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعهما - صف لنا ناقتك ، قال :  
ما طلبت عليها قط إلا أدركت ، ولا طلبت إلا فئت ، قيل له : فلم تبعهما ؟  
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجَ الحاجاتُ يأمَّ عامرٍ كرائمٍ من ربِّ بهنٍّ ضنينٍ  
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « مُحرُّ الوحش لا تحتاج  
إلى بيطار » .

وقيل لشريح القاضي : هل كلمك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه  
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندي وهو يشير بيديه ، فقلت له : أمْسِكْ ، فإن  
لسانك أطول من يدك ، قال : « أسامري أنت لا تمس ؟ <sup>(١)</sup> » .

( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : « قصورٌ بيضٌ ، في  
حدائقٍ خضر » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَعُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْعُرُوا بِهِ ،  
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنَ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » .

والسامري : هو موسى بن ظفر السامري نسبة إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان  
من قوم يعبدون البقر ، وقع في مصر ، فدخل في بنى إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان منافقاً لا يزال في قلبه  
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى لمجاة ربه فتن بنى إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حملوا معهم من  
حلي القبط التي أخذوها منهم رهائن على ما يقرضونهم من المال - فاتخذ لهم منها عجلاً جسداً له غوار . . .  
إلى آخر ما هو معروف في القصة ، من أثر الرسول : أى من أثر حافر الرسول وهو جبريل ، والأثر :  
التراب الذى تحت حماره ، والمساس مصدر ماس ، وهو نفي أريد به النهي ، أى لا تمس ولا أمسك .



وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : « يَيْضَة <sup>(١)</sup> » ، فى رَوْضَة ، عن  
غَيْب سَارِيَّة ، والشمس مُكَبَّدة . ( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

وخطب أعرابى إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجَف <sup>(٢)</sup>  
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون  
على دين » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٠ )

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزاءك عن ابنك ! » ، قالت :  
« إن مصيبتى آمَنْتْنى من المصائب بعده » .

وقال محمد بن حرب الهلالى : قلت لأعرابى : « إنى لك لَوَادٌ » ، قال :  
« وإن لك من قلبى لرأئداً » . ( البيان والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ )  
وقال الأصمى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :  
« هى لله عندى » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٦ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٩ )

## قولهم فى الاستمناح والاستجداء

### ٢٥ — أعرابى يجتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،  
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمِعْتَ فَقُلْ ، قال :  
« شيخ من بنى عامر يتقرَّب إليك بالعمومة ، ويختص بالخشولة ، ويشكو  
إليك كثرة العيال ، ووَطْأَة الزمان ، وشدة فقر ، وتراذُف ضُرٍّ ، وعندك ما يَسَعُه

[١] البَيْضَة : ساحة القوم ومجتمعهم ، والسارية : السحابة تسمى ليلاً ، وكبدت الشمس السماء : صارت

فى كبدِها أى وسطها ، وفى الأصل « مكبدة » بالياء وهو تصحيف .

[٢] السجف بالفتح والكسر : السر .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بَوْسَهُ ، قال : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَغْنِيهِ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِطَائِنَا عَنْكَ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٨١ )

## ٢٦ — أعرابي يحتدى عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَاقَتْهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْغَايَةَ ، وَاللَّهِ سَأَلْتُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغَ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعَظَ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٣ ، والأُمالي ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## ٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وَكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَنْتَجِعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيحَازِ ، فَقَامَ أَعْرَابِي ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغَضَةً ،

فَلَأَنْ نَحْبُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُبْغِضَكَ <sup>(١)</sup> » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . (العقد الفريد ٢ : ٨٣)

## ٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وَقَامَ أَعْرَابِي بَيْنَ يَدَيِ هِشَامٍ فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى : فَلَمَحَتْ <sup>(٢)</sup>

اللَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَهَاضَتْ <sup>(٣)</sup> الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكُمْ

[١] يروى هذا للحمد بن أبي الجهم العدوي ، قاله في حاضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .

[٢] من لحا الشجرة : أخذ لحاءها ( بالكسر ) وهو قشرها . [٣] هاض العظم : كسره بعد

الجبور وهو مبيض ، وفي رواية : « وعام أتى العظم » أي وصل إلى نقيه ( بالكسر ) وهو مخ العظم .

فُضُولُ أُمُوال ، فَإِنْ كَانَتْ لَهِ فاقْسِمُوا بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَقِيمٌ تُحْظَرُ<sup>(١)</sup> عَنْهُمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، قَالَ هِشَامُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ هَذِهِ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : « مَا ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَدْرِ عُ الْهَجِيرِ ، وَأَخَوْضُ الدُّجَى خُلَاصَ دُونَ عَامِ » ، فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ ، فَقَسَّمَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِي بِمَالٍ ، فَقَالَ : « أَكُلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » ، قَالَ : « فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَبْعَثُ لَأَمَّةَ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ والمقد الفريد ٢ : ٨٢ )

## ٢٩ — أَعْرَابِي يَسْتَجِدِي عبيد الله بن زياد

وقال العُتْبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِي بِبَابِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ الْفَضَاةِ<sup>(٢)</sup> ، حَقِيبَ<sup>(٣)</sup> السَّحَابِ ، وَانْقَشَعَ الرَّيَّابُ ، وَاسْتَأْسَدَتِ الذُّنَابُ ، وَزُدِمَ الثَّمَدُ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّ الْخَفْدُ<sup>(٥)</sup> ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ<sup>(٦)</sup> ، صَنِيبَ<sup>(٧)</sup> السَّقَاةِ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ<sup>(٨)</sup> لَا تَصَالُ الزَّمَانُ ، وَغَفَلَ<sup>(٩)</sup> الْحَدَثَانُ ، حَتَّى حَلَّالَ<sup>(١٠)</sup> ، وَعَدَدُ وَمَالٍ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيَّدِي سَبَا<sup>(١١)</sup> ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تعجب وتمنع . [٢] الفضارة : العمة والسمة والحصب ، وفي الأصل : « الفضارة » وهو تحريم — والفضاضة الذلة والبقعة — . [٣] حقب الطر وغيره : احتبس ، والرياب : السحاب الأبيض . [٤] الثمد كشس وسبب : الماء الليل لامادة له . [٥] الخفد : الأعوان جمع حافد . [٦] العفاة جمع طاف : وهو الوارد والضيف ، وكل طالب فضل أو رزق . [٧] وصف من الصنوب بالتحريك وهو شدة الصوت ، والسقاة جمع ساق كقاض ، وفي الأصل « صحب السماء » وأراه محرفا . [٨] في الأصل : « عظيم الزلات » وأراه محرفا من « الدلاة » ، والدلاة كفضاة جمع دال كقاض ، وهو النازع في الدلو المستقي به الماء من البئر . يقال : أدليت الدلو ودليتها : إذا أرسلتها في البئر . ودلوها أدلها فأنا دال : إذا أخرجتها . [٩] الغفل بالتحريك : الغفلة ، والحدثان : نوب الدهر وحوادثه ، وفي الأصل : « ولا أعقل الحدثان » وأراه محرفا ، وربما كان الأصل « ولا يغفل الحدثان » بتكرير لام الجر . [١٠] الحلة بالكسر : القوم النازلون ، والجمع حلال وحلل ككتاب وعنب ، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للمحل باسم الحالة ، وهي مائة بيت فما فوقها . [١١] يقال : ذهبوا أيدي سبا ، وتفرقوا أيدي سبا ، أي تبددوا ، شبهوا بأهل سبأ لما

وكنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ<sup>(١)</sup> ، خَصِيبَ الدَّارَةِ<sup>(٢)</sup> ، سَلِيمَ الْجَارَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَحَلِّي  
جَمِّي ، وَقَوْمِي أُسَى<sup>(٤)</sup> ، وَعَزَى جَدًّا<sup>(٥)</sup> ، قَضَى اللَّهُ - وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافٍ<sup>(٦)</sup>  
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغْيُرِ الْحَالِ ، فَأَعِينُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَإِسَانُهُ  
وَافِدُهُ ، وَفَقْرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ » . ( زمر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

### ٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوقفت بين  
السماطين<sup>(٧)</sup> فقالت :

« أصلح الله الأمير وأمتع به ، حَذَرْتَنَا إِلَيْكَ سَنَةً اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ  
غِطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صَبِيَّةً صَغَارًا ، وَآخَرِينَ كِبَارًا ، فِي بَلَدَةٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنَا خَافِضَةً ،  
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِائِمَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرَيْنَ عَظْمِي ، وَأَذْهَبْنِي لِحْمِي ، وَتَرَكْتَنِي  
وَالِهَةً ، أَدُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ  
العَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فُضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ نَائِلُهُ ؟ فَدُلَّيْتُ عَلَيْكَ  
- أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الرَّافِدُ ،

مزقهم الله في الأرض كل ممزق ، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة ، واليد : الطريق . يقال : أخذ  
القوم يد بحر ، فقيل للقوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سبأ : أي فرقهم طرقهم التي  
سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مدهاب شتى ، والعرب لا تهمز سبأ في هذا الموضع ، لأنه كثر في كلامهم  
فاستقلوا فيه الهمة ، وإن كان أصله مهموزاً ، وقد بنوا أيدي سبأ ، وأيادي سبأ على السكون لكونه  
مركباً تركيب حمسة عشر .

[١] النارة : الهيئة واللباس والربنة والجمال . [٢] الدارة : الدار .

[٣] الجارة ، من معانيها : الزوجة . [٤] الأسى جمع أسوة : وهي القدوة .

[٥] الجدا : العطية ، والمطر الذي لا يعرف أقصاه . [٦] السواف بالضم ويفتح : مرض الإبل ،

وسواف المال يسوف ويساف : هلك ، أو وقع فيه السواف .

[٧] السماطين من الناس : الجانبان .

وأنت بعد الله غيائي ، ومُنْتَهَى أَمَلِي ، فافعل بي إحدى ثلاث خِصال : إما أن تَرُدَّنِي إلى بلدي ، أو تُحَسِّنَ صَفْدِي <sup>(١)</sup> ، أو تَقِيمَ أَوْدِي ، فقال : بل أجمعهن لك ، فلم يزل يَجْرِي عليها كما يُجْرَى على عياله حتى ماتت .

( زمر الآداب ٣ : ٣٠٦ )



وروى صاحب العقد قال :

قال الأصمى : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى

الله تعالى عنهما فقالت :

« إني أتيت من أرضٍ شاسعة ، تَخْفِضُنِي خافضة ، وترفعني رافعة ، في بَوَادِي بَرَيْنٍ لَحِي ، وَهِيضَن <sup>(٢)</sup> عَظْمِي ، وتركتني وَالِهَةً ، قد ضاق بي البلد ، بعد الأهل وَالْوَلَدَ ، وكثرة من العَدَدَ ، لَا قَرَابَةَ تُؤْوِيْنِي ، ولا عشيرة تَحْمِيْنِي ، فسألت أحياء العرب ، مَنْ المرتجى سَيِّبُهُ <sup>(٣)</sup> ، المأمون عَيْبُهُ ، الكثير نَائِلُهُ ، المَكْنِي سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وأنا امرأة من هَوَازِنَ ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع في أمري واحدة من ثلاث : إما أن تُحَسِّنَ صَفْدِي ، وإما أن تَقِيمَ أَوْدِي ، وإما أن تَرُدَّنِي إلى بلدي » ، قال : بل أجمعهن لك ، ففعل ذلك بها .

( العقد الفريد ٢ : ٨٢ )

٣١ — أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :

« أصلح الله الأمير : شيخٌ كبير ، حَدَّثَهُ إِلَيْكَ بَارِيَةُ الْعِظَام <sup>(٤)</sup> ، وَمُورَثَةٌ

[١] الصند . العطاء . [٢] هاض العظم : كسره بعد الجبور . [٣] السيب العطاء .

[٤] حَدَّثَهُ : سَأَلَهُ ، وَبَارِيَةُ الْعِظَام : مَأَى السُّكَبَاتِ الَّتِي تَبْرِي الْعِظَامَ ، مُورَثَةٌ : مَهِيْجَةٌ ، مِنَ التَّأْرِيثِ ،

وَمُوْرَثَةٌ : مَوْرَثَةٌ .

الأسقام ، ومُطَوِّلة الأعوام ، فذهبت أمواله ، وَذُعْذِعَتْ<sup>(١)</sup> آباله ، وَتَمَيَّرَتْ أحواله ، فَإِنْ رَأَى الأميرُ أَنْ يَجْزُرَهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَنْعَشُهُ بِسَجْلِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَيُرَدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ ! » فقال : كل ذلك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . ( الأمل ٢ : ٤٩ )

### ٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وقدِمَ أعرابي من بني كِنانة على مَعْن بن زائدة وهو باليمن فقال : « إني والله ما أعْرِفُ سَبَبًا بعد الإسلام وَالرَّحِمَ ، أفوى من رِحْلة مثلى من أهل السنِّ والحَسَبِ إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة ، إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في المعروف ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَضَعْنِي من نفسك بحيثُ وَضَعْتَ نَفْسِي من رجائك فافعل » فوصله وأحسن إليه . ( المقد الفرد ٢ : ٨٠ )

### ٣٣ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : بَيْنَمَا أَنَا فِي المسجد الحرام إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أعرابيٌّ فقال : « يا مسلمون ، إِنَّ الحمد لله ، والصلاة على نبيه ، إني امرؤ من أهل هذا الْمِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ الْمُوَاصِي أَسِيافَ تِهَامَةٍ<sup>(٣)</sup> ، عَكَفْتُ عَلَى سِنُونِ مُحْشٍ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْتَبَيْتِ الدُّرَى ، وَهَشَمْتَ العُرَى<sup>(٥)</sup> ، وَجَشَشْتَ النَّجْمَ ، وَأَفْجَحْتَ الْبَهْمَ<sup>(٦)</sup> ،

[١] ذُعْذِعَتْ : فرقت ، وآبال جمع إبل . [٢] السجل في الأصل : الدلو العظيمة مملوءة .

[٣] المِلْطَاط : كل شفير نهر أو واد ، والموَاصِي والمواصل واحد ، يقال : تواصى النبت : إذا اتصل بعضه ببعض ، وأسياف جمع سيف بالكسر : وهو سائل البحر . [٤] عَكَفْتُ : أقامت ، والسِّنُونِ الجُدوب ، ومحش جمع محوش كصبور ، وهي التي تمحش ( بضم الحاء ) الكلاً أي تحرقه .

[٥] اجْتَبَيْتِ : قطعت واستأصلت ، وهَشَمْتَ : كسرت ، والدرى جمع عروة ، والعروة : القطة من الشجر لا يزال باقياً على الجذب ترطاه أموالهم . [٦] جَشَشْتَ : احتلفت ، والبهْم : مانح ولم يستقل على ساق ، وأفجحت : أي جعلتها عجائزاً ، والعجى : السبيء الغداء المهزول .

وَهَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأُحْجِنَتِ الْعَظْمَ <sup>(١)</sup> ، وَغَادَرَتِ التَّرَابَ مَوْرَأً ،  
وَالْمَاءَ غَوْرًا ، وَالنَّاسَ أَوْزَاعًا <sup>(٢)</sup> ، وَالتَّبَطَّ قُعَاعًا ، وَالضَّهْلَ جُزَاعًا ، وَالْمَقَامَ  
جَمْعًا <sup>(٣)</sup> ، يُصَبِّحُنَا الْهَاوِي ، وَيَطْرُقُنَا الْعَاوِي <sup>(٤)</sup> ، نَخْرَجُ لَا أَتْلَفَعُ بَوْصِيدَةً ،  
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَبِيدَةً <sup>(٥)</sup> ، فَالْبَخَصَاتُ وَقِعَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَايَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ  
قَفْعَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظَرُ مُذْهِمٌ <sup>(٧)</sup> ، أَعْشَوْ فَأَغْطَشُ ، وَأَضْحَى  
فَأَخْفَشُ <sup>(٨)</sup> ، أَتَسْهَلُ ظَالِمًا ، وَأُحْزِنُ رَاكِمًا <sup>(٩)</sup> ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يَمَيِّزُ <sup>(١٠)</sup> ، أَوْ دَاعٍ  
بِخَيْرٍ ؟ وَقَاكَ اللَّهُ سَطْوَةً الْقَادِرِ ، وَمَلَكَهَ الْكَاهِرِ <sup>(١١)</sup> ، وَسُوءَ الْمَوَارِدِ ، وَفُضُوحَ  
الْمَصَادِرِ ، قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُ ، وَاسْتَفْسَرْتُهُ مَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

(الأمالي ١ : ١١٣)

### ٣٤ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

- [١] همت : أذبت ، والعرب تقول : « همك مأهمك » أي أدابك مأزبك ، والتحبت اللحم : أوى  
عرقته من العظم ، وأحجنت العظم : أوى موته فصورته كالبحر . [٢] مار موراً : اضطرب وماج ،  
والقور : الغائر ، أوزاع : فرق . [٣] التبط : الماء الذي يستخرج من البئر أول ما تحفر ، والقاع  
الماء اللجج المر : والضهل : القليل من الماء ، والجزاع : أشد المياه مرارة ، والجمعجاع : المكان الذي  
لا يطمئن من قدم عليه . [٤] الهاوي : الجراد ، والعاوي : الدثب .  
[٥] التلغ : الاشتمال ، والوصيدة : كل لسيجة ، والهبيد : حب الحنظل يعالج - حتى يطيب فيحتبز .  
[٦] البخصات جمع بخصة ، وهي لحم باطن القدم ، ووقعة : من قولهم : وقع الرجل كفرح إذا اشتكى  
لحم باطن قدمه ، وراعة : متشققة ، وقعة ومقعة واحد : وهي التي قد تقبضت ويبست .  
[٧] المسلم : الضائر المنقير ، والمدرم : الضعيف البصر الذي قد ضعف بصره من جوع أو مرض .  
[٨] أعشو : أطر : فأغطش : أصير غطشاً ( بكسر الطاء ) والغطش حركة : ضعف في البصر ، وضحي  
للشمس كفرح وسعى : برز لها ، والحفش بالتجريك : ضعف البصر خلقه ، أو فساد في الجفون بلا وجع  
أو أن يبصر بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالماً : أي إذا مشيت في السهول ظلمت ، وطلع كنع :  
عمر في مشيه ، وأحزن راكماً : أي إذا علوت الحزن ركمت أي كبوت لوجهي .  
[١٠] المير : العطية ، من قولهم : مارم يبرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ  
بعضهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول :

« أما بعد : فَإِنَّا أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ<sup>(١)</sup> طَرِيقٍ ، وَقَلٌّ<sup>(٢)</sup> سَنَةٍ ، تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا ، فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَقُومُ هَذَا الْمَقَامَ ، وَفِي الصَّدْرِ حَزَازَةٌ<sup>(٣)</sup> ، وَفِي الْقَلْبِ غُصَّةٌ » .

( البیان والتبيين ٢ : ٤٦ )

### ٣٥ — صورة أخرى

وروى أبو عليّ القالى هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :

عن يُونُسَ قَالَ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي الْبَصْرَةِ فَقَالَ :  
« قَلَّ التَّمِيلُ<sup>(٤)</sup> ، وَنَقَصَ الْكَثِيلُ<sup>(٥)</sup> ، وَعَجِجَتْ<sup>(٦)</sup> الْخَلِيلُ ، وَاللَّهُ مَا أَصْبَحْنَا نَنْفَخُ فِي وَضَحٍ<sup>(٧)</sup> ، وَمَا لَنَا فِي الدِّيَّانِ وَشِمَةٌ<sup>(٨)</sup> ، وَإِنَّا لَعِيَالٌ جَرَبَةٌ<sup>(٩)</sup> ، فَهَلْ مِنْ مُعِينٍ ، أَعَانَهُ اللَّهُ ، يُعِينُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَنِضْوَ طَرِيقٍ ، وَقَلٌّ سَنَةٍ ؟ فَلَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ » . ( الأمل ٢ : ١٩٧ )

### ٣٦ — صورة أخرى

ورواها صاحب العقد فقال : وقف أعرابي على حلقة يونس فقال :

« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أَنْ أَذْكَرَّ بِهِ وَأَنْسَاهُ ، إِنَّا أَنَاسٌ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا لَا نَدْفِنُ مَيِّتًا وَلَا نَتَحَوَّلُ مِنْ مَنْزِلٍ وَإِنْ كَرِهْنَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا

[١] أنضاء جمع نضو كقرد وهو المهزول ، أى قد هزلنا وأصنانا سلوك الطريق .

[٢] السنة : الجذب والفحط ، وقوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وأفلال ، أى هزلنا الفحط .

[٣] الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوضع : اللبن ، مسمى

وضحاً لبياضه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الذراع ، يريد الخط .

[٧] الجربة : الكثير ، أو العيال يأكلون ولا ينفعون .



تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفَلَّ سَنَةً ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عَوَزٍ ، ولكن ليبلُو خيار عباده .  
( القمد الفريد ٢ : ٨٢ )

### ٣٧ - أعرابي يستجدى

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :  
« رحم الله امرأ لم تَمَجَّ أَذُنَاهُ كَلَامِي ، وَقَدَّمْ لِنَفْسِهِ مَعَاذَةً <sup>(١)</sup> مِنْ سُوءِ مَقَامِي ، فَإِنَّ الْبِلَادَ مُجْدِبَةٌ ، وَالْدَارَ مُضَيِّعَةٌ ، وَالْحَالُ سَيْئَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَالْحَيَاءُ زَاجِرٌ يَنْهَى عَنِ كَلَامِكُمْ ، وَالْعُدْمُ عَازِرٌ يَحْمِلُنِي عَلَى إِخْبَارِكُمْ ، وَالِدَعَاؤُ إِحْدَى الصَّدَقَتَيْنِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَمَرَ بِمَيْمَرٍ <sup>(٣)</sup> ، أَوْ دَعَا بِخَيْرٍ » ، فقال له بعض القوم : يَمْنُ الرَّجُلُ ؟ فقال : « يَمْنُ لَا تَنْفَعَكُمْ مَعْرِفَتُهُ ، وَلَا تَضُرُّكُمْ جَهَالَتُهُ ، ذَلِكَ الْاِكْتِسَابُ ، يَمْنَعُ مِنْ عَزِّ الْاِكْتِسَابِ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ ، والقمد الفريد ٢ : ٨١ ، والأمال ١ : ١٣٨ )

### ٣٨ - أعرابي يستجدى

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، طَابَ رُوسِبِيلُ ، وَأَفْلالُ بُؤْسٍ ، وَصَرَغِي جَذَبٌ ، تَنَابَعَتْ عَلَيْنَا سِنُونُ ثَلَاثَةً <sup>(١)</sup> ، غَبَرَتْ <sup>(٢)</sup> النَّهْمُ ،

[١] المأفة والمأفة والبياض : الالتجاء . [٢] وفي الأمال « والحال مسغبة » أى جميلة .

[٣] ما ز عياله ميراً : جلب لهم الميرة ( بالسكسر ) وهى الطعام ، وفى القمد : « فرحم الله امرأ يعير ،

وداعياً يعير » . [٤] غبره لطفه بالفبار ، أو هى « غبرت » بالياء .

وأهلكتم النعم ، فأكأننا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونغنى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مُحْنًا عِظَامًا ، وعاد إشراقنا ظلامًا ، وأقبلنا إليكم يَصْرَعنا الوعر ، وَيَكِيننا <sup>(١)</sup> السهل ، وهذه آثار مصائبنا لأثمة في سماتنا ، فرحم الله متصدقًا من كثير ، ومواسيًا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يَجْزِي المتصدقين .

### ٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلًا ، فقال : « أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، وَيُنْزِلُ الكُمَاب <sup>(٢)</sup> ، وفد حملتنا سِنُو المصائب ، وَنَكَبَات الدهور ، على مَرَكَبِها الوعر ، فواسُوا أبا أيتام ، وَنِضُوا زمان ، وَطَرِيدَ فاقةٍ ، وَطَرِيجَ هَلَكَةِ ، رحمكم الله » .

### ٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال : « يا قوم : تتابعت علينا سِنُون بتغير وانتقاص ، فاتركت لنا هُبَمًا ولا رُبَعًا <sup>(٣)</sup> ، ولا عافطةً ولا نافطةً <sup>(٤)</sup> ، ولا ناعيةً ولا راغيةً ، فأما ت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، وَنِضُوا زمان ، فلقد خَلَفْتُ أقوامًا يمرضون ولا يكفنون »

[١] أي يسترنا . [٢] جارية كمام : نهد ثديها .

[٣] الهج : الفصل ينتج في آخر النتاج ، والربع : الفصل ينتج في الربع ، وهو أول النتاج .

[٤] العافطة : النجعة ، من العطف : وهو الضرط ، عطف كضرب : ضرطت فهي عافطة ، والعطف أيضاً : ثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار ، والنافطة : العز ، من النفض ، نفضت العز كضرب : نثرت بأنفها أو عطست فهي نافطة ، أو لأنها تفض بيولها : أي تدفعه دفعاً ، أو النافطة لأنباع للعافطة ، أو العافطة : الأمة الراعية ، والنافطة : الشاة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتعلتُ الدماء ،  
وَجُعْتُ حتى أَكَلْتُ التُّرَى .

### ٤١ - أعرابية تستجدي

وقال الأصمى : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَةِ جَرَدَت ، وأيدٍ جُدَّت ، وحال جَهَدَت <sup>(١)</sup> ، فهل من فاعلٍ  
لخير ، وأمرٍ يَمَيِّرُ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِم ، فأقرضَ من لا يظلم .

( القد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤ )

### ٤٢ أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أشكو إليكم أيها المَلَأَ زمانًا ، كَلَحَ في وجهه ، وأناخَ على بَکْلَمَکَلَه ، بعد  
نعمة من المال ، وثروة من المَال ، وَغِبْطَةً من الحال ، اعتورتني جَدَائِدُه <sup>(٢)</sup> ، يَنْبَلِ  
مصائبه ، عن قِسِيٍّ نوائبه ، فأتراكا لي ناغية <sup>(٣)</sup> أجتدي ضَرعها ، ولا رَاغِيَةً  
ارتجى نفعها ، فهل فيكم من مُعِينٍ على صَرْفِه ، أو مُعَدٍّ <sup>(٤)</sup> على حَتْفِه ؟ » ، فرد  
القوم عليه ، ولم يُقِيلُوهُ شَيْئًا ، فَأَنشَأَ يقول :

قد ضاع من يأكل من أمثالكم جودًا ، وليس الجودُ من فِعالكم  
لا بَارِكَ اللهُ لكم في مالكم ولا أزاح السوء عن عِيَالِكُم  
فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم

[١] جهده المرض كبح : مرله .

[٢] سنة جداء : علة مجدية ، والجداء من كل حلوبة : القاحلة الذين من عيب ، والجدوة :  
القليلة الذين من غير عيب ، والجمع جدائد وحداد . [٣] الناغية : الناقة من الثناء بالضم ، وهي صوت  
الغنم ، والراغية : الناقة ، من الرغاء ، وهو صوت الإبل .  
[٤] مُعَدٍّ : أعداء طله : نصره وأطانه وقواه .

### ٤٣ — أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :  
 « يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَى شَيْخٍ مُعِيلٍ ، وَعَابِرِ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ  
 شَكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَّئَهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :  
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَرِمْتَنِي ، قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :  
 دُونَكُمَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . ( المقدم اغريد ٢ : ٨٢ - ٨٣ )

### ٤٤ — أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :  
 « إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ وَقَاسِيَةٌ <sup>(١)</sup> ، رَحِمَ اللَّهُ  
 أَمْرًا أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كَفَافٍ » .  
 فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دَرَاهِمًا فَقَالَ : « آجَرَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَلِيكَ » .

### ٤٥ — أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِقَوْمٍ فَقَالَ :  
 « يَا قَوْمَ : اتَّبَعْتُ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ <sup>(٢)</sup> شِدَادًا ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَجْعٌ <sup>(٣)</sup> ،  
 وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ <sup>(٤)</sup> ، فَخَضَبَ الْعِدُّ <sup>(٥)</sup> ، وَنَشَفَ الْوَشَلُ ، وَأُفْحِلَ الْخِضْبُ ،

---

[١] أى وحال قاسية ، وربما كان الأصل « وفل سنة » . [٢] الجداد : السنة التى لامطر فيها .  
 [٣] الرجوع : المطر ، لعوده كل حين . [٤] أى اشتقاق عن الذبات ، اقتبس من الآية الكريمة :  
 « وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] العد : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين ، ونضب الماء : غار ، والوشل : الماء القليل  
 يتحلب من جبل أو صخرة ، ولا يتصل قطره ، ونشف الماء فى الأرض : ذهب « ونشف الخوض الماء  
 شربه » وأعمل : أجذب .

وَكَلَّحَ الْجَذْبَ ، وَشَفَّ<sup>(١)</sup> الْمَالَ ، وَكَسَفَ الْبَالَ ، وَشَطَفَ الْمَعَاشَ ، وَذَهَبَ الرِّيشَ ، وَطَرَحَتْنِي الْأَيَّامُ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ ، نَائِيَّ الْمَحَلِّ ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعَ إِلَيْهِ ، وَلَا عَشِيرَةٌ أَلْحَقَ بِهَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَحِمَ اغْتِرَابِي ، وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ جَوَابِي .  
( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

#### ٤٦ — أعرابية تستجدى

وخرج المهدي يطوف بعد هدأة<sup>(٢)</sup> من الليل ، فَسَمِعَ أعرابية من جانب المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عنهم العيونُ ، وَفَدَحَتَهُمُ الدُّيُونُ ، وَعَضَّتْهُمُ السَّنُونُ ، بَادَتْ رِجَالَهُمْ ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُجِيرُ ؟ كَلَّاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَقَهُ فِي أَهْلِهِ .

فَأَمْرٌ نُصِيرًا الْخَادِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسَ مِائَةِ دَرَاهِمٍ .

( العقد الفريد ٢ : ٨٠ ، وَزَهْرُ الْأَدَبِ ٣ : ٢٤٤ )

#### ٤٧ — أعرابي يستجدى

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لَقَدْ خَتَمَتْ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعِيَ بَنْتَانِ لِي ، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُهُمَا تَحَلَّلَتَا بِحَلَالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ، وَيُرِدُّ حُشَاشَتَنَا<sup>(٤)</sup> ؟ مَنْعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ .

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطَفَ بِالْتَحْرِيكِ : بَيَسَ الْعِيْشَ وَشَدَّتْهُ ، وَالرِّيشَ : الْمَالُ وَالْخَصْبُ وَالْمَعَاشُ

[٢] أَيْ حِينَ هَذَا نَزِيلٍ ، أَوْ هُوَ أَوَّلُ اللَّيْلِ إِلَى ثَلَاثَةٍ .

[٣] اقْتَحَمَتْهُمْ وَازْدَرَجَتْهُمْ ، وَفَدَحَتْهُمْ : أَثَقَلَتْهُمْ .

[٤] الْحَشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَرِيضِ ، وَالصَّغَارُ : الذَّلِيلُ .

فاقترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :  
« أَشَدُّ وَاللَّهِ عَلَى مَنْ سُوءُ حَالِي وَفَاقَتِي ، تَوْهَمِي فِيكُمْ الْمَوَاسَاةَ ، اُنْتَعِلُوا الطَّرِيقَ ،  
لَا صَحِيبَكُمْ اللَّهُ ! » . ( القدر العريد ٢ : ٨٢ )

#### ٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :  
« أَيْنَ الْوَجْهُ الصَّبَاحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْعَقُولُ الصَّحَاحُ ، وَالْأَلْسُنُ الْفِصَّاحُ ،  
وَالْأَنْسَابُ الصَّرَاحُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفِصَّاحُ ؟ تُعِيزُنِي مِنْ  
مَقَامِي هَذَا » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

#### ٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :  
« هَلْ مِنْ عَائِدٍ بِفَضْلٍ ، أَوْ مُوَاسٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ <sup>(٣)</sup> » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَنَضْيعَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ )

#### ٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَّارِفَةِ ، قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ  
قَرَارَةُ اللَّؤْمِ ! ( البيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

#### ٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَعَلَ اللَّهُ حَظَّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَعَلَ حَظَّ  
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةً <sup>(٤)</sup> صَادِقَةٌ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

[١] جمع صبيحة وهي الجيلة من الصباحة كفضاحة أى الجمال . [٢] جمع صريحة وهي المحضة الخالصة  
[٣] الكفاف من الرزق : ما كسب من الناس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذر

## ٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورِكَ فيكَ ، فقال : قَبَّحَ اللَّهُ هذا القَمَ ، لقد تعلَّم الشرَّ صغيراً » . ( البيان والتبيين ٣ : ١٣٦ )

## ٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فنموه ، فقال :  
« اللهم اشغَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ مُسْخِطِكَ ، وَأَوْلِجْنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ ضَنَّ خَلْقُكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا عِنْدَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَآتِنَا مِنَ الدُّنْيَا الْقُنْعَانَ » (١) ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

## ٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :  
« أَخْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَجَارِي فِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَطَالِبٌ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ مُوَاسِيٍّ فِي اللَّهِ ؟ » .  
وسأل أعرابي رجلاً ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجَمَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

## ٥٥ - أعرابي يسأل رجلاً حاجة له

أتى أعرابي رجلاً ( لم تكن بينه وبينه حُرْمَةٌ ) في حاجة له ، فقال :  
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسَرَّتُ عَلَى الْأَمَلِ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ، وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْتُ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الْمَثُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّمِ الْوَدَّ ، وَعَجِّلِ الْمُرَادَ » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

## قولهم في بكاء الموتى

٥٦ - أعرابية تبكى ابنها

وَحَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ  
وَجَعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًا ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ  
الْحَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْفَضَارَةِ <sup>(١)</sup> ، وَرَوْتُكَ  
الْحَيَاةَ ، وَالتَّنَشُّمَ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا ، وَرُفَاتًا  
سَحِيقًا ، وَصَعِيدًا جُرُزًا <sup>(٢)</sup> .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبِلَى ،  
وَرَمَتْنِي بِعَدِّكَ نَكْبَةَ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ  
ظِلَامُهُ <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمِنْكَ الْعَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ ، فَلَمْ  
تَمْنَعْنِي بِهِ كَثِيرًا ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكَ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ  
الْأَجْرَ ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمْ عَلَى مَنْ  
أَسْتَوْدَعْتُهُ الرَّدَمَ <sup>(٥)</sup> ، وَوَسَّدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَآلِسْ وَحْشَتَهُ ،  
وَأَسْأَلُ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ <sup>(٦)</sup> وَالسُّوءَاتُ .

[١] النضارة : العمة والحسن والنبي ، والنضارة أيضاً : النعمة والسعة والخصب :

[٢] أطباق جمع طبق : وهو وجه الأرض ، والرفات : الحطام ، وسحيقاً : مسحوقاً ، والصعيد :

التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض جرز : لانتبت ، أو أكل نباتها ، أو لم يصبها مطر .

[٣] أسفر الصبح وسفر كضرب : أضواء وأشراق ، داج : قال الأصمعي : دجا الليل ، لأنما هو ألبس

كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومعه قولهم : دجا الإسلام أي قوى ، وألبس كل شيء .

[٤] سريماً . [٥] الردم : السدة ، وما يسقط من الجدار المتهدم . [٦] السيئات .



فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :  
 أى بنى : إني قد تروّدت لسفري ، فليت شعري ، ماذا لك أبعد طريقك ،  
 ويوم معادك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :  
 استودعتك من استودعتك في أحشائي جنيّنا ، وأكل الوالدات !  
 ما أمض<sup>(١)</sup> حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر  
 نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشدّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن  
 من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عز  
 وجل ، واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت . ( زمر الآداب ٢ : ٧ )

## ٥٧ — حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« دَقَعْتُ يوماً في تلهشي بالبادية إلى وادٍ خلّاء لا أنيس به إلا يَنْتُ مُعْتَزٍ<sup>(٢)</sup> ،  
 بفيناؤه أغز<sup>(٣)</sup> ، وقد ظمِئت فيمّمتته ، فسلمت فإذا عجوز قد برزت ، كأنها نعامة<sup>(٤)</sup>  
 راخيم<sup>(٥)</sup> ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لبن ، فقلت : ما كانت بُغيتي إلا  
 الماء ، فإذا يسّر الله اللبن فإني إليه فقير ، فقامت إلى قعب<sup>(٦)</sup> فأفرغت فيه ماء ،  
 ونظّفت غسله ، ثم جاءت إلى الأعز ، فتعبّرتهن<sup>(٧)</sup> حتى احتلبت قراب<sup>(٨)</sup> »

[١] مضه الشيء : بلغ من قلبه الحزن به كما مضه .

[٢] منفرد . [٣] الراخم : التي تمضن بيضها ، أرحت الدجاجة على بيضها ورخته ، ورحمت عليه .

فهي مرخم ولاخم . [٤] القعب : قدح إلى الصفر ، ويشبه به المانر .

[٥] أي احتلبت القبر ( كقفل ) : وهي بقية اللبن في المربع ، وجمعه أعبار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كبار وكبير وجسام وجسيم .

مِلْءِ الْقَعْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتَ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَغَا وَطَفَّتْ مُمَّاكَلَتَهُ <sup>(١)</sup> ، كَأَنَّهَا نَحْمَامَةٌ بَيْضَاءُ ، ثُمَّ نَاوَلْتَنِي إِيَّاهُ ، فَشَرَبْتُ حَتَّى تَحَبَّبْتُ <sup>(٢)</sup> رِيًّا وَاطْمَأْنَنْتُ ، فَقُلْتُ :  
إِنِّي أَرَاكَ مَعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمُوَحِّشِ ، وَالْحِلَّةُ <sup>(٣)</sup> مِنْكَ قَرِيبٌ ، فَلَوْ  
انْضَمَمْتُ إِلَى جَنَابِهِمْ فَأَنْسَيْتَ بِهِمْ ! فَقَالَتْ :

« يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي لَأَنْسُ بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرْيَحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي  
إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمُوَحِّشِ ، فَأَتَذَكُرُ مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ،  
وَأَتَرَاءِي أَشْبَاحَهُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أَنْدِيَّةُ رَجَالِهِمْ ، وَمَلَايِبُ وَلَدَانِهِمْ ،  
وَمُنْدَى <sup>(٥)</sup> أَمْوَالِهِمْ ، وَاللَّهُ يَا بَنَ أَخِي لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بِشِعِ اللَّدِيدَيْنِ <sup>(٦)</sup>  
بَأَهْلٍ أَذْوَاحٍ وَقِيَابٍ ، وَنَعَمٍ كَالْهَضَابِ ، وَخَيْلٍ كَالذَّنَابِ ، وَفَتَيَانٍ كَالرِّمَاحِ ،  
يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ <sup>(٧)</sup> ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ قَمًّا بِغَرَفَةٍ <sup>(٨)</sup> ،  
فَأَصْبَحْتَ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ الدَّهْرِ فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ »  
ثُمَّ قَالَتْ : ارْهَمِ بَعِينِكَ فِي هَذَا الْمَلَأِ الْمَتْبَاطِنِ <sup>(٩)</sup> ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا قُبُورٌ نَحْوُ  
أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَتْ :  
مَا انْطَوَتْ إِلَّا عَلَى أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ أَلْمَأَتْ <sup>(١٠)</sup>  
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَتَرَقَّبُ مَا غَالَهُمْ ، انْصَرِفْ رَاشِدًا رَحِمَكَ اللَّهُ . (الأمالي ٢: ٧)

[١] الثمالة : الرغبة « وهي مثلثة الراء » . [٢] امتلأت . [٣] الحلة : جماعة بيوت الناس  
والجمع حلال ككتاب . [٤] أشباحهم جمع شبح كشمس وسبب .  
[٥] التندية : أن يورد الرجل لبله ، ثم يرطاه ، ثم يوردها ، ثم يرطاه ، والتندى : المكان الذي  
يتندى فيه الماء . [٦] بشع : ملآن ، اللديان : الجانبان ، والدوحة : الشجرة العظيمة .  
[٧] الصباح جمع صبيحة : وهي الجميلة من الصبابة كسحابة : الجمال .  
[٨] قم البيت قما : كنفه « والقمعة : الكنيسة ، والقمامة : الكناسة » والغرفة الواحدة من  
المغرف : وهي ضرب من الشجر . [٩] الملا : الفضاء ، والمتباطن : المتطامن .  
[١٠] أي احتوت عليهم ، وغالهم : أهلكهم .

## ٥٨ — حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خِباء لها ، وبين يديها بُنْيٌ لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعَصَبَتَهُ وَسَجَّتَهُ <sup>(١)</sup> ، ثم قالت :

« يابن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ قالت : ما أحقَّ من ألبسِ النعمة ، وأطيلت له النظرة <sup>(٢)</sup> ، أن لا يدعَ التوثق من نفسه ، قبل حلِّ عُقْدَتِهِ <sup>(٣)</sup> ، والحلولِ بِعَقْوَتِهِ <sup>(٤)</sup> ، والمَحَالَةِ بينه وبين نفسه » ، قال : وما يَقْطُرُ من عينها قطرةً صبراً واحتساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كَانَ مَالُكَ لِبطْنِكَ ، ولا أَمْرُكَ لِعِرْسِكَ <sup>(٥)</sup> ، ثم أنشدت تقول :

رَحِيبُ الدَّرَاعِ بَالِي لَا نَشِيئُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا <sup>(٦)</sup>

( الأمل : ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## قولهم في الشكوى

### ٥٩ — أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا الْبَصْرَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَصَدَتْهُ فُوجِدَتُهُ بِتَحْضِيْبِ لَحِيَّتِهِ ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَغَنِي مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَجِئْتُكَ أَقْبِسُ مِنْ عَمَلِكَ ، فَقَالَ : أَتَيْتَنِي وَأَنَا أَخْضِبُ ، وَإِنْ الْخِضَابُ لِمِنْ عِلَامَاتِ الْكِبَرِ ، وَطَالَ وَاللَّهِ مَا غَدَوْتُ عَلَى صَيْدِ الْوَحُوشِ ، وَمَنْشَيْتُ أَمَامَ الْجِيُوشِ ،

[١] تَبِيجَةُ الْمَيْتِ تَرْفُطُهُ ، [٢] النَّظَرَةُ : الْإِمْهَالُ . [٣] كُنَايَةٌ مِنَ الْمَوْتِ .

[٤] الْعَقْوَةُ : الْحُلَّةُ ، أَيْ بَغِيرُهُ . [٥] الرِّسُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ .

[٦] ضَاقَ بِالْأَمْرِ فَرَحًا : ضَعُفَ طَاقَتُهُ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ مَخْلَصًا .

واختَلْتُ بِالرِّدَاءِ ، وَهُوتُ<sup>(١)</sup> بالنِّسَاءِ ، وَقَرَيْتُ الضَّيْفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،  
وَشَرَبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ الْجَحْجَاحَ<sup>(٢)</sup> ، فَالْيَوْمَ قَدْ حَنَانِي السَّكْبَرُ ، وَضَعُفُ  
مَنَى الْبَصَرِ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الْكَدَرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لَحِيَّتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
شَيْبُ ثَغْيَيْهِ كَيْمَا تَغُرَّ بِهِ كَبَيْمِكَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ  
قَدَكُنْتُ كَالْمُضْنِ تَرْتَاخُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عُودًا بِلَامَاءِ وَلَا وَرَقِ  
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنْ الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّنَقِ<sup>(٣)</sup>  
( الأملال ٢ : ٩٤ )

## ٦٠ - كَلَامَاتُ شَتَّى فِي الشُّكْوَى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أُصِيبَتْ بِإِبْنِهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءِكَ ! قَالَتْ : « إِنْ فَقَدِي إِيَّاهُ  
أَمَّنِّي كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوَّنَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبَ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ  
أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذِرُ  
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْأَيَّامَ رَحَقَ حَفَائِرُ وَمَقَابِرُ



وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزَنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكَ لِي الْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ  
لِي حُزْنًا » .



وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَنْحَلَ جِسْمَكَ ؟ قَالَ : « سُوءُ الْغِذَاءِ ، وَجُدُوبَةُ الْمَرْعَى ،  
وَاخْتِلَافُ الْهَمُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

الهمُّ ما لم يُنْضِ به سبيله      دأب تَضَمُّنه الضلوعُ عَظِيمُ  
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا      إن الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

\*\*\*

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحتُ  
تقيَّدني الشَّعْرَةُ ، وأَعَثُرُ في البَعْرَةِ ، قد أقام الدهر صَمَرِي ، بعد أن أقتُ صَعْرَه » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أنْكَرُ البِيضَاء ، فَصِرْتُ أنْكَرُ السُّودَاء ،  
فياخير مبدول ، ويا شرَّ بَدَل ! » .

\*\*\*

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أَهْلُهُ فقال : « مَنَزِلُ وَاللَّهِ رَحَلَتْ عَنْهُ رَبَّاتُ  
الْخُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ <sup>(١)</sup> الْقُدُورِ ، وقد اكَتَسَى بالنبات كَأَنَّمَا الْبَسَ  
الْحُمْلَ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَمْفُونُ <sup>(٢)</sup> فِيهِ آثَارُ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَعْفُو آثَارَهُمْ ،  
فَالْمَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْمَلْتَقَى بَعِيدٌ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم فقال : « أَغْيَيْنُ وَاللَّهِ كُحِلَتْ بِالْعَبْرَةِ  
بعد الحَبْرَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَنْفُسُ لَبِسَتْ الْحُزْنَ بعد السُّرُورِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ  
الْحَوَاشِي ، فَطَوَاهِ الدَّهْرُ بعد سَعَةِ ، حَتَّى لَبِسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرِّ <sup>(٤)</sup> ، وَلَمْ أَرْ صَاحِبًا

[١] الرراحل ج جمع راحلة : وهي في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد هنا الحوامل التي تحمل  
القدور ، أي الأثافي . [٢] عفا المنزل : درس ، وعفته الريح ، يصعد ويلزم ، وبأبهما عدا ،  
ودفته الريح أيضاً بالتعديد للمبالغة . [٣] الحبرة : السرور . [٤] القرّ مثلث القاف : البرد .

أَغْرَ من الدنيا ، ولا ظالماً أَغْشَمَ<sup>(١)</sup> من الموت ، ومن عَصَفَ عليه الليل والنهار  
أَزْدِيَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ وَكَلَ به الموتُ أُنْفَاهُ .



ووقف أعرابي على دار قد باد أهلها فقال : « دارُ اللهِ مُعْتَصِرَةٌ للدُّوعِ ،  
حَطَّتْ بها السحابُ أُنْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ يها الرِّياحُ أَذْيَالَهَا . »



وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله فقال : « طُوِيَتْ صَحِيفَتُهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،  
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْعَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفِيَّةٌ . »



وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة فقال : « كَانَ اللهُ فِي ظِلِّ عَيْشٍ  
مَمْدُودٍ ، فَقَدِحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَأْيِيَّةٍ<sup>(٣)</sup> . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠ )



وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : « مُصِيبَةٌ وَاللهِ تَرَكْتُ سُودَ الرِّءُوسِ  
بَيْضًا ، وَبَيْضَ الْوُجُوهِ سُودًا ، وَهَوَّانَتِ الْمَصَائِبُ بَعْدَهَا . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )



وذكر أعرابي قَطِيعَةً بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَقَالَ : « صَفَرْتُ عِيَابُ<sup>(٤)</sup> الْوُدِّ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَآئِهَا ، وَأَقْفَرْتُ وَجُوهُ كَانَتْ بِمِائِهَا ، فَأَذْبَرُ مَا كَانَ مُقْبِلًا ،  
وَأَقْبِلُ مَا كَانَ مَدْبَرًا . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )

---

[١] أَظْلَمَ . [٢] أَهْلِيكَامَ . [٣] الزند : العود الذي يقدح به النار وكبا الزند . لم يخرج ناره ، وفي الأصل « زند عين كايية » وهو تحريف .  
[٤] صفرت : خلت ، وعياب جمع عيبة بالفتح : ما يجعل فيه الثياب .

❖❖❖  
وقيل لأعرابي : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : « من طال أمدُّه ، وكثر ولَدُه ،  
ودَفَّ عَدَدُه ، وذَهَبَ جَلَدُه ، ذهبَ شبابُه » .

( المقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ )

❖❖❖  
وسئل أعرابي عن سَفَرٍ أَكْدَى<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : « ما غَنِمنا إلا ما قَصَرنا في  
صَلاتنا ، فأما ما أَكَلته الهَوَاجِرُ<sup>(٢)</sup> ، وَلَقِيته منا الأَباعر ، فَأَنزَلُ استخفَفناه لِمَا  
أُملَّناه » .

❖❖❖  
وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا فرَس ، وما ينام لنا حَرَس » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٨٢ )

❖❖❖  
وقال أعرابي : « مضى لنا سَلَفٌ أهل تَوَاضُل ، اعتقدوا<sup>(٣)</sup> مِنَّنًا ، واتخذوا  
الأيادي ذخيرَةً لمن بعدهم ، يَرَوْنَ اصطِناعَ المعروف عليهم فَرَضًا لازِمًا ، وإظهارَ  
البرِّ واجبًا ، ثم جاء الزمان بينينَ ، اتخذوا مِنْتهم بضاعة ، وَبَرَّهم مُرَابِجَةً<sup>(٤)</sup> ، وأيادِيهم  
تجارة ، واصطناعَ المعروف مُقَارَضَةً ، كَنَقْدٍ ، خُذْ مِنِّي وَهَاتِ » .

❖❖❖  
وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العِدَّة ، وانقضاء المدة » .

❖❖❖  
ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرِّ فقال : « يا هذا :  
أَتَشْكُو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » . ( المقد الفريد ٢ : ٨٥ )

---

[١] أصلُ من « حمر فأكدى » أى صادف الكدية - والكدية كفرصة : الأرض الغليظة ،  
والصفة العظيمة الشديدة . [٢] الهواجر جمع هاجرة ، وهى شدة الحرِّ  
[٣] من اعتقد مالا : اقتناه . [٤] رابحه على السلعة : أعطاه ربحاً



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رَنَقَةٌ <sup>(١)</sup> المشارب ، حَجَّة المصائب ، لا تُنْتَمَك الدهرَ بصاحب . »



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أُسْنِمَةً <sup>(٢)</sup> تُوضَع ، وأخفافاً تُرْفَع ، والخير يُطَلَب عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محله . »  
( العقد الفريد ٢ : ٨٦ )



وقيل لأعرابي : كيف ابْنُكَ - وَكَانَ بِهِ عَاقًا - قال : « عَذَابٌ لا يَقاومُه الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبر . »  
( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَضْرَةُ <sup>(٣)</sup> ، ما أَقْدَمَكَ ؟ قال :  
« الْحَيْن <sup>(٤)</sup> ، الذي يُغَطِّي الْعَيْن . » ( الأمل ١ : ٢٠٢ )



وأصيب أعرابي بابن له ، فقال وقد قيل له أَصْبِر : « أَعْلَى الله أَتَجَلَّد ، أم في مصيبتى أَتَبَلَّد ؟ والله لِلْجَزَع من أمره أَحَبُّ إِلَيَّ الآن من الصبر ، لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أَجْزَع من النقص لم أَفْرَح بالمزيد . »  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )



وقيل لأعرابي : لِمَ لا تَضْرِب في الأرض ؟ فقال : « يَمْنَعُنِي من ذلك ، طِفْل بَارِكٌ ، وإِصٍّ سَافِكٌ ، ثم إني لست بعد ذلك واثقاً بِنُجْح طَلِبَتِي ، ولا مَعْتَقِداً

[١] كدرة . [٢] جمع سام ، والمراد ما كان عالياً .

[٣] الحضرة : خلاف البادية كالحفر بالتحريك . [٤] الهلاك .



قضاء حاجتى ، ولا راجياً عطف قراتى ، لأنى أقدم على قوم أطغام الشيطان ،  
واستالمهم السلطان ، وساعدم الزمان ، وأسكرهم حدائة الأسنان .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

وقال بعض الأعراب : « نالنا ونسبى<sup>(١)</sup> ، وخلفه ولي<sup>(٢)</sup> ، فالأرض كأنها  
وشى<sup>(٣)</sup> عبقرى<sup>(٤)</sup> ، ثم أتتنا غيوم جراد<sup>(٥)</sup> ، بمنجل حواد<sup>(٦)</sup> ، فخربت البلاد ،  
وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأَكُول ، بالضعيف المأكول .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦١ - قولهم فى العتاب والاعتذار

حائب أعرابى أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حَقِّك على لا يذهب صغير  
حقى عليك ، والذي تَمَّتْ به<sup>(١)</sup> إلى<sup>(٢)</sup> ، أُمْتُ بِمَثَلِهِ إِلَيْكَ ، ولستُ أزعِمُ أَنَا سَوَاءً ،  
ولكنى أقول : لا يَحِلُّ لك الاعتداء .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، وزهر الآداب ٣ : ١٠٠ )

وقال أعرابى لصديق استبطأه فلأَمَّه : « كَأَنْتَ بى إِلَيْكَ زَلَّةٌ يَمْنَعْنِي مِنْ  
ذِكْرِهَا مَا أَمَلْتُ مِنْ تَجَاوُزِكَ عَنْهَا ، وليس أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْهَا إِلَّا بِالْإِقْلَاعِ عَنْهَا .

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعْرِفُ تقصيراً فأُقْلِعُ ، ولا ذنباً فأُعْتَبُ ،  
ولست أقول إنك كذبت ، ولا إننى أذنبت . » ( زهر الآداب ٣ : ١٦٢ )

[١] الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الذى يأتى بعد المطر .

[٢] الوشى : نقش الثوب ، والعبقرى : المنقطع النظير ، نسبة إلى عبقر ، موضع تزعم العرب أنه من  
أرض الجن ، ثم نسبوا إليه كل شئ تمجبوا من حدقه ، أو جودة صنعه .

[٣] المنجل جمع منجل كنبر : حديدة يقضب بها الزرع ، وحواد جمع حادة : أى قاطعة ، وفى الأصل

« حراد » وأراه محرفاً . [٤] تتوسل .



وقال آخر لابن عمّ له : « سأتحطّى ذنبك إلى عُذرك ، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شكّ ، ولكن ليتمّ المعروف مني إليك ، وتقوم الحُجّة لى عليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٥ )



وعذلت أعرابية أباهما في الجود وإتلاف ماله ، فقالت : « حبسُ المال ، أنفع للعيال ، من بذل الوجه في السؤال ، فقد قلّ النوال ، وكثر البُخَال ، وقد أتلفت الطارف والتلاد ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضرّه » . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

## ٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك ، كالمُخْبِر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، وأيقنت أني حيثُ انتهى بن القول ، منسوبٌ إلى العَجْز ، مُقَصَّر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك ، إلى الدعاء لك ، ووكلتُ الإخبار عنك ، إلى علم الناس بك » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )



وأثنى أعرابي على رجل فقال : « إن خيرك لَمَرِيحٌ <sup>(١)</sup> ، وإن منعك لَمَرِيحٌ ، وإن رفدك لَرَبِيحٌ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني كلاب يذكّر رجلاً

[١] أى عطاء بلا مطل ولا إبطاء ، ومرحج : أى من كدّ الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَهْمُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرَأِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَ لِحْلَلُ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبْعَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادَ <sup>(١)</sup> طَرْفٍ ، إِنَّمَا يَرْمِي بِهِمْتَهُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرَمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ، وَيَسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمالي ١٦ : ٢ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ بَذُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءَ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ فَاضَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .  
(الأمالي ١ : ١١٦ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢)

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيُتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمَرُّ <sup>(٢)</sup> ظُلْمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعَلَ ، وَإِنْ وَلِيَ عَدَلَ » .  
(البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أَذَبْتَهُمُ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمْتَهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ تَقْرُرْهُمُ السَّلَامَةُ الْمَنْطُويَّةُ عَلَى الْهَلَاكَةِ ، وَجَانَبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ » .

(الأمالي ٢ : ٢٣ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والعقد الفريد ٨٨ : ٢)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بكمال الأخلاق عند أمها ، فقالت : « يَا أُمَّةُ ، مَنْ نَشَرَ ثَوْبَ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] زياد الإبل : اختلافها في الرمي مقبلة ومدبرة ، والموضع مراد ومستراد .

[٢] لا يستطاب ، من استمر الطعام : وجده مريضاً أي منيئاً حيد المذبة .

كِثْمَانِ الشُّكْرِ جُحُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعَمِ » ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيْ بُنْيَّةٌ : أَطَبَّتِ الثَّنَاءَ ، وَقَتَّ بِالْجُزْءِ ، وَلَمْ تَدْعِ لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّ وَلَا ثَنَاءٍ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .  
( الأُمَالِي ١ : ٢٢٥ )



وَوَصَفَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ أَمِيرًا فَقَالَ : « إِذَا أَوْعَدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ نَجَلًا ، وَعَمِيدُهُ عَفْوُهُ ، وَوَعْدُهُ إِنْجَازٌ » .  
( الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٣ : ٢١٧ )



وَنَعَتَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتَ لَهُ ، فَمَا تَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى وَدِّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .  
( الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٣ : ٢٣١ ، وَالْمَقْدُ الْفَرِيدُ ٢ : ٨٩ ، وَزَهْرُ الْآدَابِ ٢ : ٣ )



وَذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ أَعْرَابِي فَوْقَ فِيهِ قَوْمٌ فَقَالَ : « أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلُكُمُ لِلْمَأْدُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ لِلْمَغْرُومِ <sup>(١)</sup> ، وَأَكْسَبَكُمْ لِلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ »  
( الْأُمَالِي ٢ : ١٦ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ١ : ١٦٣ )



وَأَعْطَى رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا فَأَكْثَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » .  
( الْأُمَالِي ٢ : ٥٠ )



وَمَدَحَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ مُيَعْنَى <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ الْمَسْكَارِمِ ، غَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَارِجِ طَرَقِهَا ، وَلَا مُتَشَاغِلٍ عَنْهَا بِغَيْرِهَا » .  
( الْأُمَالِي ٢ : ٥٠ ، وَالْمَقْدُ الْفَرِيدُ ٢ : ٨٩ )

[١] أَيْ لِلْمَالِ الْمَغْرُومِ ، فَنَ لَزِمَهُ غَرَمُ حَمْلِهِ عَلَيْهِ . [٢] أَيْ يَتَنَبَّ وَيُنْصَبُ .

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زمائماً من أزممتك يُجرّ بها الأعداء ، فإنني مسعر حرب<sup>(١)</sup> ، وركاب نجيب<sup>(٢)</sup> ، شديد على الأعداء ، لئن على الأصدقاء ، منطوى الحصيلة<sup>(٣)</sup> ، قليل الثميلة<sup>(٤)</sup> ، غرار النوم ، قد غدّنتني الحرب بأفاويقها<sup>(٥)</sup> ، وحلّبت الدهر أشطّره ، ولا تمنعك مني اللّمامة<sup>(٦)</sup> ، فإن من تحتها شهامة .

( المقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠ )

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخكم السبب ، من أي أقطاره أتيتّه ، تتنى عليه بكرم فِعال ، وحسنِ مقال .

( زهر الآداب ٢ : ٦ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ )

ومدح أعرابي رجلاً فقال « كَانَ والله يَغْسِلُ من العار وجوهاً مُسَوَّدَةً ، ويفتح من الرأي عيوناً مُنْسَدَّةً » .

( المقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تركوا والله النعيم ليتنعموا ، لهم عِبَرَاتٌ متدافقة ، وزَفَرَاتٌ متتابعة ، لا ترام إلّا في وجهٍ وجيهٍ عند الله » .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « ما رأيت أسرع إلى دايحٍ بليّيل ، على فرَسٍ حَسِيبٍ ، وجل نجيب<sup>(٥)</sup> ، ثم لا ينتظر الأولُ السابقُ ، الآخرُ اللاحقُ » .

[١] أي موقدها ، والنجب جمع نجيب . [٢] حصل الشيء تحميلاً : جمعه ، والاسم الحميلة ، والمعنى مكتم السر ، والثميلة في الأصل : ما يبقى في بطن الدابة من العلف والماء ، وما يدخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد ولّيتك العراقين ، فسر إليها منطوى الثميلة » والمعنى فسر إليها مخفاً ، والغرار : القليل من النوم . [٣] الأفاويق جمع أفاوق ، وهو جمع فيعة بالكسر ، والفيعة : اسم اللبن يجتمع في الفرع بين الحلبتين . [٤] اللّمامة : قبح المنظر . [٥] النجيب : الجمل السريع الخفيف في السير .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم مناديلَ أعراضهم ، فالخير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطَبِيبَةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إِذَا بُغِيَ لَدَيْهِمْ .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه بأخماس<sup>(١)</sup> أقدامنا ، وإنَّ أَقْصَى هِمَمِهِمْ لَا ذَنْيَ فِعَالِنَا » .



وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ<sup>(٢)</sup> ، وأرسل الْمُيُونُ عَلَى عَيُونِهِ ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، فالحسن راجٍ ، وَالْمُسَى خائف » .



وذكر أعرابي رجلاً يبراعة المنطق فقال : « كَانَ وَاللَّهِ بَارِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَافِ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، سَاكِنَ الْإِشَارَاتِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ جِلْمًا وَأَنَاقَةً ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاطِعِهِ ، وَيُنْشِدُ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ<sup>(٣)</sup> ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٤)</sup> » .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « آلَتْ<sup>(٥)</sup> سَيُوفُهُمْ أَلَّا تَقْضِيَ دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيعَ حَقًّا لَهُمْ ، فَاأْخِذْ مِنْهُمْ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكًا لَهُمْ » .

[١] جمع أحص كأحر ، وهو من باطن القدم ما لم يصب الأرض .

[٢] أي لم ينم عن شئون رعيته ، والعيون : الجواسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : المذهب والمسلك . [٤] أحال الكلام إحالة : إذا أفسده ، والحال

من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحال : أتى بالحال وتكلم به . [٥] حلفت

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « مارأيت عيناً قطُ أخرق لِظُلْمة الليل من عينه ، وَلَحْظَةً أشبهَ بلهبِ النار من لَحْظَتِهِ ، له هِزَّة كهِزَّة السيف إذا طَرِبَ ، وَجُرْأَةٌ كَجُرْأَةِ الليث إذا غَضِبَ » .

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كانت ظُلْمة ليله كضوء نهاره ، آمِراً بارتِياد ، وَناهياً عن فساد ، لَحِيْبِ السوء غير منقاد » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « اشترى والله عِرْضَه من الأذى ، فلو كانت الدنيا له فأنفقها ، لَرَأَى بَعْدَها عليه حُقُوقاً ، وكان مِنْهَا جَاً لِلْأُمُورِ الْمُشْكِلَةِ إذا تناجز الناسُ بِاللَّامَةِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « يُفَوِّقُ <sup>(١)</sup> الكلمة على المعنى ، فتمرُّق مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ، فما أصاب قَتَلَ ، وما أخطأ أشوَى <sup>(٢)</sup> ، وما غَطَطَ <sup>(٣)</sup> له سهمٌ منذ تحرك لسانُهُ في فيه » .

\*\*\*

وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ والله رَكُوباً لِلْأَهْوَالِ ، غيرَ أُلُوفٍ لِلْحِجَالِ <sup>(٤)</sup> ، إذا أُرْعِدَ <sup>(٥)</sup> لقوم من غير قُرٍّ ، يهين نفساً كريمة على قومها ، غير مُبْقِيَةٍ لَعْدٍ ما في يومها » .

[١] يسدّد ويصوب ، والرمية : ما يرمى . [٢] أشواه أصاب شواه ، والشوى كعصا : اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . [٣] الغططة : حكاية صوت الددر في الغليان وما أشبهها وقد يكون الأصل « وما غطط » أى ما اضطرب من الغططة وهى اضطراب موج البحر . [٤] الحجال جمع حجلة بالتحريك : القبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ، والمراد النساء . [٥] أرعد : أخذته رعدة .

❖❖❖  
ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ  
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذَرَهُ » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ  
لِنَسَبِهِ ، وَزَيْنَ بِهِ نَفْسَهُ » .

❖❖❖  
ومدح أعرابي رجلاً فقال : « يُحِمُّ أُذُنِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا ، وَيُخْرِسُ  
لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ قَبْلَ طَلَبِي إِلَيْهِ ،  
فَالْعَرِضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَاءِهِ ، وَمَا اسْتَقِيلَ <sup>(٢)</sup> بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَضِيعُ الْجُودِ وَالْمَفْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ ، مُعْتَصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ <sup>(٣)</sup> الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ  
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرْنَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نَهَايَةُ ،  
تَمَهَّلَ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لَطِيبٌ عِشْرَتِهِ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبِلِ  
عَلَى الْحَدَاءِ ، وَالْإِثْمَلُ عَلَى الْغِنَاءِ » .

---

[١] الشريب والشراب : ما يشرب ، المصقع : البليغ أو العالي الصوت أو من لا يرتج دليته في كلامه ولا يقتنع . [٢] أي وما أحل ، وأنقلني : أرجى وردني . [٣] حذفت : رمت .



\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالُطُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَبْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ (١) » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ بَغْضَهُ لَهُ » .

\*\*\*

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بنى بَرَمَكْ ، فقبل له كيف رأيتهم ؟ قال : « رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أُنِسَتْ بِهِمُ النِّعْمَةُ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « مَا زَالَ يَبْنِي الْمَجْدَ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .

\*\*\*

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إِنْ جِهَلًا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُ بِخِلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدُوحِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّؤْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدُ :

|                                          |                                              |
|------------------------------------------|----------------------------------------------|
| وَكَأَنَّ بِأَبْكَ تَجْمَعُ الْأَسْوَاقَ | مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟     |
| بِيَدَيْكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ  | حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى |
| وَالْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةٌ الْعُشَاقُ    | إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ حَاشِقًا     |

( القدر المريد ٢ : ٨٨ - ٩٠ )



وضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :  
 ما أدري ما أقول ؟ أ أقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : نَوَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 نَوَّرَكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِدَاكَ . ( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا اصْطَفُوا تَحْتَ الْقَتَامِ <sup>(١)</sup> ،  
 خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، يَوْمُ فُودِ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاخَفُوا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ <sup>(٢)</sup> الْمَنَايَا  
 أَفْوَاهُهَا ، قَرُبَ يَوْمِ عَارِمٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرِبَ عَبُوسٌ قَدْ ضَا حَاكَّتْهَا  
 أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطَبَ شُنْزٌ <sup>(٤)</sup> قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمَ عَمَّاسٍ <sup>(٥)</sup> قَدْ كَشَفُوا ظُلُمَتَهُ  
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِيَ ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشُ <sup>(٦)</sup> غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْهَنَهُ  
 تَيَّارُهُ » . ( الأمل ١ : ١٣٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٨ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )



ووصف أعرابي رجلا فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاعَا مِنَ الْهَوَاءِ ،  
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . ( زهر الآداب ٢ : ٣ )

[١] القَتَام : الغبار ، والحِمَام : الموت ، ورواية العقد : « كَانُوا إِذَا اصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »  
 — سفر بين القوم كضرب ونصر : أصلح — . [٢] ففرت : فتحت .

[٣] العرامة بالفتح والعرام بالضم : الشراسة والأذى ، حرم كنصر وضرب وكرم وعلم .

[٤] شُنْز : شديد ملاقى . [٥] العماس من الليالي : المظلم الشديد ، وأمر لا يقام له ولا يبتدى لوجهه .

[٦] لا ينكش : لا ينزع ، والغمار جمع غمر كشمس : وهو الماء الكثير ، ونهنه : كفه وزجره . وفي

رواية العقد : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَلْقَمْتَهُ الْقَتَمَ » ، ورواية زهر الآداب : « إِذَا اصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ  
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاخَفُوا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ فَهُ الْحِمَامُ »



ووصف أعرابي قومه فقال : يُيُوثُ حرب ، وَغِيُوثُ جَدْب ، إن قاتلوا  
أَبَلُوا ، وإن بَذَلُوا أَغْنَوْا . ( زمر الآداب ٢ : ٤ )



وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا ثبتت الأصول في القلوب ،  
نطقت الألسنة بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، وَمُحَالٌ  
أن يظهر الوُدَّ المستقيم ، من الفؤاد السَّقيم » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٥ )



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يقتلون الفقر ، عند شدة القُرِّ<sup>(١)</sup> ،  
وأرواح<sup>(٢)</sup> الشتاء ، وهبوبِ الجِرْيَاءِ<sup>(٣)</sup> ، بأَسْنِمَةِ الْجَزُورِ ، ومُتْرَحَاتِ<sup>(٤)</sup>  
الْقُدُورِ ، تحسُن وجوههم عند طَلَبِ المعروف ، وتَعْبِسُ عند لَمعان السيوف » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لهم جُود كرام اتسعت أحوالها ، وبأسُ  
ليوثٍ تَدْبَعُهَا أشبالها ، وَهَمَّ ملوكٍ انْفَسَحَتْ آمالها ، ونَغَرُ صميم آباء  
شَرُفَتْ أحوالها » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٧ )




---

[١] القُرُّ بتقليب الالف : البرد . [٢] جمع ريح كريح . [٣] ريح الصمال أو بردها .  
[٤] جمع مترعة : وهي المدلوعة .

## ٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ وجوههم باللؤم ، لِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَزَادَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ يَبُوتٌ تُدْخِلُ حَبَوًّا ، إِلَى غَيْرِ نَمَارِقٍ <sup>(١)</sup> وَلَا وَسَائِدَ ، فَصُحُّ الْأَلْسُنِ بَرْدُ السَّائِلِ ، جِعَادُ الْأَكْفِ عَنْ النَّائِلِ <sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لَقَدْ صَغَّرَ فُلَانًا فِي عَيْنِي عِظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَأَنَّمَا يَرَى السَّائِلَ إِذَا أَتَاهُ ، مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا رَأَاهُ » .

\*\*\*

وسئل أعرابي عن رجل فقال : « مَا ظَنُّكُمْ بِسِكِّيرٍ لَا يُفِيقُ ، يَتَّهِمُ الصَّدِيقَ ، وَيَعْصِي الشَّفِيقَ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرُمْتَ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَلَوْ أَفْلَتَتْ كَلِمَةٌ سَوْءٌ لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ فُلَانًا لِيُمْدِي بِإِثْمِهِ ، مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ ، وَلَيْتَ خَيْبَتِي فَلَرُبَّ بَاقِيَةٍ قَدْ ضَاعَتْ فِي طَلَبِ رَجُلٍ كَرِيمٍ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « تَعُدُّوْا إِلَيْهِ مَرَاكِبُ الضَّلَالَةِ ، فَتَرْجِعَ مِنْ

[١] النمارق جمع نمرقة (بالضم) : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] النائل : العطاء ، وهو جمع اليدين أو الأنامل (كشمس) : أي بخيل ، وقد جمعوا جمع الشعر على جمع ككتاب كما في اللسان ، فليكن هذا مثله ، وقد جاء في الأصل « جمع » بدون ألف ، وأراه محرفاً ، إذ لا يجمع جمع (بالفتح) على جمع بضم فسكون ، ولا على جمع بضميتين .

عنده يبذور الآثام ، مُعْذِمٌ مما تحب ، مُكْثِرٌ مما تكره ، وصاحب السوء  
قطعة من النار .



وقال أعرابي لرجل : « أنت والله ممن إذا سأل الحلف ، وإذا سُئِلَ سوِّف ،  
وإذا حَدَّثَ حَلَف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حَسُود ، وتُعْرِض  
إِعْراضَ حَقُود . »



وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لَمَّا سئل عن سفره : « مارَبِحْنَا في  
سفرنا إلا ما قَصَرْنَا من صلاتنا ، فأما الذي لَقِينَا من الهَوَاجِر<sup>(١)</sup> ، وَلَقِيتُ منا  
منا الأَبَاعِرُ ، فَعُقُوبَةُ لَنَا فيما أَفْسَدْنَا من حسن ظننا » ، ثم أنشأ يقول :  
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ مَرِيَّةُ سَالِمِينَا



وذكر أعرابي رجلا فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبًا مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،  
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبَحْ وَجْهَكَ إِلَى قَبِيحِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطِيعَ رَاغِبًا ،  
وَلَا خُوفَ رَاهِبًا . »



وذم أعرابي رجلا فقال : « عَبَدَ الْفَعَالَ ، حُرَّ الْمَقَالَ ، عَظِيمَ الرِّوَاقِ ،  
دَنِيءَ الْأَخْلَاقِ ، الدَّهْرُ يَرْفَعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضَعُهُ . »



وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدَ ،

---

[١] الهواجر جمع هاجرة : وهي شدة الحر .

إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكَرَامِ ، شَجَرُ أَصُولِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَفَلَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ مُنَّمُ الْمَجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلُوسَاتِهِ ، أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا لَمْ يَدْرِكْ بَثْرَهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَثْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْبَلْغَمِ حَشَوُ مُرَقَّةٍ ، لَوْ دُقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَّهَا <sup>(١)</sup> ، وَلَوْ خَلَا بِالْكُمْبَةِ لَسَرَقَهَا » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « تَسْهَرُ وَاللَّهِ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ شَبَعًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ » .



وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَزْعَقُ فَقَالَ : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمُؤْمِنٍ أَوْ مَظْلُومٍ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَخْفَى عَلَيْكَ ثِقَلُ الذُّنُوبِ ، فَيَحْسُنُ عِنْدَكَ مَقَابِحُ الْعُيُوبِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً بضعف فقال : « سيء الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّعاية ، ضعيف النّكاية » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كلّ يوم من فعله شاهدٌ بفسقه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً بذلّة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مؤثوراً » .

\*\*\*

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، دنى الهمة : « ما أحوجك أن يكون عرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حدّثته يُسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكّته عنه أخذ في التّرهات<sup>(١)</sup> » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله هو أقصد إلى ما يهواه ، من الطّرق إلى المياه ، أفقره ذلك أو أغناه » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحكّمه التجارب ، أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالدّم إلى من يستوجب المدح » .

---

[١] الترهات جمع ترمة : وهي الباطل .

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تَغَيَّرْ ؟ ولو كنت من حديد  
مُحَمَّى ووَضِعتَ على عَيْنٍ لم تَذُبْ » .

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيتك أن تدنَّسَ عِرْضَكَ بمرض فلان ،  
وأُغْلِمَكَ أنه سمينُ المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فَجَاءَ ، قصيرُ عمر  
الغنى ، طويل عمر الفقر » .

وقال أعرابي : « لا ترك الله مُخَاً في سُلَامَى <sup>(١)</sup> ناقةٍ حملتني إليك ، وَلَدَّاعِي  
عليها أَحَقُّ بالدعاء عليه ، إذ كَلَّفَهَا المسيرَ إليك » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « لا يُؤْنَسُ جاراً ، ولا يُؤْهِلُ داراً ،  
ولا يَبْعَثُ ناراً » .

وذكر أعرابي امرأة قبيحة فقال : « تُرْخِي ذيلها على عُرْقُوبِي نعاماً ،  
وَتُسَدِّلُ خمارها على وجه كَالْجُعَالَةِ <sup>(٢)</sup> » .

وقال أعرابي لامرأة : « والله إنك لَمُشْرِفةُ الأذنين ، جاحِظَةُ العينين ، ذات  
خلق متضائل ، يُعْجِبُكَ الباطل ، إن شَبِعْتَ بَطْرَتِ ، وإن جُعْتَ صَحِبْتَ <sup>(٣)</sup> ،  
وإن رأيتِ حسناً دَفَنْتِهِ ، وإن رأيتِ سيئاً أَدَغْتِهِ ، تَكْرِمِينَ من حَقَرَكَ ،  
وتَحْقِرِينَ من أكرمَكَ » . ( المقدم الفريد ٢ : ٩٠ - ٩٣ )

[١] السلايات : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خرقة ينزل بها القدر

[٣] الصخب : شدة الصوت .



وسأل أعرابي رجلا فخرمه ، فقال له أخوه : « نزلتَ واللهِ بوادٍ غيرِ مَمْطُورٍ ،  
وأُتيتَ رجلا بك غيرِ مسرورٍ ، فلم تُذَرِكْ ما سألتَ ، ولا نلتَ ما أملتَ ،  
فازتَ محلَّ بِنْدَمٍ ، أو أقيم على عَدَمٍ » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )

ودخلت أعرابية على مَحْدُونَةٍ بنتِ المهدى ، فلما خرجت سئلت فقالت :  
« والله لقد رأيتها فإريت طائلا ، كأن بطنها قِرْبَةٌ ، كأن نذيتها دُبَّةٌ ، كأن  
استها رُقْمَةٌ <sup>(١)</sup> ، كأن وجهها وجهُ ديكٍ قد نَفَشَ <sup>(٢)</sup> عَفْرِيتَهُ يقاتل ديكًا » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٢ ، والأمالى ٢ : ١٥٦ )

وذم أعرابي رجلا فقال : « أَفْسَدَ آخِرَتَهُ بِصَلاحِ دُنياءٍ ، ففارق ما أصلح  
غيرَ راجعٍ إليه ، وَقَدِمَ على ما أَفْسَدَ غيرَ مُنتَقِلٍ عنه ، ولو صدَّق رجل نفسه  
ما كَذَّبَتْه ، ولو ألقى زِمَامَهُ أوطأه راحِلَتُهُ » . ( زهر الآداب ٢ : ٦ )

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخصمه : « والله لو صوِّرَ الجمل  
لأظلم معه النهارُ ، ولو صوِّرَ العقلُ لأضاء معه الليلُ ، وإنك من أفضلهما لمُعْدِمٍ ،  
تَخَفِ اللهَ واعلم أن من ورائك حَكْمًا لا يحتاج المُدْعَى عنده إلى إحضارِ يَتْنَةٍ » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٣ )

وقال أعرابي يعيب قوماً : « هم أَقْلُ الناسِ ذُنُوبًا إلى أعدائِهِمْ ، وأَكْثَرُ  
جُرْمًا إلى أصدقاؤِهِمْ ، يَصُومُونَ عن المعروف ، وَيُفْطِرُونَ على الفحشاء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٩٠ )



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدَرِ ، قَصِيرُ الشَّيْرِ <sup>(١)</sup> ، ضَيْقُ الصَّدْرِ ، لَثِيمُ النَّجْرِ <sup>(٢)</sup> ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ » .  
( البيان والتبيين ١ : ١٥٧ ، والمقداد الفريد ٢ : ٩١ )



وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضِي بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النَّشْوَةَ ، وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ <sup>(٣)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٥٠ ، والمقداد الفريد ٢ : ٩١ )



وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّ أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « امْرَأَتِي ، وَإِنِّهَا لَحَمَقَاءُ مِرْقَامَةٍ <sup>(٤)</sup> ، أَكُولُ قَامَةً <sup>(٥)</sup> ، لَا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ <sup>(٦)</sup> ، غَيْرَ أَنَّهَا حَسَنَاءُ فَلَا تُفْرَكُ <sup>(٧)</sup> ، وَأُمُّ غُلَامَانِ فَلَا تُتْرَكُ » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : « وَاللَّهِ إِنْ شُرِبَكَ لَأَشْتَفَا <sup>(٨)</sup> ، وَإِنْ ضِجَّعَتْكَ لَأَنْجِمَا <sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ شِمَلْتِكَ لَأَلْتَفَا ، وَإِنَّكَ لَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ » ،

[١] الشبر : القد . [٢] النجر : الأصل . [٣] المشوة والنشوة والرشوة بتثنية الفاء في الثلاثة ، المشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجمل والبرطيل « بكسر الباء » . [٤] المرقامة : الغضبة لبعلمها . [٥] قامة : اسم فاعل ، من قم : أى أكل ما على الخوان كاقته ، وقه : كنهه . [٦] الحامة : الخاصة . [٧] فرك زوجته وفركته كسمع ، وكنصر شاذ : أبفضته ، ورجل مفرك بالتشديد تبفضته النساء وامرأة مفركة : يفضها الرجال . [٨] اشتف : ماى الإماء : شربه كله . [٩] الانجماف : الانصراف .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ <sup>(١)</sup> ، قَعَوَاءُ الْفَخْذَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، مَقَاءُ الرُّفْعَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، مُفَاضَةٌ الْكَشْحَيْنِ <sup>(٤)</sup> ضَيْفُكَ جَائِعٌ ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ » . (الأمالي ١ : ١٠٤)

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : مرَّ أعرابي برجل يكنى أبا الفَمر - وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : أَعَيْنِ الْفَقِيرَ الْحَسِيرَ ، فقال : ما ألحَفَ سَائِلِكُمْ ، وَأَكْتَرَّ جَائِعِكُمْ ، أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي : « لو فُرِّقَ قوتُ جسمك في جسوم عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لعظيم السَّرَطَةِ <sup>(٥)</sup> ، شديد الضَّرَطَةِ ، لو ذَرَى بِحَبَقَّتِكَ يَنْدَرُ ، لكَفَّتَهُ رِيحَ الْجَرِيَاءِ <sup>(٦)</sup> » . (الأمالي ١ : ٢٢٦)

## ٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأة فقال : « هي أَرْقُ من الهواء ، وأَطْيَبُ من الماء ، وأَحْسَنُ من النِّعْمَاءِ ، وأَبْعَدُ من السماء » . (الأمالي ١ : ٢٠١ ، والمقدِّم ٢ : ٩٤)

\*\*\*

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لَهَا جِلْدٌ مِنْ لَوْلُو ، مع رَائِحَةِ الْمِسْكِ ، وفي كل عُضْوٍ مِنْهَا شَمْسٌ طَالِمَةٌ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَمَا نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكرواء : الدقيقة الساقين .

[٢] القعواء : الدقيقة ، أو الدقيقة الفخذين ، وقيل : هي التباعدة ما بين الفخذين (كالقجواء) .

[٣] الرفع : أصل الرفع ، والرفاء : الدقيقة الفخذين ، أو الطويلة من المفق بالتحرير وهو الطول .

[٤] المفاضة : المسترخية ، والكشعان : الحاصرتان . [٥] البلة من سرطه كنصر وفرح : ابتلعه

[٦] الحبطة : الضربة ، والبيد : الموضع الذي تداس فيه الجيوب ، والجرياء : ريح العمال الباردة .

وذكر أعرابي نِسْوَةَ خرجن متنزهاتِ فقال : « وجوهٌ كالدنانير ، وأعناق  
كأعناق اليمّافير<sup>(١)</sup> ، وأوساطٌ كأوساط الزّناير ، أقبلن إلينا بِحُجُولٍ<sup>(٢)</sup> تحفّق ،  
وأوشحةٌ تُعلّق ، وكم أسيرٍ لهن وكم مُطلَقٍ » .



ووصف أعرابي امرأة حسناء فقال : « تبسّم عن خمش<sup>(٣)</sup> اللّثات ،  
كأقاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي السّقم الذي لا بُرء منه ، والبرء الذي  
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السّما » .



ووصف أعرابي امرأة فقال : « بيضاء جعّدة<sup>(٤)</sup> لا يمسّ الثوبُ منها  
إلا مُشاشة<sup>(٥)</sup> كتفيها ، وحلّة ثديها ، ورضنّ ركبتيها ، ورانفت<sup>(٦)</sup>  
ألتيها ، وأنشد :

أَبَتِ الرّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا      مَسَّ البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهُورًا  
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاحَتْ      نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا

[١] اليمافير جمع يعمور : وهو ولد البقرة الوحشية . [٢] الحجول جمع حجل بالكسر والفتح :  
وهو الخلخال ، والأوشحة جمع وشاح بالفم والكسر : أديم عريض يرصع بالجواهر ، تشده المرأة بين  
عاتقها وكشحيها . [٣] خدش ، والأقاحي جمع أقحوان بالفم : وهو نبت طيب الريح حواليه ورق  
أبيض ، ووسطه أصفر ، وراقه : أعجبه .

[٤] الجعده من الشعر خلاف السبط ، أو القصير منه ، ورجل جعد الشعر والأنثى جعدة ، والجعد أيضا  
الدمج الخلق المجتمع يعضه الى بعض ، والجعد اذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستجابان : أحدهما أن  
يكون معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق ذير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شعره جعدا غير  
سبط لأن سبوطه الشعر هي الغالبة على شعور المعجم من الروم والفرس ، وجعّدة الشعر هي الغالبة على  
شعور العرب . [٥] المشاشة : رأس المظم ، والرضف : عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ  
بعضها بعضا ، والرائقة : أسفل الألية عند القيام .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسُ سماءها ،  
وليس لي شفيح في اقتضاها <sup>(١)</sup> ، وإن تقضى لكثوم لداها ، ولكنها تفيض  
عند امتلائها » .



وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : « والله ما رأيت دمة تَرَقِّقُ من  
عينِ يَأْمِدُ <sup>(٢)</sup> على دياجَة خَدَّ ، أحسن من عَبرة أمطرتها عينها ، فأعشت  
بها قلبي » .



وقال أعرابي : « إن لي قلباً مَرُوعاً <sup>(٣)</sup> ، وعينا دَمُوعاً ، فإذا يصنع كل  
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟ » .



وقال أعرابي : « مَا أَشَدَّ جَوَلَةَ الرَّأْيِ عند الهوى ، وَفِطَامَ النفس عن الصِّبَا !  
ولقد تقطعت كَبْدِي ! لَوْمُ المَازِلِينَ للماشقين قِرْطَةً في آذانهم ، وَلَوْحَاتِ الحب  
نيرانٌ في أبدانهم ، مع دموع على المَنَانِي <sup>(٤)</sup> ، كَغُرُوبِ السَّوَانِي » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نَعِمْتَ عَيْنٌ نَظَرَتْ إِلَيَّهَا ، وَشَقِيَ قَلْبٌ  
تَجَجَّعَ عَلَيْهَا ، ولقد كنت أزوِّرها عند أهلها ، فَيُرَحِّبُ بِي طَرَفُهَا ، وَيَتَجَهَّمُنِي  
بِلسَانُهَا » قيل له فما بلغ من حُبِّك لها ؟ قال : « إِنِّي ذَاكِرٌ لَهَا وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا  
عَدَوَّةُ الطَّائِرِ ، فَأَجِدُ لَذَكْرَهَا رِيحَ الْمَسْكِ » .

[١] التضييق دونه وتماشاه بمعنى . [٢] الأتعد : الكحل ، والدياجة : الحد . [٣] مفزعا .  
[٤] المَنَانِي جمع مَنَى : وهو للنزل ، والغروب جمع غرب كشمس : وهو الغلو العظيمة ، والسواني جمع  
سانية : وهي الناقة يبقى عليها ، والغرب وأداته .

وقال أعرابي : « أَلْهَوَى هَوَانٌ ، وَلَكِنْ غُلِطَ بِاسْمِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مِنْ يَقُولُ ، مِنْ أَبْنَكْتَهُ الْمَنَازِلُ وَالطَّلُولُ » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إِنْ لِسَانِي لِنِدِكْرِهَا لَدَلُولُ ، وَإِنْ حَبِّهَا لِقَلْبِي لِقَتُولُ ، وَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ بِهَا لَيَطُولُ » .

ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال : « كَلَامُهُنَّ أَقْتَلُ مِنَ النَّبْلِ ، وَأَوْقَعُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَبْلِ بِالْمَحْلِ ، فَرَوْعُهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ فُرُوعِ النَّخْلِ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٣ — ٩٥ )

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ أَعْيَنًا دُعْجَا <sup>(١)</sup> ، وَحَوَاجِبَ زُجَا ، يَسْحَبْنَ الشَّيَابَ ، وَيَسْلُبْنَ الْأَلْبَابَ » ( العقد الفريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧ )

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظَعَانُ <sup>(٢)</sup> فِي سَوَافِيهِنَّ طُولُ ، غَيْرِ قَبِيحَاتِ الْعُطُول <sup>(٣)</sup> ، إِذَا مَشَيْنَ أَسْبَلْنَ الذُّيُولَ ، وَإِنْ رَكِبْنَ أَثْقَلْنَ الْحُمُولَ <sup>(٤)</sup> » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٧ )

وقال أعرابي : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِالْبَصْرَةِ بُرُودًا كَأَنَّهَا صُبِغَتْ بِأَنْوَارِ الرَّيِّعِ ، فَهِيَ تَرُوعُ <sup>(٥)</sup> ، وَاللَّابِسُ لَهَا أُرُوعٌ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

[١] دُعْجَا جمع دُعْجَاء ، وصف من الدعج بالتحريك : وهو سواد العين مع سميتها . وزجاء جمع زجاء من الزجج بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين و طول .

[٢] ظَعَانُ جمع ظُعينة : والظُعينة في الأصل وصف المرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها ، والسوالف جمع سالفة : وهي ناحية مقدم العنق من لدن معاق القُرط إلى قرة الرقوة . [٣] مَطَلَّتْ الْمَرْأَةُ كَفَرَحٍ عَطَلًا بالتحريك وعطولا : إذا لم يكن عليها حلى . [٤] الحمول : الهوادج ، أو الإبل عليها الهوادج جمع حمل بالكسر ويفتح . [٥] تعجب .

وقال أعرابي : « شَيْعَنَا الْحَيَّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّقَامِ<sup>(١)</sup> ، فَقَرَأَنَّ بِالْحَدَقِ  
السَّلَامَ ، وَخَرِسَتْ الْأَلْسُنُ عَنِ الْكَلَامِ » . ( الأمل ٢ : ٥٠ )

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَامُتَّعَ الْهَوَى بِمَلِكِهِ ، وَلَا مُمْلَى<sup>(٢)</sup>  
بِسُلْطَانِهِ ، وَقَبَّضَ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْهَنَ عَضُدَهُ ، فَإِنَّهُ جَائِرٌ لَا يُنْصِفُ فِي حَكْمٍ ، أَعْمَى  
لَا يَنْطِقُ بِعَدْلٍ ، وَلَا يُقَصِّرُ فِي ظَلَمٍ ، وَلَا يَرْعَى لِنَدَمٍ ، وَلَا يَنْقَادُ لِحَقٍّ ، وَلَا يُبْقِي  
عَلَى عَقْلِ وَفْهِمْ ، لَوْ مَلَكَ الْهَوَى وَأَطِيعَ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَالْدُّنْيَا عَلَى أَعْقَابِهَا »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هُوَ دَاءٌ تُدَاوِي بِهِ النُّفُوسَ الصَّحَاحَ ،  
وَتَسَلُّ مِنْهُ الْأَرْوَاحَ ، وَهُوَ سُقْمٌ مُكْتَنَمٌ ، وَحَمِيمٌ<sup>(٣)</sup> مُضْطَرِمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ  
مُنْضَجَةٌ ، وَالْعَيُونُ سَاكِبَةٌ » . ( زهر الآداب ٣ : ١٨ )

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : « هِيَ زِينَةُ الْحُضُورِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ  
السُّرُورِ ، وَلَدِّ كَرُمِهَا فِي الْمَغِيبِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّقِيبِ ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ  
وَنَسِيبٍ ، وَبِهَا عُرِفَ فَضْلُ الْحُورِ الْعَيْنِ ، وَاشْتَقِقَ بِهَا إِلَيْهِنَّ يَوْمَ الدِّينِ » .  
( زهر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

ووصف أعرابي نساء فقال :

« يَلْتَمِسْنَ عَلَى السَّبَائِكِ<sup>(٤)</sup> ، وَيَتَشَحَّنَ عَلَى النَّيَازِكِ<sup>(٥)</sup> ، وَيَأْتِرْنَ

[١] أي المروبات الداوية للسقام .

[٢] ملاء الله حبيبه تمليه : متعه به وأطاعه سه طويلا . [٣] الحميم : الماء الحار . وفي الأصل :  
« وحى » وأداة محرفا عن حميم ، ويناسبه قوله بعد : « والعيون ساكية » .

[٤] اللثام على الفم ، واللغام على طرف الأنف ، تلثمت المرأة وتلفمت ، والسبائك هنا الأسنان شبهها  
ليأخضا بالسبائك . [٥] النيازك جمع نيزك كجعفر : وهو الرمح القصير .

على العَوَانِك<sup>(١)</sup> ، وَيَرْتَفِقْنَ عَلَى الْأَرَانِكِ<sup>(٢)</sup> ، وَيَتَهَادَيْنَ عَلَى الدَّرَانِكِ<sup>(٣)</sup> ،  
ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيزُ ، عَنْ وَلِيْعٍ كَالْإِغْرِيزِ<sup>(٤)</sup> ، وَهُنَّ إِلَى الصَّبَا صُورٌ ، وَعَنْ  
الْحَنَّا نُورٌ<sup>(٥)</sup> . (الأمال ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨ )

## قولهم في الوصف

### ٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« اسْتَقَلُّ سُدٌّ مَعَ انْتِشَارِ الطَّفَلِ<sup>(٦)</sup> ، فَشَصَا وَأَحْزَالَ<sup>(٧)</sup> ، ثُمَّ اكْفَهَرَّتْ  
أَرْجَاؤُهُ ، وَاحْمَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْذَعَرَّتْ فَوَارِقُهُ<sup>(٨)</sup> ، وَتَضَا حَكَّتْ بَوَارِقُهُ ،  
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَأَرْتَقَتْ جُوبُهُ ، وَأَرْتَمَنَ هَيْدَبُهُ<sup>(٩)</sup> ، وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ ،  
وَاسْتَقَلَّتْ أُرْدَافُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ<sup>(١٠)</sup> ، فَالْرَعْدُ مُرْتَجِسٌ ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ ،

[١] العوانك جمع طابك : وهو رمل منعقد يشق فيه البعير لا يقدر على السير .

[٢] الأرائك جمع أريكة وهي السرر أو الفرش ، وارتفق : ارتكأ على مرفق يده ، أو على الخد .

[٣] يتهادين : يمشين مشياً ضعيفاً ، والدرايك : الطنافس جمع درنوك كمصفور ، ودريك كزرج .

[٤] الوميض : اللعان الحثي ، والوليع : الطلع ، كأنه نظم اللؤلؤ في شدة بياضه . قال الشاعر يصف

نفر امرأة : وتبسم عن نير كالوليع ، والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره ، والبرد (بتحريك الراء) .

[٥] صور : موائل ، ومنه قيل للمائل العنق أصور ، ونور : ما فرات من الرية جمع نوار كسحاب .

[٦] استقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يسد الأفق ، والطفل : العشى إلى حد المغرب .

[٧] شصا ارتفع ، واحزأل مثله . [٨] المكهفر من السحاب : الذي يركب بعضه بعضاً ،

وأرجاؤه : نواحيه جمع رجا كمصا ، واحمومت : اسودت ، وأرجاؤه : أوساطه ، جمع رجا كمصا ، واذعرت

تفرقت ، والفوارق جمع فارق ، وهو السحاب الذي ينقطع من معظم السحاب ، وأصله في الإبل ، يقال

ناقة فارق : وهي التي تندعن الإبل عند نتائجها .

[٩] استطار : انتشر ، والودق الذي يكون فيه الودق ( كشمس ) وهو المطر العظيم القطر ، وارتقت

التأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتمن : استرخى ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو من الأرض مثل هديب القطيفة .

[١٠] حشكت : امتلأت ، والأخلاف جمع خاف كحمل ، وهو للناقة كالضرع للبقرة ، أردافه : ما أخيره

والأكناف : الواحي .



والماء مُنْبَجِسٌ <sup>(١)</sup> ، فَأُتْرِعَ الذُّدُرُ ، وَاتَّبَثَ الْوُجُرُ <sup>(٢)</sup> ، وَخَلَطَ الْأَوْمَالُ  
بِالْآجَالِ ، وَقَرَنَ الصَّيْرَانِ بِالرِّئَالِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَاوْدِيَةٌ هَدِيرٌ ، وَلِلشُّرَاجِ خَرِيرٌ ، وَلِلتَّلَاعِ  
زَفِيرٌ <sup>(٤)</sup> ، وَحَطَّ النَّبْعَ وَالْعُتْمَ ، مِنْ الْقُلَلِ الشَّمُّ ، إِلَى الْقَيْعَانِ الصُّخْمِ <sup>(٥)</sup> ، فَلَمْ  
يَبْقَ فِي الْقُلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ مُجَرَّثٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُجَرَّجَمٌ <sup>(٦)</sup> ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ  
العالمين ، عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ . (الأمال ١ : ١٧٣)

## ٦٦ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً من غنيّ يذكر مطراً أصاب <sup>(٧)</sup> بلادهم في  
غيبٍ جَدَّبَ فقال :

« تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَبَتِ الْأَمْحَالُ ، وَتَقَاصَرَتِ الْآمَالُ ، وَعَكَفَ  
الْيَاسُ ، وَكُظِمَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِي مُضْغِماً <sup>(٨)</sup> ، وَالتَّرِبُ مُعْدِماً ،

[١] مرتجس : مصوّت من الرّحس كحمل وهو الصوت ، مختلس : كأنه يختلس البحر لشدة إعائه ،  
منبجس : منفجر .

[٢] أترع : ملأً والذدر جمع غدير ، والوَجُر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو جعر الضبع والمثلب ،  
واتبث : أخرج نبيتها وهو تراب البئر والقبر ، أي أنه لشدة مدم الوجر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .  
[٣] الأوامال جمع وعل ، ( كشمس وكشف ودئل ) : التيس الجبلي ، والآجال جمع أجل كحمل وهو  
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين انوهول — وهي تسكن الجبال — وبين البقر — وهي تسكن القيعان  
والرمال ، والصيران جمع صوار كشجاع ، وصيار ككتاب وهو القطيع من البقر ، والرّئال جمع رأله كشمس  
فرغ النعام ، فالرّئال تسكن الجلد ( بالتحريك ) وهي الأرض الصلبة للمستوية المنبسطة والصيران تسكن الرمال  
والقيعان ، فقرن بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الابل ، الفراج جمع شرج كشمس وهو مائل الماء من المرة إلى السهل  
والتلّاع : مسایل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] النبع : شجر يتخذ منه القسي ينبت في  
الجبال ، والعُتْم : الزيتون الجبلي كقفل وعنق ، والقُلل : أعلى الجبال جمع قلة كفرصة ، والشَّم : المرتفعة  
جمع شماء ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطشحة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والصخم : التي تملوها  
حجارة جمع أصخم . [٦] المعصم : الذي قد تمسك بالجبال وامتنع فيها ( ويقال للرجل الذي يسك برف فرسه  
خوف البقوط : معصم ) مجرّث : متقبض ، الداحض : الذي يقحم برجليه عند الموت ، والمجرّم : المصروع .  
[٧] صاب : جاد ، وكلبت : اشتدت ، والأمحال جمع محل كشمس وهو الفحط ، وعكف : أقام .

[٨] الماشي : صاحب الماشية ، معنى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته ، والمصرم : المقارب المال القفل ،

وَجُفِيتِ الْحَلَالِيلُ ، وَأُمْتُهِنَتِ الْعَقَائِلُ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَّامًا<sup>(١)</sup> ، كَنَهْوَرًا سَجَّامًا ،  
بُرُوقَهُ مَتَأَلِّقَةً ، وَرُعُودَهُ مُتَقَعِّمَةً ، فَسَحَّ سَاجِيًا<sup>(٢)</sup> رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ ،  
ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَحَرَتْ<sup>(٣)</sup> رُكَّامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَاَنْقَشَعَ مَحْمُودًا ،  
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُسَكَّتُ نِعْمُهُ ، وَلَا تَنْقَدُ  
قِسْمُهُ ، وَلَا يَنْخَبِيبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> نَائِلُهُ . (الأمالي ١ : ١٧٦)

## ٦٧ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن مطر  
صَابَ بِلَادِهِمْ فَقَالَ :

« نَشَأَ عَارِضًا<sup>(١)</sup> ، فَطَلَعَ نَاهِضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِضًا ، فَأَعَسَّ فِي الْأَقْطَارِ  
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ فِي الْآفَاقِ فَنَغَطَّاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ<sup>(٢)</sup> فَهَمَّهُمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأُظْلِمَ ،

وَالْتَرَبَّ الْغَى الَّذِي لَهُ الْمَالُ مِثْلُ التَّرَابِ كَثْرَةً ، يُقَالُ : أَتَرَبَّ الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ ( وَقُلْ أَيْضًا . ض.د )  
وَتَرَبَّ كَفَرَحَ إِذَا انْتَفَرَحَ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتَّرَابِ ، وَامْتَهَنَ : اسْتَعْدَمَتْ وَاعْتَمَلَتْ ، وَالْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَأَنْشَأَ  
أَحْدَثَ ، وَالشَّءُ : السَّحَابُ أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ .

[١] الرُّكَّامُ : المتراكم ، وَالْكَنَهْوَرُ مِنَ السَّحَابِ قَطْعُ كَأْسِهَا الْجِبَالُ ، أَوْ التَّرَاكُمُ مِنْهُ ، وَاحْدَتُهُ كَنَهْوَرَةٌ ،  
وَسَجَّامٌ : صَبَّابٌ ، وَمَتَأَلِّقَةٌ : لَامِعَةٌ ، وَمُنْقَعِمَةٌ : مَصُوتَةٌ .

[٢] سَحَّ : صَبَّ ، سَاجِيًا : سَاكِمًا ، رَاكِدًا : ثَابِتًا ، وَالْفُوقُ : أَنْ يَصْبُ صَبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَصْبُ  
أُخْرَى ثُمَّ يَسْكُنُ مَأْخُوذٌ مِنَ فُوقِ النَّاقَةِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ ، كَأَنَّهُ يَحْلُبُ حَلْبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَحْلُبُ أُخْرَى  
ثُمَّ يَسْكُنُ . [٣] طَحَرَتْ : أَذْهَبَتْ وَأَعْدَتْ ، وَالْهَمَامُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ ، تَكَتْ : تَحَمَّى .

[٤] يَرْزُرُ : يَقُلُ ، وَمِنْهُ قِيلَ : امْرَأَةٌ تَزُورُ : إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةَ الْوَلَدِ .

[٥] الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمَمْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ ، وَوَمِنْهُ الْبَرْقُ كَوَعْدٍ : لَمَعٌ خَفِيفًا ، وَلَمْ أَدِّ فِي كِتَابِ اللَّذَّةِ  
«أَعَسَّ» وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهَا «عَسَسَ السَّحَابُ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ» وَأَسْعَاهَا : عَطَاهَا ، وَفِي الْأَصْلِ «أَسْعَاهَا»

بَادَاءَ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . [٦] ارْتَجَزَ الرَّدَدُ : صَاتَ ، وَارْتَجَزَ السَّحَابُ : تَحَرَّكَ بِطَيْشٍ لِكَثْرَةِ مَائِهِ ،  
رَهْمُهُمُ الرَّدَدُ : إِذَا سَمِعْتَ لَهُ دَوِيَاءَ وَالْهَمِيمَةَ : كُلُّ صَوْتٍ مَعَهُ يَجْجُ ، وَأَرَكْتُ : أَتَى بِالرَّكْ ( بِمِثْلِ الرَّاءِ وَيَكْسَرُ )  
وَهُوَ الْمَطَرُ الْقَلِيلُ أَوْ هُوَ فَوْقَ الدُّثِّ ، وَالدُّثُّ بِالْفَتْحِ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ ، وَالْبَغْشَةُ بِالضَّحْكِ : الْمَعَارَةُ الضَّعِيفَةُ  
وَقَدْ غَشَّتِ السَّمَاءَ كَمَحٍّ ، وَالْعَاشُ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ وَهُوَ فَوْقَ الرَّدَادِ ، طَشَّتِ السَّمَاءَ كَنَصْرٍ وَخُزْبٍ .

فَأَرْكَ وَدَثَّ ، وَبَشَشَ وَطَشَ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ <sup>(١)</sup> فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيَّمَ فَأَنْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأُتْجِمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنِمَ ، فَقَمَسَ الرَّبَا <sup>(٢)</sup> ، وَأَفْرَطَ الزُّبَى ، سَبَعًا تَبَاعًا ، مَا يَرِيدُ انْقِشَاعًا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُزُونُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضَحَّضَتْ الْمُتُونُ ، سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلِبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . ( بولغ الأرب ٣ : ٢٤٩ )

## ٦٨ — ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

، الْأَصْمَى قَالَ : مَرَرْتُ بِغَلْمَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتِمَّا قَالُونَ <sup>(٤)</sup> فِي غَدِيرٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيَكُمُ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا ؟ فَنُفِرْجُوا إِلَيَّ فَقَالُوا : كُلَّنَا ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصَفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدَّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

« عَنْ لَنَا قَارِضٍ قَصْرًا <sup>(٥)</sup> ، تَسْوِقُهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يَحْبُو حَبْوُ الْمُعْتَنِكَ <sup>(٦)</sup> ، حَتَّى إِذَا ازْأَلَامَتْ <sup>(٧)</sup> صَدُورُهُ ، وَاتَّعَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَّعَ هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَوِيرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاؤُهُ <sup>(٨)</sup> ، وَتَلَامَّ خَصَاؤُهُ ، وَارْتَمَجَ

[١] المَطَطَطُ بِالْكَسْرِ : الْمَطَرُ الْمُتَابِعُ الْعَظِيمُ الْقَطَرُ ، وَقَدْ قَطَطَتِ السَّمَاءُ ، وَالذَّيْمَةُ بِالْكَسْرِ : مَطَرٌ يَدُومُ فِي سَكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ ، أَوْ يَدُومُ أَيَّامًا ، وَقَدْ دَيْمَتِ السَّمَاءُ ، أَنْمَطَ : دَامَ وَلَارَمَ ، وَأُتْجِمَتْ السَّمَاءُ : أَسْرَعَ مَطَرُهَا دَامَ ، وَالْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ ، وَقَدْ وَبَلَ السَّمَاءُ كَوَعْدَ : أَمَطَرَتْ ، وَسَجَمَ كَمَدَّ ، سَالَ وَالصَّبَّ . [٢] قَسَ الرِّبَا : كَسَرَ وَضَرَبَ : غَوَّصَهَا ، وَأَفْرَطَهَا : مَلَأَهَا حَتَّى قَاسَتْ ، وَالزِّيُّ جَمْعُ زِيَةٍ كَفَرَسَةٍ ، وَهِيَ الرَّايَةُ لَا يَطْلُوهَا الْمَاءُ ، وَحَفْرَةٌ تَحْفَرُ لِمَيْدِ الْأَسَدِ ( وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا ) سَمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْفَرُونَهَا فِي مَوْضِعٍ طَالٍ .

[٣] الْحُزُونُ جَمْعُ حَزْنٍ كَشَمْسٍ وَهُوَ الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْمُتُونُ جَمْعُ مَتْنٍ كَشَمْسٍ : وَهُوَ مَا صَلَبَ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ ، وَالضَّحَضُضُ وَالضَّحَضُحُ وَالْمُتَضَحَّضُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، وَقِيلَ هُوَ مَا لَا تُحْرِقُ فِيهِ ، وَقِيلَ هُوَ الْمَاءُ إِلَى الْكَمِينِ أَوْ إِلَى أَنْصَافِ السُّوقِ — وَفِي لَفْظَةِ هَذَا الْكَثِيرُ — وَقَدْ تَضَحَّضَ الْمَاءُ ، وَالتَّضَحَّضُضُ أَيْضًا جَرَى السَّرَابُ ، تَضَحَّضَ إِذَا تَفَرَّقَ .

[٤] يَتِمَّا طَوْنُ فِي الْمَاءِ . [٥] عَرَضَ : الْغَرَضُ ، وَالْقَصْرُ : الْمَتْنُ ، وَالصَّبَا رِيحٌ تَهْبُ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِذَا اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . [٦] عَمَكَ الرَّمْلُ كَعَمَرَ : تَعَدَّى وَارْتَفَعَ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ طَرِيقٌ ، وَرَمَلَةٌ طَائِفَةٌ فِيهَا تَعَدَّى لَا يَقْدِرُ الْبَعِيرُ عَلَى الْمَتْنِ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَحْبُو ، وَاعْتَمَكَ الْبَعِيرُ وَاسْتَمَكَ : حَبَا فِي الْمَانِكِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى السَّيْرِ وَقَالَ رُوَّةٌ : أَوْدَيْتُ لِأَنَّهُ لَمْ تَحْبُ حَبْوُ الْمُتَمَكِّ .

[٧] اَزْأَلَامَتْ : ارْتَفَعَتْ ، وَالْخُصُورُ جَمْعُ خَصَرٍ : وَهُوَ وَسْطُ الْإِنْسَانِ ، وَالرَّجِيعُ : تَرْدِيدُ الصَّوْتِ فِي الْحَلْقِ . [٨] النَّشَاؤُ كَكِتَابٍ وَسَحَابٍ : السَّحَابُ الْمُرْفَعُ ، أَوْ الْمُرْتَفِعُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَخُصَاؤُهُ :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابُهُ <sup>(١)</sup> ، وامتدت أطنابُهُ ، تدارك وَذْقُهُ ، وتَأَلَّقَ بَرَقُهُ ، وَحَفَزَتْ تَوَالِيهِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْسَفَحَتْ عَزَائِيهِ ، فغادر التَّرى عَمِداً <sup>(٣)</sup> ، وَالْعَزَازَ تَمِداً ، وَالْحُثَّ غِقْدَاً <sup>(٤)</sup> ، وَالضَّحَاضِحَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .

وقال الآخر : « تَرَاءَتْ الْمَخَايِلُ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْأَقْطَارِ ، تَحْنُ حَزْنِ الْعِشَارِ ، وَتَتَرَامَى بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَوَاسِقُهَا مِتْضَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا مِتْقَازِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مُتَرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ ، فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ بِالْشَّرْقِ ، وَالْوَبْلَ بِالْوَذْقِ ، سَحَّادَرًا كَا <sup>(٧)</sup> ، مِتْتَابِعًا لَكَا كَا ، فَضَحَضَحَتْ الْجَفَاجِفَ <sup>(٨)</sup> ، وَأَنْهَرَتْ الصِّفَافِصَ ، وَحَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَفْلَعَتْ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ، مَوْمُوقَةَ الْخِيَارِ . »

فرجه ، وأصله الفرج بين الأثافي والثقب الصغير وكل خلال أو خرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه ، وارتفع : ارتعد ، وارتقص : تلوى وانتفض ، وارتقص الرمح : اشتد اهتزازُه .

[١] أوفدت : أشرفت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الجباب ، والأطباب جمع طب كسقى وهو حبل طويل يشد به الوتد . [٢] حفزه كضربه : دفعه من خلفه ، والتوالى : الأعجاز والمآخير ، والعرالى بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء : وهى مصب الماء من الراوية ونحوها ، واسفحت : انصبت ، من سفع الدم أراقه . [٣] عمد الترى كفرح : بلله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لدوته ، والعزاز : الأرض الصلبة مكان ثد : ند من التأد بالتحريك وهو الدى . [٤] الحث : الياس الحشن من الرمل ، والعقد ككف وجبل : ما تعقد من الرمل وتراكم ، والضحاضح كجففر والضحضاح : الماء اليسير ، متواصية : متواصلة ، والشعاب جمع شعبة كفرصة : وهى السيل فى الرمل ، وما عظم من سواقي الأودية ، وصدع فى الحبل يأوى إليه المطر . [٥] مخايل جمع مخيلة « بصم الميم وكسر الحاء » والمخيلة والمخيلة « بتشديد الياء المكسورة » السحابة التى تحبسها ماطرة ، والعشار جمع عشاء كفساء : وهى الناقة التى مضى لحملها شجرة أشهر أرنمائية ، أو وهى كالفساء من النساء ، والشهب جمع شهاب ككتاب : وهو شعلة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أى أساسه ، متلاحكة : أى قد اشتدت التماسها ، والمتلاحكة : الناقة الشديدة الخلق ، وبواسقها : أعاليها جمع باسقة ، من بسق : أى طال وارتفع ، ومتضاحكة : أى يضحك فيها برقها ، متقاذفة : أى يقذف بعضها بعضا بالمطر ، وأرجاؤها : أوساطها ، متراصة : متراكمة قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أى صبا متتابعا ، ولراكاكة : تزاوجا من الراكك ككتاب وهو لرحام . [٨] الجفاجف جمع جفجف كجففر : وهى الأرض المرتفعة ليست بالغليظة ، وضحضحتها : جعلت فيها ضحضاح ، والصفاصف جمع صفف كجففر : وهو المستوى من الأرض ، وأنهر الماء : أساله ، والأصلف والصلعاء : ما صلب من الأرض ، والجمع أصالف ، وحوضت جعلت فيها حياضا .

فقال الثالث : والله ما خِلْتَه بلغ مُخْسًا ، فقال : هلمَّ الدرهم أَصِفْه لك ، فقلت : لا ، أو تقول كما قالَا ، قال : لَا بُدَّ لِيَهُمَا <sup>(١)</sup> وَصَفًا ، ولأَوْقِفْنَهُمَا رَصَفًا ، فقلت : هاتِ لله أبوك ، فقال : « بينما الحاضِرُ بين الباس والإِبلاس ، قد غَمَرهم الإِشفاق ، رَهبةً الإِملاق ، وقد جَفَّتْ الأنواء <sup>(٢)</sup> ، ورُفِرَ البلاء ، واستولى القُنُوط على القلوب ، وكثُر الاستغفار من الذنوب ، ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سحابًا مُسْتَجْهِرًا <sup>(٣)</sup> كَنَهْزُورًا مُعْنَوِيكًا مُخْلَوِيكًا ، ثم استقل وأخْزَأَلَّ ، فصار كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ ، وَكَالْأَرْضِ الْمَذْخُوءَةِ <sup>(٤)</sup> فِي لُوحِ الْهَوَاءِ ، فَأَحْسَبَ الشُّهُولَ ، وَأَتَأَقَّ الْهُجُولَ ، وأحيا الرجاء ، وأمات الضَّرَاءَ ، وذلك من فضل رب العالمين . »  
قال : فَلَإِنَّ اللَّهَ الْيَفْعُ صَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ دَرَاهِمًا ، وَكُتِبَتْ كَلَامُهُمْ .  
( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٢ )

## ٦٩ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر صابهم بعد جَذَب فقال :  
« ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلب القنوط ، فأنشأ  
بنوه الجبَّهة <sup>(٥)</sup> قَزَعَةً كَالْفَرَسِ مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ ، فَأَخْزَأَلَّتْ عِنْدَ تَرْجُلِ النَّهَارِ ،

[١] بدء : فاته وغلبه ، والهاصر : ساكن الحضر ، والباس : العذاب والشدة ، والإِبلاس : النعير واليأس ، والاشفاق : الخوف ، والإِملاق : الفاقة . [٢] الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في ساعته من المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحروالبرد إليها . [٣] مستجهرًا : لم أجِدْ هذه الكلمة في كتب اللغة ، وربما كان الأصل : « مستنيرًا » من استنهر الشيء إذا انسج ، والمهلوك : الشديد السواد ، وقد تقدم معنى اعتك واستعتك ، واعتوك أفعول من هذه المادة ، ولم أحده في كتب اللغة . [٤] المبسوطة ، واللوح : الهواء وأحسبها : أرواها ، من أحسب إذا أطعمه وسقاه حتى شبع وروى ، وأتأق : ملأ ، والمحول جمع هجل كشمس : وهو المطنني من الأرض ، واليفع واليافع : الشاب . [٥] الجبَّهة : منزل القمر ، قرعة : قطعة من الحجاب ، والفرض : انترس ، والعين : القبة ، وترجل النهار : ارتفع .

لَا زَمِيمَ السِّرَارِ<sup>(١)</sup> ، حتى إِذَا نَهَضَتْ فِي الأفق طالعةً ، أمر مسخَّرها الجنوبَ  
فَتَنَسَّمَتْ لَهَا ، فانتشرت أَحْضَانُهَا ، وَأُحْمَوِمَت أَرْكَانُهَا ، وَبَسَقَ عَنَانُهَا<sup>(٢)</sup> ،  
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَانْبَعَجَتْ كُلاَهَا ، وَذَمَرَتْ أَخْرَاهَا أُولَاهَا ، ثُمَّ اسْتَطَارَتْ  
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَعَّقَعَت صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ ارْتَمَعَت<sup>(٣)</sup> جَوَانِبُهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ،  
وَذَرَّتْ حَوَالِبُهَا ، فَكَانَتِ الْأَرْضُ طَبَقًا<sup>(٤)</sup> ، سَحَّ فَهَضَبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،  
فَعَلَ الْقِيَعَانِ ، وَضَخَضَحَ الْغَيْطَانِ ، وَجَوَّخَ الْأَضْوَجَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتْرَعَ الشَّرَاجَ ،  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظَلَمِنَا غُفْرَانًا .

( البوغ الأرب ٣ : ٢٥٣ )

## ٧٠ — أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي بن  
صَعَصَعَةَ يصف مطراً فقال :

« نَشَأُ عِنْدَ الْقَصْرِ ، بِنَوَى الْغَفْرِ<sup>(٦)</sup> ، حَبِيًّا عَارِضًا ، ضَاحِكًا وَامِضًا ،  
فَكَلَّا وَلَا<sup>(٧)</sup> ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِيتَ بِهِ أَقْطَارُ الْهَوَاءِ ، وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الإزميم : لبلة من ليالى الحاق - والحاق ممتشة : ثلاث ليال من آخر الشهر ، والسرار :  
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضن كحمل : وهو حاب الشيء وناحيته ، وأحومت : اسودت .  
[٢] بسق : ارتفع ، والعنان : السحاب ، رحاها : وسطها ، وانبعج : انشقت ، والكلية من  
السحاب : أسفله - ومن الزادة رقعة مستديرة تخز عليها تحت العروة ، وذمرت : حضت - والتناصر :  
التحاض على القتال ، عقاتها : بروقها المشبهة للعقائن .

[٣] ارتمن المطر : ثبت وجاد . [٤] غيث طبق : عام واسع يطبق الأرض ، وهصب كغرب :  
مطر . [٥] جَوَّخَ السيل الوادى : إذا كسر جديده واقتلع أحرافه ، وفي الأصل «خوخ» وهو تصحيف  
والأضواج جمع ضوَج كشمس : وهو منعطف الوادى ، والفراج جمع شرج كشمس أيضاً : وهو ميل  
الماء من المرة ( ينتج الماء ) إلى السيل .

[٦] الغفر : العشى ، والغفر : منزل للغمر ، والحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، وألذى  
بعمسه فوق بعض . [٧] قال في اللسان : « والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي  
قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا كلاً ولا ، قال الشاعر : يكون زول القوم فيها كلاً ولا : » ،  
والشجا : ما اعترض في الخلق من نظم ونحوه ، وقد شجى به كرضى .

ثم أطرق<sup>(١)</sup> ، فاكفهر<sup>(٢)</sup> ، وتراكم فأذلهم<sup>(٣)</sup> ، وبسق فازلأم<sup>(٤)</sup> ، ثم حدث به الريح ،  
فخن<sup>(٥)</sup> ، فالبرق مرمج<sup>(٦)</sup> ، والرعد متبوج<sup>(٧)</sup> ، والخرج متبعج<sup>(٨)</sup> ، فأنجم ثلاثا ،  
متحيراً ههنا<sup>(٩)</sup> ، أخلاؤه حاشكة<sup>(١٠)</sup> ، ودفعه متواشكة<sup>(١١)</sup> ، وسوامه متعاركة<sup>(١٢)</sup> ، ثم  
ودع منجماً<sup>(١٣)</sup> ، وأقلع مئتما<sup>(١٤)</sup> ، محمود البلاء<sup>(١٥)</sup> ، مثرع التهاء<sup>(١٦)</sup> ، مشكور النعماء<sup>(١٧)</sup> ،  
بطول<sup>(١٨)</sup> ذي الكبرياء<sup>(١٩)</sup> . ( بروج الأرب ٣ : ٢٥٤ )

## ٧١ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : خرج النعمان في بعض أيامه في عقيب سماء ، فلقى  
أعرابياً على ناقة ، فأمر فأثنى به ، قال : كيف تركت الأرض وراءك ، فقال :  
« فيح رُحاب<sup>(٢٠)</sup> ، منها السهول ومنها الصّعاب ، منشوطة يجبالها ، حاملة  
لأثقالها » ، قال إنما سألتك عن السماء ! قال :  
« مُطلة<sup>(٢١)</sup> مستقلة<sup>(٢٢)</sup> ، على غير سِقاب ولا أطناب ، يختلف عصراها ،  
ويتعاقب سراجها ، قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : فسَلْ ما بدا لك ، قال :  
هل صابَ الأرض غيثٌ ؟ قال :  
« نعم : أنعمت<sup>(٢٣)</sup> السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً<sup>(٢٤)</sup> ، فثرت وأرزغت<sup>(٢٥)</sup> ،

[١] هو من أطرقت الإبل : تبع بعضها بعضاً ، وادلهم : اسود .

[٢] التبوّج : الصياح ، والخرج : السحاب أول ما ينشأ ، متبعج : متندق .

[٣] الهثاث : السريح ، حاشكة : كثيرة الماء ، متواشكة : يسارع بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الراعية .

[٤] أحمر المطر وغيره : أقلع ، ومنها : أي سائراً نحو تهامة ، والتهاء جمع نهى بالكسر والفتح وهو الددير .

[٥] أي بفعله وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء : واسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من نشط الحبل كنصر عقده

(وأشطه : حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والسقاب جمع سقب كشمس : وهو عمود الخباء ،

والعصران : اللين والهاد ، وسراجها : الشمس والقمر . [٨] أي دامت ولارمت ، والرهو : السكون

والثرة من العبون : الغزيرة كالثرارة ، وقد ثرت هي ، والرزغة بالتحريك : الوحل ، وأرذغ المطر الأرض

بها ولم تسبل ، ورسم الحار : كثر وثرى الأرض حتى تبلد يد الحافر عنه إلى ارسافه .

وَرَسَّغَتْ ، ثم خرجتُ من أرض قومي أقرؤها <sup>(١)</sup> ، فإذا هي مُتَوَاصِيَةٌ ،  
لا خَطِيطَةَ بينها ، حتى هبطتُ بِعِشَارٍ ، فتداعى السحابُ من الأقطار ، فجاءنا  
بالسيل الحرَّار ، فعفا <sup>(٢)</sup> الآثار ، وملاً الجِفَارَ ، وقوَّراً على الأشجار ، فأجحَرَ  
الحُضَارَ ، ومنع الشفَّار ، ثم أفلعَ عن نفع وإضرار ، فلما اتلَّأَّت <sup>(٣)</sup> لى القِيَعَانِ ،  
ووضَّحت السَّيْلُ فى الغِيْطَانِ ، وفات العَنَانُ ، من أقطار الأعنان ، فلم أجد  
وَزَرًا إلا الغيران ، ففات وِجار الضبُع ، فنادتُ السهول كالبحار ، تتلاطم  
بالتَّيَّار ، والحُزُونُ متلفعةً بالغمَاءِ <sup>(٤)</sup> ، والوحوشَ مقذوفةً على الأرجاء ، فزالَت  
أطأ السماء ، وأخوض الماء ، حتى وَطِئْتُ أرضكم . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٧ )

## ٧٢ — أعرابى يصف مطرا

عن أبى عبيدة قال : وقف أعرابى على قوم من الحاجِّ فتال :  
« يا قومي بدا شأنى ، والذى أَلْفَجَنى <sup>(٥)</sup> إلى مسألتكم ، إن الغيث كَانَ قد  
قَوَّى عَنَّا ، ثم تَكَرَّفَا السحابُ ، وَشَصَا الرَّبَابُ ، وَأَذْلَهْمَ سَيْقَهُ <sup>(٦)</sup> ، فارتجس  
رَيْقَهُ ، وقلنا : هذا عامٌ بِاِكْرِ الوَسْمَى <sup>(٧)</sup> ، محمود السَّمَى ، ثم هَبَّتْ له الشَّمالُ ،  
فَأَحْزَلَّتْ طَخَارِيرُهُ <sup>(٨)</sup> ، وتَقَزَّعَ كِرْفَتُهُ متباشراً ، ثم تتابع لَمَعَانُ البرق ، حيث

- [١] أتبعها ، والخطيطة : الأرض لم تَطُرَ بين ممطورتين ، أو التى مطر بمفها ، وعشار : موضع .  
[٢] سخاها وطمسها ، والجفار جمع جفر كشمس : البثر التى لم تَطُوْ ، وقورها : قطع من وسطها خرقة  
مستديرا ، وأجر ، من أجزر الضب : أى أدخله فى حجرة ، والحضار جمع حاضر وهو المقيم فى الحضر ،  
والسفار جمع سافر وهو المسافر لافعل له . [٣] استقامت ، والعنان : السحاب ، والأعنان من السماء :  
نواحيها ، ولوزر الملجأ ، والغيران جمع غار : وهو الكهف فى الجبل ، والوحار بالكسر والفتح : جحر  
الضبغ وغيرها . [٤] الغناء : البالى من ورق الشجر المخالط لزبد السيل .  
[٥] ألجأى ، وقوى المطر : احتبس ، وتكرفاً : تراكم ، وشصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض .  
[٦] أذلهم : أسود ، والسبق : السحاب لأماء فيه ، والرقيق : تردد الماء على وجه الأرض .  
[٧] الوسمى : مطر الريح الأول ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، والسمى جمع سماء : وهو المطر  
أو المطرة الجيدة . [٨] الطخارير جمع طخور كعصفور بالحاء والحاء : اللطخ من السحاب ، والكرفى :  
السحاب المرتفع المتراكم ، وتقزَّع : تفرَّق وانفثع ، وشام البرق : نظر إليه أين يقصد .



تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارَ ، وَتَجْدُهُ النَّظَارَ ، وَمَرَّتِ <sup>(١)</sup> الْجَنُوبُ مَاءَهُ ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ زُرْتَمَيْنِ  
نَحْوَهُ ، فَسَرَّحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَخِيًّا وَخِيًّا ، فَأَسَافَ الْمَالَ ، وَأَضْفَ الْحَالَ ، فَحَرِمَ  
اللَّهُ امْرَأً جَادَ بِمَيِّرَ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرَ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٨ )

### ٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابيا من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في  
أرضٍ عَجْفَاءَ <sup>(٢)</sup> ، وزمانٍ أَعْجَفَ ، وشجرٍ أَعْصَمَ ، في قَفٍّ غَلِيظٍ ، فبينما نحن  
كذلك ، إِذَا نَشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ غَيْثًا مُسْتَكِفًا <sup>(٣)</sup> نَشْوُهُ ، مُسَبِّلَةً عَزَائِهِ ،  
ضِيخًا مَافْطَرُهُ ، جَوْدًا صَوَّبَهُ زَاكِيًّا ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقًا لَنَا ، فَعَيْشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،  
وَوَصَلَ بِهِ طَرْقَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنَوْطَةٌ <sup>(٤)</sup> بَعِيدَةُ الْأَرْجَاءِ ، فَاهْرَمَعَ مَطَرُهَا ،  
حَتَّى رَأَيْنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَضَهَوَاتِ الطَّلَحِ <sup>(٥)</sup> ، وَضَرَبَ السَّيْلُ  
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَرَزَعَبَهَا ، فَمَا لَبَيْتُنَا إِلَّا عَشْرًا ، حَتَّى رَأَيْتَهَا رَوْضَةً تَنْدَى .  
( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٩ )

[١] هو من مَرَى الناقة كرمى : مسح ضرعها لتدر ، زُرْتَمَيْنِ : ماضين مرتحين إليه ، وأساف المال :  
أهلكه ، والسواف كجبان وشجاع : الموت في الناس والمال ، ساف سوا أي هلك ، وأسافه الله ، ويقال  
أيضا أساف الرجل : وقع في ماله السواف أي الموت ، وأضف من الضف كسبب وهو الضيق والفتنة ،  
أصاهم من العيش صفف أي شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأصله من العجف بالتحريك وهو المزال ، وأعصم : يابس ، وأصله من العسم  
بالتحريك وهو يابس في مفصل الرسغ تعرج منه اليد والقدم ، والقف : ما غلظ من الأرض وارتفع ، لم  
يلعب أن يكون جبلا ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكفا : مستديرا كالسكة ، ( والسكة  
بالكسر ويضم كل مستدير ) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلح ( والطلح :  
شجر عظام ) والموضع المرتفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأسرع .  
[٥] الضهوة : بركة الماء ، والجاف جمع نجف بالتحريك وبهاء : مكان لا يعلوه الماء ، أو هي أرض  
مستدرة مشرفة على ما حولها ، وزعها : ملأها .

## ٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سَمَاءٌ في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سَحَاءٌ طَحْنَاءٌ وَطَفَاءٌ <sup>(١)</sup> ، كأن هَوَادِيهَا الدَّلَاءُ ، مُرْجَحِنَةٌ النَوَاحِي ، مَوْصُولَةٌ بِالْأَكَامِ ، تَكَادُ تَمَسُّ هَامَ الرِّجَالِ ، كَثِيرٌ زَجَلُهَا <sup>(٢)</sup> ، قَاصِفٌ رَعْدُهَا ، خَاطِفٌ <sup>(٣)</sup> بَرَقُهَا ، حَثِيثٌ وَدَقُّهَا ، بَطِيءٌ ، سِيرُهَا ، مُتَمَنِّجٌ قَطَرُهَا ، مُظْلِمٌ نَوُوءُهَا ، قَدِ لَجِئْتُ الْوَحْشَ إِلَى أَوْطَانِهَا ، تَبَحُّثٌ عَنْ أَصُولِهَا بِأَظْلَافِهَا ، مُتَجَمِّعَةٌ بَعْدَ شَتَاتِهَا ، فَلَوْلَا اعْتَصَامُنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعِضَاهِ الشَّجَرِ ، وَتَعَلُّقُنَا بِقُنَنِ الْجِبَالِ ، لَكُنَّا جَفَاءً <sup>(٤)</sup> فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ ، وَلَقَمَ الطَّرِيقَ ، فَأَطَالَ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بَقَاءُكَ ، وَنَسَأَلَهُمَا فِي أَجَلِكَ بِرِكَتِكَ ، وَعَادَ اللَّهُ بِكَ عَلَى رِعِيَّتِكَ ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .  
فقال سليمان : « لَعَمْرُ أَيْيِكَ لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت مُحِبَّةً لقد أجدت » ، قال : بل مُحِبَّةٌ مَهْدُورَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : « يا غلام أعطِهِ ، فوالله لَصِدْقُهُ عَجَبٌ إِلَيْنَا مِنْ صِفَتِهِ » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

## ٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كَانَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي خِيَابَتِهِ ، وَابْنَةٌ لَهُ بِالْفِئَاءِ <sup>(٥)</sup> ، إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فَقَالَ : مَا تَرَيْنِ يَا بُدَيَّةُ ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا حَوَاءً قَرَحَاءً <sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّهَا أَقْرَابُ

[١] سحابة وطماء : مسترخية لكثرة ماؤها ، أو هي الدائمة السح الحبيثة ، هَوَادِيهَا : أوائلها ومقادماها ، مَرْجَحِنَةٌ : ثقيلة مهتزة . [٢] ازجل : الجلبة ورفع الصوت ، مُتَمَنِّجٌ : سائل منصرف ، وَلَجَأُ إِلَيْهِ كَنَعٌ وفرح ، وَأَظْلَافٌ جمع ظلف بالكسر وهو للبصرة والشاة والطبي وشبهها كالقدم لها ، وَالْفَنُّ جمع فنة ، وهي فة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سقطت من الأصل في الطبع . [٤] الجماء : الزبد ، وَاقِمُ الطَّرِيقِ : معظمه أو وسطه ، سَوَى الْأَشْجَلِ : « انعم » وهو تحريف .

[٥] الفئاء : ما اتسع أمام الدار . [٦] حواء : وصف من الحوة بالضم وهي حمرة الى السواد ،

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثُمَّ سَمِعَ رَاعِدَةً أُخْرَى فَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا جَمَّةَ  
التَّرَجَافِ<sup>(١)</sup> ، مَتَسَاقِطَةً الْأُكْنَافَ ، تَتَأَلَّقُ بِالْبَرْقِ الْوَلَّافِ ، قَالَ : هَلُمِّي الْمَغْرَفَةَ ،  
إِنِّي<sup>(٢)</sup> نُوَيَّاكَ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥١ )

## ٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كَانَ أَعْرَابِي ضَرِيرٌ تَقْوَدُهُ ابْنَتُهُ ، وَهِيَ تَرَعِي غُنَيْمَاتِهَا ،  
فَرَأَتْ سَحَابًا فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ، قَالَتْ :  
كَأَنَّهَا فَرَسٌ دَهْمَاءٌ<sup>(٣)</sup> تَجَرَّجِلَاهَا ، قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ :  
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا عَيْنٌ جَلَّ طَرِيفُ<sup>(٤)</sup> ،  
قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ  
تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : سَطِطَحَتْ وَابْيَضَّتْ ، قَالَ : أَدْخِلِي غُنَيْمَاتِكَ ، قَالَ : لَجَاءَتْ السَّمَاءُ  
بَشْيءٍ شَطْأً<sup>(٥)</sup> لَهُ الزَّرْعُ وَأَيْنَعُ ، وَخَضِرَ وَنَضِرُ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٦٠ )

## ٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدها فقال :

« خَلَعَ شَيْخُهَا ، وَأَبْقَلَ رَمِثُهَا ، وَخَضَبَ عَرَفَجُهَا<sup>(٦)</sup> ، وَأَتَسَّقَ نَبْثُهَا ،  
وَاخْضَرَّتْ قُرْبَانُهَا ، وَأَخْوَصَتْ بُطْنَانُهَا<sup>(٧)</sup> ، وَأَحْلَسَتْ أَكْمَامُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرحة بالغم : في وجه الفرس دون المرأة ، والوصف منه أقرح وقرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل  
وعنق : وهو الخاصرة ، والفرجة بالغم : يبايض فيه ككرة ، حمار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثيرة الاضطراب ، الولاف : المتتابع ، من ولف البرق كوعد ولفاً وولافاً بالكسر : تتابع .

[٢] النوى : الحفير حول الحباء يمنع السيل ، وانثأيته صمته .

[٣] سوداء ، والجلال جمع جل بالغم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به .

[٤] الجلل ينتقل من مرعى إلى مرعى . [٥] شطأ الزرع : أخرج شطأه ، أى فراخه .

[٦] خلع الشيع : أورق ( والخالغ من الغضاء : الذى لا يسقط ورقه أبداً ، والغضاء ككتاب : كل شجر

له شوك ) والرمث : مرعى للإبل ، وشجر يشبه الغضا ، والرفج : شجر سهلي ، وخضب الشجر كضرب

وسمع وعى : اخضر . [٧] القربان : مجارى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كغنى ، وأخوس

نَبَتْ جَرَائِمَهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَجَرَتْ بَقْلَتَهَا وَذَرَقَتَهَا وَخُبَّازَتَهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرُ  
إِبِلِهَا ، وَشَكَرَتْ حَلُوبَتُهَا ، وَسَمِنَتْ قَتُوبَتَهَا<sup>(٣)</sup> ، وَعَمِدَتْ تَنَاهِيَهَا ،  
وَأَمَاهَتْ ثَمَارَهَا ، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَارَتِهَا<sup>(٤)</sup> . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

## ٧٨ — رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو المجيب : وصف رائدُ أرضاً جذبة فقال :

« أَغْبَرَتْ جَادَتُهَا<sup>(٥)</sup> ، وَذَرَعَ مَرْتَعَهَا ، وَقَضِمَ شَجَرُهَا ، وَزَقَّتْ كَرِشَهَا ،  
وَخَوَّرَ عَظْمَهَا ، وَالتَقَى سَرْحَاهَا<sup>(٦)</sup> ، وَتَمَيَّزَ<sup>(٧)</sup> أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،  
وَأَمَوَالُهُمُ الْهَزْلُ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

العرفج : نفطر بورك ، وأخوصت النخلة : أخرجت الحوص ، والبطنان جمع باطن وهو العارض من الأرض  
أى العاشق منها . [١] أحلس البت : غطى الأرض بكثرة ، وأحلس الأرض فهى محلاة : صار  
البات عليها كالحلس كثرة — الحلس كحل كساء على ظهر البعير — والجرائم جمع حرثومة بالضم ، وجرثومة  
الشيء : أصله ، واعتم : أى كأه لبس عمامة . [٢] أجرت البقلة : صارت لها حراء — وحراء ككتاب  
جمع حروو بالثلاث وهو صغير كل شيء — والذرة واحدة الدرق وهو نبات مثل السكرات الجبلى الدقاق فى  
رأسه حب حلو يؤكل رطباً تحبه الرطاة يأتون به أهلهم ، والحبارة والحبازى : النبات المعروف .

[٣] أحورت : أبيضت وذلك من الشد على خواصرها لئلا تحبط ( والحبط بالتحريك : انفاخ بطنها من  
مرعى ترعاه ) والحلوة : المحلوبة ، وشكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، والدابة : سميت ، والقنوبة : الابل  
التي تقتنها ( وأقنت الناقة : شد عليها الفتب ( بالتحريك ) وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير ) .

[٤] عمد الثرى : بله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لدوته ، والتناهى جمع تنهى : وحى مستقر السيل  
حيث ينتهى الماء من الوادى ، وعقدت تناهيها : أن يمر السيل مقبلاً حتى إذا انتهى مشتهاء دار بالأبطح  
حتى يلتقى طرفا السيل ، وأمَاهَتْ ثَمَارَهَا : أى كثر ماؤها ، والصائرة : المطر والكلأ .

[٥] الجادة : الطريق إلى الماء ، وذرع المرتع : بعد عن الماء ، وقضم شجرها : تكسر ، يقال :  
سيف قضم كفرح : أى طال عليه الدهر فتكسر حده ، وقضم السن : انصدع وتثلج ، وإذا لم يكن للجمال  
مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . [٦] يعنى أنه إذا أكل كل سارح ما يليه ، التقيا عند الماء .

[٧] نفرّثوا فى طلب الكلأ ، والرهل : الفزع ، والهرل : موت مواشى الرجل .

## ٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طيء قال :  
« بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَعَاشِيْبٌ <sup>(١)</sup> ، وَكَمَاءٌ <sup>(٢)</sup>  
مُتَفَرِّقَةٌ شَيْبٌ <sup>(٣)</sup> ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ <sup>(٤)</sup> » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا  
كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ نَّادٌ مَّادٌ ، مَوْلى <sup>(٥)</sup>  
وَعَهْدٌ ، مَتْدَارُكَ جَعْدٌ <sup>(٦)</sup> ، كَأَنفَازِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ <sup>(٧)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )

## ٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا ،  
وَمَاءً غَيْلًا <sup>(١)</sup> ، يَسِيلُ سَيْلًا ، وَخُوصُهُ تَمِيلُ مَيْلًا ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا » ، وقال  
الثاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً عَلَى دَيْعَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ ، وَكَلًّا تَشْبَعُ مِنْهُ النَّابُ  
قَبْلَ الْفَطِيمَةِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )



وروى هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :

« خطب هند بنته الخُصَّ الإيادية ثلاثة نَفَرٍ من قومها ، وارتَضَتْ أنسابهم

[١] العشب : الكلأ الرطب ، والتعاشيب : القطع المتفرقة منه . [٢] اليب جمع ناب : وهو  
الناقة المسنة . [٣] جاء في اللسان : « قال الأصمعي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موضعاً أى اطلب  
فقال رائدكم : وجدت مكاناً ثدياً مثداً ( بفتح فكسر ) وقال زيد بن كثوة : بثوا رائداً فجاء وقال : عشب  
نَادٌ مَادٌ ( بفتح فسكون ) كأنه أسوق بني سعد » وثبت النبات كفرح : ندى فهو نَدٌّ ، ومَادٌ كنع اعتدَّ  
وتروى وجرى فيه الماء وتنم ولان ، والمَاد : الناعم من كل شيء ، والمولى : الذى أصابه الولي  
( والمولى : المطر الذى يأتى بعد المطر ) ، والمهد : أول مطر الوسمي ( والوسمي : أول مطر الربيع ) .

[٤] من قولهم : زيد جعد : أى متراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .

[٥] أى أن العشب قد طال وتم ، والنيب تشبع منه وهى تعد ، لأنها تتناوله وهى قائمة لا تبرح مكانها  
ولا تطأ طي رأسها . [٦] الفيل : الماء الذى يمر بين العجر

وَجَاهِلِهِمْ ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَسْبُرَ عَقُولَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْتَادُوا لِي مَرْعًى ، فَلَمَّا أَتَوْهَا قَالَتْ لِأَحَدِهِمْ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بَقْلًا وَبُقَيْلًا ، وَمَاءً غَدَقًا <sup>(١)</sup> سَيْلًا ، يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ أَيْلًا ، قَالَتْ : أَمْرَعْتَ <sup>(٢)</sup> ، قَالَ الْآخَرُ : رَأَيْتُ دِيْمَةً بَعْدَ دِيْمَةٍ ، عَلَى عَهَادٍ غَيْرِ قَدِيْمَةٍ ، فَالْنَابُ تَشْبَعُ قَبْلَ الْفَطِيْمَةِ ، قَالَ الْثَالِثُ : رَأَيْتُ غَيْثًا ثَعْدًا مَعْدًا <sup>(٣)</sup> ، مُتْرَاكًا جَعْدًا ، كَأَنْخَاذِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ ثَعْدٌ » . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦ )

## ٨١ أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ ، مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَسَدِيٌّ ، قُلْتُ : وَمِنْ أَيِّهِمْ ؟ قَالَ : نَهْدِيٌّ ، قُلْتُ : مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ ؟ قَالَ : مِنْ عُمَّانَ ، قُلْتُ : فَأَنْتَى لَكَ هَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : « إِنَّا سَكَنَّا قُطْرًا لَا نَسْمَعُ فِيهِ نَاجِيَةَ الْتِيَّارِ <sup>(٤)</sup> » ، قُلْتُ : صِفْ لِي أَرْضَكَ ، قَالَ : « سَيْفٌ أَفِيحٌ ، وَفَضَاءٌ ضَخْمَصَحٌ ، وَجَبَلٌ صَرْدَحٌ ، وَرَمْلٌ أَصْبَحٌ <sup>(٥)</sup> » ، قُلْتُ : فَمَا مَالُكَ ؟ قَالَ : النَّخْلُ ، قُلْتُ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَ : « إِنَّ النَّخْلَ تَحْمِلُهَا غِذَاءٌ ، وَسَعَفُهَا <sup>(٦)</sup> ضِيَاءٌ ، وَجَذْعُهَا بِنَاءٌ ، وَكَرْبُهَا صَلَاءٌ ، وَلِيْفُهَا رِشَاءٌ ، وَخَوْصُهَا وِعَاءٌ ، وَقَرَوُهَا إِنْاءٌ » . ( ذيل الأمل ص ١٧ )

[١] الغدق : الماء الكثير . [٢] أمرعته : أصابه مريعاً تكتصيب وزناً ومعنى .

[٣] الغيث : المطر والكلاء ، وقيل : الأصل المطر ثم سمي ما يبت به غيثاً ، والمراد هنا الثاني ، وبقل

ثعد معد : غرض رطب رخص .

[٤] الناجخة : الصوت ، والتيار : الموج . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل الوادي ، أو

لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفيح : واسع ، والصمصح : ما استوى من

الأرض ، والصدوح : الصلب ، والأصيح : الذي يملو بياضه حمرة . [٦] السعف : جريد النخل أو

ورقه ، والسكر : أصول السعف الغلاط العراض ، والرشاء : الحبل ، والقرو : أسفل النخلة يقر

فيثبت فيه — أي يتخذ فيه النبيذ —

## ٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلداً فقال: « بلد كالأثرس، ماتمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمرّ فيه السفّر إلا بأدلّ دليل » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال أعرابي : « مررت ببلد ألقى به الصيّف <sup>(١)</sup> بقاعه ، فأظهر غديراً يقصّر الطرف عن أرجائه ، وقد نقتّ الريح القذى عن مأثّه ، فكأنه سلاسل دزنج ذات فُصول <sup>(٢)</sup> » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال : « مُهر ليلة ، وأديم <sup>(٣)</sup> يوم » . وقال آخر : « سواد ليلة ، أو بياض يوم » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥١ والعقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقال آخر : « إن المسافر ومتاعه لعلّى قلت <sup>(٤)</sup> إلا ما وقى الله » .

( العقد الفريد ٢ : ٥٢ )

## ٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي ف قيل له : ما أشد البرد ؟ قال : « ريح جرّ ياء ، في طلّ عماء ،

غيبّ سما <sup>(٥)</sup> » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

## ٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال :

« إنها لعظامُ الحنّاجر ، سباطُ المشافر ، كُومٌ بهازر <sup>(٦)</sup> ، نُكدٌ خنّاجر <sup>(٧)</sup> ،

[١] السيف كسيد ويخفف : المطر يحى . في الصيف أو بعد الربيع كالصبيّ .

[٢] جمع فضل : وهو الزيادة . [٣] أديم الهاز : طامته أو بياضه . [٤] قلت : الهلاك .

[٥] الجرّ ياء : ريح الشمال الناردة ، أو الرمح بين الجنوب والعباء ، والعماء : السحاب المرتفع ، أو

الكثيف ، أو المطر ، و غيبّ سما : أى عقب مطر . [٦] الحنجرة والحنجور كهمفور : الحلقة ،

وجمه حناجر ، والمشافر جمع مشفر ككثير : وهو لبعير كالشفة للإنسان ، والكوم : العظام الأسنة جمع أكوام

وكوماء ، والبهازر جمع بهزرة : كبندقة ، وهى العطية من البوق .

[٧] الكد : الفزيرات اللبن من الإبل ( والى لا لبن لها أيضا ضد ) ، والحناجر : الفزيرات اللبن

أَجَوَافُهَا رِغَابٌ<sup>(١)</sup> ، وَأَعْطَانِهَا رِحَابٌ<sup>(٢)</sup> ، تُنْتَعَمُ مِنَ الْبُهِمِّ<sup>(٣)</sup> ، وَتُبْذَلُ لِلْجُمَمِ<sup>(٤)</sup> .  
(الأمالي ١ : ٥٢)

### ٨٥ — أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إِذَا اكْحَأَتْ عَيْنُهَا ، وَأَلَّتْ<sup>(٣)</sup> أُذُنُهَا ،  
وَسَجَّحَ<sup>(٤)</sup> خَدَّهَا ، وَهَدَلِ<sup>(٥)</sup> مِشْفَرَهَا ، وَاسْتَدَارَتْ مُجْجُمَتَهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ » .  
(الأمالي ١ : ٢١٧)

### ٨٦ — أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خَرَجْتَ عَلَيْنَا خَيْلٌ مُسْتَطِيرَةٌ  
النَّقْعُ<sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّ هَوَادِيَهَا<sup>(٧)</sup> أَعْلَامٌ ، وَأَآذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وَفُرْسَانُهَا أُسُودُ  
آجَامٍ » .

### ٨٧ — أعرابي يصف خيلا

وذكر أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أَتَحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،  
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَشْهَلْتُ حَزَنَهُ » . (العقد الفريد ٢ : ٩٥)

### ٨٨ — أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ  
الْخَصَائِلِ<sup>(٨)</sup> ، ظِمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَبَاجِلِ<sup>(٩)</sup> ، قُبُّ الْأَيَاطِلِ ، كِرَامُ  
النَّوَاجِلِ<sup>(١٠)</sup> » . (الأمالي ١ : ٥٢)

جمع خنجر كجعفر وبهاء وخنجورة بالضم . [١] رِغَابٌ : واسعة ، وأعطانها : باركها عند الماء جمع  
عطن كسبب . [٢] البهم جمع بهمة كفرصة : وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى ، من شدة  
بأسه ، والجم جمع جمة كقبة ، وهم القوم يسألون في الديات .

[٣] أَلَّتْ البعير : نصب أذنيه وحددهما . [٤] سَجَّحَ : سهل وحسن . [٥] هَدَلِ : استرخى .  
[٦] النِّقْعُ : الغبار . [٧] هَوَادِيهَا : أوائلها . [٨] الخصائل جمع خصيلة : وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو  
مجمتعة ، وقيل : هي ما أنماز من لحم المحنن بعضه من بعض ، وسباط جمع سبط ، ككتف وشمس ، رجل  
سبط الجسم إذا كان حسن القدر والاستواء ، وظماء : ضمير . [٩] الأباجل جمع أبجل : وهو عرق  
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أنها شداد القوائم . [١٠] الأياطل جمع أيطل : وهو الخاصرة ،



## ٨٩ — أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى ضُمُوره ، وَذَبُلَ قَرِيرُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وظهر حَصِيرُهُ <sup>(٢)</sup> ، وتفلقت غُرُوره <sup>(٣)</sup> ، واسترخت شاكِلَتُهُ <sup>(٤)</sup> ، يُقبل بزور  
الأسد ، وَيُذبر بِمَجْزِ الذئب » . ( البيان والنبين ٣ : ٢٣٣ ، والأمل ٢ : ٢٥٦ )

## ٩٠ — أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ <sup>(٥)</sup> تقديرُ حَلَقَتِهِ ، وَدَوَّرَ كَرْسِي فِضْتِهِ ،  
وَأَحْكَمَ تَرْكِيبَهُ ، وَأَتَقَنَ تَدْيِيرَهُ ، فَبِهِ يَتِمُّ الْمُلْكُ ، وَيَنْفُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ،  
وَيَشْرُفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » . ( المقد الفريد ٢ : ٩٧ )

## ٩١ — أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « مَا أَطْيَبُ الطَّعَامُ ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ  
سَنِمَةٌ <sup>(٦)</sup> ، مُعْتَبَطَةٌ غَيْرُ ضَمِنَةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذِمَةٍ <sup>(٧)</sup> ، بِشِفَارٍ خَدِمَةٍ <sup>(٨)</sup> ، فِي غَدَاةٍ  
شَبِيمَةٍ <sup>(٩)</sup> » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَطْيَيْتَ <sup>(١٠)</sup> .  
( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

---

قَبَّ جمع أَقْب ، وصف من القَب كسبب وهو دقة الحصر وضوم البطن ، والواحد جمع ناجلة ، من  
نجلته : أى ولدته . [١] الفرير : موضع المجسة من معرفة الفرس .  
[٢] الحَصِير : عرق يمتدّ معترضاً على جنب الدابة إلى ناحية بطنها ، أو لمة كذلك .  
[٣] الفُرُور : الفضون التي في جلده ، واحداً غُرّاً بالفتح . [٤] الشاكلة من الفرس : الجلد بين  
عرض الحاصرة والثفنة — والثفنة كفرحة : الركبة — . [٥] رَقَّ .  
[٦] البكرة : الفتية من الإبل ، والسمنة : العظيمة السنام ، وفعلها كفرح ، عبط الذبيحة كفرح  
واعبطها : نحرها من غير علة وهي سمينة فتية ، والضمنة : الزمنة والمبتلاة في حسدها من الرحمة كفرصة  
وهي المرض . [٧] رذمت القصعة كفرح فهي رذمة وردوم كصبور : ابتلأت وتصبت جوانبها .  
[٨] شِفَار جمع شفرة « بالفتح » : وهي السكين العظيم ، وخذمه كفربه : قطعه ، وسيف خذم  
ككتف وصبور وعظم : قاطع . [٩] الغداة : البكرة « بالضم » أو ما بين صلاة الفجر وطلوع  
الشمس ، وشبمة : باردة ، وفعلها كفرح . [١٠] أطاب الشيء وأطيبه : وجده طيباً .

## ٩٢ — أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوَيْقَ<sup>(١)</sup> بِحَضْرَةِ أَعْرَابِي ، فَقَالَ : « لَا تَعْبِهِ ، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْعَجَلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ<sup>(٢)</sup> الْمَرِيضِ ، وَيَسْرُو<sup>(٣)</sup> فَوَادَ الْحَزِينِ ، وَيَرُدُّ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ<sup>(٤)</sup> ، وَجَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ ، وَقَفَّارُهُ<sup>(٥)</sup> يَجْلُو الْبَاقِعَ ، وَمَلْتَوْتُهُ يُصَفِّي الدَّمَّ ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ شَرَابًا ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ طَعَامًا ، وَإِنْ شَتَّتَ فَتَرِيدًا ، وَإِنْ شَتَّتَ فَخَبِيصًا<sup>(٦)</sup> » . ( الأملال ٢ : ١٩٧ )

## ٩٣ — أعرابي يصف الجمال

وَقِيلَ لِأَعْرَابِي مَا الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « طُولُ الْقَامَةِ ، وَضَخَمُ<sup>(٧)</sup> الْهَامَةِ ، وَرُحْبُ<sup>(٨)</sup> الشَّدَقِ ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ » ، وَسُئِلَ آخَرُ : مَا الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « غُمُورُ الْعَيْنَيْنِ ، وَإِشْرَافُ الْحَاجِبَيْنِ ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ » ( البيان والتبيين ١ : ٦٧ )

## ٩٤ — أبو المخش يصف ابنه

وَسَأَلَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبَا الْمَخَشِّ عَنْ ابْنِهِ الْمَخَشِّ<sup>(٩)</sup> — وَكَانَ جَزَعٌ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا — قَالَ : صَفِّ لِي الْمَخَشَّ ، فَقَالَ : « كَانَ أَشَدَّ خُرْطُمَانِيَا<sup>(١٠)</sup> ، سَائِلًا لَهَا بَهْ ، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قَلَمَتَيْنِ<sup>(١١)</sup> ، كَانَ تَرْقُوتُهُ بُوَانًا ، أَوْ خَالِفَةً ،

[١] السويق : ما يعمل من الحنطة والشعير . [٢] ما يبلغ به . [٣] يسرو : يكشف ما عليه .  
[٤] المحدود : الذي قد حدث أى قد ضرب الحد . [٥] القفار : الذي لم يلبث بشيء من آدم ،  
لازيت ولا سمن ولا لبن . يقال طامم قمار . [٦] الحبيص : بقى الدقيق يخلط بالمسل .  
[٧] ضخم ككرم ضخماً وضخامة فهو ضخيم . [٨] رحب ككرم وسمع رحباً بالقسم ورحابة فهو  
رحب بالفتح . [٩] المخش في الأصل : الجريء على العمل في الليل .  
[١٠] أشدق : واسع الشدقين ، خرطمانياً : طويلًا . [١١] العلت : الثقرة في الجبل .

كَأَنَّ مَنَكِبَهُ كِرْكِرَةٌ جَلِيَّةٌ ثَقَالٌ <sup>(١)</sup> ، فَقَا اللَّهُ عَيْنِي إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أُرْ

بَعْدَهُ مِثْلَهُ . (البیان والبيان ١ : ٦٧)

## ٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بِحَمَى الرَّبْدَةِ : أَلَاكَ بَثُونٌ ؟  
قال : نعم ، وَخَالِقِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مَثَلِهِمْ مُنْجِبَةٌ <sup>(٢)</sup> ، فَقُلْتُ : صِفْهُمْ لِي ، فَقَالَ :  
« جَهْمٌ ! وَمَا جَهْمٌ ؟ يُنْضَى الْوَهْمُ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمُ <sup>(٣)</sup> ، وَيَقْرِي الصَّفُوفُ ،  
وَيُعْلُ السُّيُوفُ <sup>(٤)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « غَشْمَشَمٌ ! وَمَا غَشْمَشَمٌ ؟ مَالُهُ  
مُقَسَّمٌ ، وَقِرْنُهُ مُجْرَجَمٌ <sup>(٥)</sup> ، جِذْلُ حِكَاكِ <sup>(٦)</sup> ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ <sup>(٧)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ  
مَنْ ؟ قَالَ : « عَشْرَبٌ ! وَمَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْثٌ مُحَرَّبٌ ، وَسِمَامٌ مُقَشَّبٌ <sup>(٨)</sup> ، ذِكْرُهُ  
بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ حَاثِرٌ ، وَفِنَاؤُهُ رُحَابٌ <sup>(٩)</sup> ، وَدَاعِيهِ مُجَابٌ » ، قُلْتُ : صِفْ لِي  
نَفْسَكَ ، فَقَالَ : « لَيْثٌ أَبُو رِيَابِلٍ <sup>(١٠)</sup> ، رَكَّابٌ مَعَاصِلٌ ، عَسَافٌ <sup>(١١)</sup> بَجَاهِلٍ ،  
سَحَالٌ أَعْبَاءٌ ، نَهَاضٌ يَبْزُلَاءُ <sup>(١٢)</sup> » . (الأمل ١ : ٥٣)

[١] البوان : عمود الخباء ، والحالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رمي زور  
البحر ، وسير سحال : يطل .

[٢] ينضى : يهزل ، والوهم : الضخم العظيم من الإبل ، والدهم : العدد الكثير .

[٣] يقري : يضيء ، ويصل : أى يوردها الماء ثانية ، مأخوذ من الطل في الغرب .

[٤] المجرم : المصروع . [٥] الجدل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجرب تحمك به فتجد

له لثة ، والمعنى أنه ممن يستشفى به في الأمور بمنزلة ذلك الجمل الذي تسقى به الإبل .

[٦] المذره : لسان القوم ، والمفكاه عنهم ، ويقال : دهرته عن ودراته : أى دلهته ،

واللكاك : الزحام . [٧] الحرب : المفضب الذي قد اشتد غضبه واحداً ، وحربت السكين : إذا

أحدته ، ومقشب : مغلوط . [٨] باهر : غالب ، ورحاب : متسع .

[٩] ربابل جمع رباب بالكسر يهز ولا يهز : وهو الأسد ، والمعاصل : الدوامى .

[١٠] المساب : الذي يركب الطريق على غير حذاية ، والأعباء : الأحمال .

[١١] البزلاء : الرأي الجيد الذي يزل ( يضم الزاى ) عن الصواب : أى يضيئه عنه .

## ٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن العُتْبِيِّ قال : أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةٍ ثَلَاثَةٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَيْدٍ فَقَالَ : « أَزَيْدٌ إِنِّيهِ <sup>(١)</sup> ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ قَوْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ غَوْرًا ، وَلَا أَخَذَ لِدَنْبٍ حُجَّةً قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ » ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَائِدٌ ، قَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْمُقَدَّةِ ، لَيْسَ الْمَطْفَأَةُ ، مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ ، فَتَلْتُ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنْ أَفْضَلَ مَا فِيَّ لَمْ عَرَفْتِي بِفَضْلِهِمَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ كَعَمِيمٍ مُنْتَشِرٍ <sup>(٢)</sup> الرَّأْيِ ، وَلَا تَحْذُولُ الْعَزْمَ » .

(الأمالى ٢ : ١٤)

## قولهم في الدعاء

### ٩٧ - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يَقَالُ لَهُ مَرْتَدٌ :  
« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِدًا ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مَنْطَلِقٌ ، وَالصَّحْفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مَرِيحَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ ، قَبْلَ أَنْ يَفْرَقَ ، وَحَشَاكَ النَّفْسُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَزَ الصَّدْرُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَزَيَّلَ الْأَوْصَالُ <sup>(٦)</sup> ، وَنُصُولُ الشَّعْرِ ، وَاحْتِيَافُ <sup>(٧)</sup> التَّرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْعَمَلُ ، وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقَطِعُ الْأَمَلُ .

[١] قال أبو علي القالي : « هذه الزيادة تلحق في الاستفهام في آخر الكلمة إذا أنكرت أن يكون رأى المتكلم على ما ذكر ، أو يكون على خلاف ما ذكر » انظر هذا المبحث في الأمالى ٢ : ١٥ .  
[٢] أى مفرقة . [٣] مرح كفرح : أشر وبطر ونشط واختال وتبخر فهو مرح ومرحج .  
[٤] الحشك : شدة النزاع . [٥] العز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر .  
[٦] تزيك وتزايك : تفرقت ، والأوصال : الفاصل . [٧] الاحتياف : انتمال من الحيف وهو الجور ، والمراد أكل تراب القبر الجثة ، والذي في كتب اللغة « التحيف » تحيفت الشيء : إذا تقصصته من حافظه .

أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ ، وَعَلَى الصَّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَمًا ، لَا تَغَادِرْ ذَنْبًا ، وَلَا تَدَعِ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُؤْذِهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَىَّ مِنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتَ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتَ ، وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وُلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّْابًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبَّحَتِي <sup>(٤)</sup> ، وَتَعَجَّزَ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ غَمْلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دُعَاءَ مَنْ بَدَأَهُ ضَعِيفٌ ، وَمُنَّتُهُ <sup>(٥)</sup> عَاجِزَةٌ ، قَدْ انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقْتَ <sup>(٦)</sup> جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظِلْمُوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فعله من غم الشيء : أى غطاء فانغم ، أو من « غمته » بالفهم : أى بلائه وكرب عذابه .

[٢] من تطاهروا إذا تعادروا : أى تناهت . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَقْنِ خَقَّ عَلَيْهِ »

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَانْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] فعله من السبح : وهو القلب والانتشار

في الأرض ، والإبعاد في السير ، والتصرف في المعاش . [٥] المنة : القوة .

[٦] خلق الثوب كنصر وكرم وسمع : بلى ، والظلم : ما بين العربيتين والوردتين .

لَا تُخَيِّئْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَعْذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ <sup>(١)</sup> ،  
وَحَسَنَ التَّبَاعَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَتَشْنِجَ الْعُرُوقِ ، وَإِسَاغَةَ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرَ الشَّدَائِدِ ، وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي <sup>(٣)</sup>  
قَتِيلُهُ ، وَلَا يَخَيِّبُ سُؤْلُهُ ، وَلَا يُرَدِّ رِسْوَلُهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ  
الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا ، أَوْ أَغْشَى  
مُجُورًا ، أَوْ أَكُونَ بِكَ مَفْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَعُضَالِ الدَّاءِ ،  
وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ » . (المقد الفريد ٢ : ٧٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ - ١٣٧ - ١٣٨)

## ٩٨ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

«إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ مِنِّي وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوْلَى بِالْعَفْوِ مِنْكَ  
عَنِّي وَعِلْمِكَ بِي مَاضٍ ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطَعْتُكَ بِقُوَّتِكَ وَالْمِنَّةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ  
بِعِلْمِكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ  
وَعِزَّتِكَ عَنِّي - أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي .

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنْ حَتَّى أُعْطَيْتَنِي ، فَتَجَاوَزَ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ  
إِنَّا أَطَعْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدَّثَكَ لِشَرِيكَ  
لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشَّرْكَ بِكَ ، فَاعْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإمهال والتأخير . [٢] التباعة مثل التبعة بفتح فكسر . قال الشاعر :

أَكَلْتُ حَنِيْفَةً رُبَّمَا زَمَنَ التَّقْصِيمَ وَالْمَجَاعَةَ

لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةَ

«لأنهم كانوا قد اتخذوا إلهًا من حيس فيبدوه زمانًا ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه» - وللهيب كشمس :  
تمر يخلط بالسمن واللبن الخبيض فيمجن شديدًا ، ثم يندر منه نواه .

[٣] ودى القتل كوعى : أعطى ديته ، والسول مخفف عن سؤل : وهو مأسأته .

اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ، إلهي  
أنت شاهدُهم وغائبُهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا  
إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة آنسني ذكرُك ، وإذا أكبّت عليَّ  
الغمومُ ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها  
عن قضائك ، فأقللني <sup>(١)</sup> إليك مغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،  
يا أرحم الراحمين .

## ٩٩ — دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حَجَجْتَ فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول :  
ياخير موفودٍ سعى إليه الوُفْدُ <sup>(٢)</sup> ، قد ضَعُفَتْ قوتي ، وذهبت مُتَيٌّ ، وأُتِيت  
إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ، ولا تحملها البحار ، أستجير برضاك من  
سُخْطِكَ ، وبمفوك من عقوبتك ، ثم التفت فقال : « أيها المشفقون ، ارحموا  
من شِئَلته الخطايا ، وَغَمَرَتَه البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما مَلَكَ  
من الثلاد ، ارحموا من وَبَّخَتْه الذنوب ، وظَهَرَتْ منه العيوب ، ارحموا أُسِيرَ ضُرٍّ ،  
وطَرِيدَ فقر ، أسألكم بالذي أُنعمتكم الرغبة إليه ، إلا ما سألتكم الله أن يهب لي  
عظيم جُرْمي » ، ثم وضع في حلقة بالباب خدّه وقال : ضَرَعَ خدي لك ، وَذَلَّ  
مقامي بين يديك ، ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنبِ مكروب      من الخيراتِ مسلوب  
وفدُ أضحيتُ ذا فقرٍ      وما عندك مطلوب

## ١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمع أعرابي بعَرَفات عَشِيَّة عَرَفة وهو يقول :

« اللهم إن هذه عَشِيَّةٌ من عشايا مَحَبَّتِكَ ، وأحد أيام زُلْفَتِكَ <sup>(١)</sup> ، يأمل فيها من لَجَأٍ إليك من خلقك أن لا يُشْرِكَ بك شيئاً ، بكل لسان فيها يُدْعَى ، ولكل خير فيها يُرْجَى ، أَتَتِكَ الْمُصَاةُ من البلد السَّحِيقِ <sup>(٢)</sup> ، ودعتك العُناةُ <sup>(٣)</sup> من شُعَبِ المَضِيقِ ، رجاء ما لا خُلْفَ له من وعدك ، ولا انقطاعَ له من جزيل عطائك ، أبَدَتْ لك وجوهها المَصُونَةُ ، صابرةً على وَهَجِ السَّماثِ <sup>(٤)</sup> ، وَبَرْدِ الليالي ، ترجو بذلك رِضوانَكَ ، يا غفارُ ، يا مُستزاداً من نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذاً من نِقَمِهِ ، ارحم صوتَ حزينٍ دعاكَ بزفيرٍ وشهيقٍ » .

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إن كنت بسطتُ يديَّ إليك داعياً ، فطالما كَفَيْتَنِي ساهياً ، بنعمتك التي تظاهرتُ على عِندِ الغفلة ، فلا أياْسُ بها عند التوبة ، لا تقطعُ رجائي منك لما قدِّمت من اقتراف <sup>(٥)</sup> آثامك ، وإن كنت لا أَصِلُ إليك إلا بك ، فهب لي يا ربَّ الصَّلاحَ في الولد ، والأمنَ في البلد ، والعافيةَ في الجَسَدِ ، وعافيتي من شرِّ الحَسَدِ ، ومن شرِّ الدهرِ

النَّكَدِ <sup>(٦)</sup> » . ( المقفد الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمالى ٢ : ٣٢٣ )

[١] الزلفة : القرية . [٢] البعيد . [٣] العناء جمع عان من عنا : أى دلة وخضع ، وفي رواية الأمالى : « أَتَتِكَ الضواصر من الفج العميق ، وجابت إليك المهارق من شعب المضيق » والضواصر الابل المهزولة ، والمهارق جمع مهرق ( بضم الميم وفتح الراء ) : الصعراء اللساء .

[٤] السماث جمع مسموم كصبور : وهى الريح الحارة تكون غالباً بالنهار ، وفي رواية الأمالى : « على لفح السماث ، وبرد ليل التمام » - وليل التمام ( ككتاب ) وليل تمائم : أطول ليالى الشتاء - وفي رواية الأمالى : « نعمتك تظاهرها على عِندِ الغفلة ، فكيف أياْسُ منها عند الرجعة » - وأصل الغفل ( بالتحريك ) : الرجوع من الشفر ، ويطلق على الابتداء فى السفر كما هنا تفاؤلاً بالرجوع - .

[٥] اقتراف الذنب : آثامه وفعله .

[٦] يقال : رجل نكد ككتف وسبب وشمس وأنكد : شؤم عمر .



## ١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،  
وَيَا مُجِيزَ الضَّعْفَى <sup>(١)</sup> ، وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ  
سَوَادُ اللَّيْلِ ، وَيَاضُ النَّهَارِ ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ ،  
وَدَوِيُّ الْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجْمِلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ،  
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ الْعَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِثَارًا <sup>(٣)</sup> ، وَجُنَّةً دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

## ١٠٢ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً في فلاة من الأرض ، وهو يقول في دعائه :  
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَفَارَى إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلَّوْثِ ، وَإِنْ تَرَكِيَ الْاسْتِغْفَارَ مَعَ  
مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٍ ، إِلَهِي كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ  
أَتَبَغَّضَ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سَبِّحَانَ مِنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَاءً ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى »

## ١٠٣ - دعاء أعرابي

قال : وسمعت أعرابياً يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،  
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِيَّاي لَا تَنْقُصُكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

## ١٠٤ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً وهو يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلِ  
الْخَائِفِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرَكِ النِّعَمِ <sup>(٤)</sup> طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ ،  
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ نِقَمَاتِكَ ، سَبَقْتَ  
لِي ذُنُوبَ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ <sup>(٥)</sup> ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضعيف جمع ضعيف . [٢] المعنى : أن هذه الكائنات تدعو انتأمل فيها إلى تسبيحه جل شأته

[٣] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما يلبس فوق الشعار ، والجنة : الوقاية .

[٤] أى في الدنيا . [٥] حب محبوب : آثم .

### ١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالسنتهم ، لِيَحْقِنُوا دماءهم ، فَأَدْرِكُوا ما أَمَلُوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا ، لِتُجِيرَنَا من عذابك ، فَأَذْرِك منا ما أَمَلناه . »

### ١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أَتْرَكْ معذَّبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلتَ لَتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك . »

### ١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عديده <sup>(١)</sup> ، ولا يُبْلَغُ حدودُهُ ، اللهم اجعل الموت خيراً غائب ننتظره ، واجعل القبر خيراً يَنتَ نَعْمُرُهُ ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عيني قد أغرَ ورقنا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزَّلة ، وَعُدْ بحلمك ، على جهلٍ مَنْ لم يَرْجُ غيرك . »

### ١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ بِحَلْقَتِي باب الكعبة وهو يقول : « ساءَ لك عند بابك ، ذَهَبَتْ أيامُهُ ، وَبَقِيَتْ آثامُهُ ، وانقطعت شهوته ، وَبَقِيَتْ تَبَاعُثُهُ ، فارضَ عنه ، وإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه غير راض . »

### ١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، فَأَعْطِنِي ما أَسْتَعِينُ به على شَرَف الدنيا والآخرة . »

## ١١٠ - دعاء أعرابي

عن طاوُس قال : « بينا أنا بمكة إذ دَقَّتْ إلى الحجاج بن يوسف ، فتَنَى لي وسَاداً جَلَسْتُ ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : علىَّ بالملكي ، فأُتِيَ به فقال : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من أَفناء الناس <sup>(١)</sup> ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نَعَمْ سألتني ، قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خلقتَ محمد ابن يوسف - يعني أخاه ، وكانَ حامِله على اليمن - قال : خلقتُه عظيماً جسيماً ، خَرَّاجاً وَلَاجاً ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نَعَمْ سألتني ، قال : كيف خلقتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلقتُه ظلوماً غَشُوماً <sup>(٢)</sup> ، حاصياً للخالق ، مُطِيعاً للمخلوق ، فازور <sup>(٣)</sup> من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك لهذا ، وقد تعلم مكاتبة مني ! فقال له الأعرابي : أقترأ بمكانة منك أعز مني بمكاتبة من الله تبارك وتعالى ، وأنا وَاقِدٌ بيته ، وقاضي دِينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ فَوَجَّهَ <sup>(٤)</sup> لها الحجاج ، ولم يُجِرْ له جواباً <sup>(٥)</sup> ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاوُس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك اللوذ ، فاجعل لي في اللهم إلى جوارك ، والرضا بضمائك ، مندوحة <sup>(٦)</sup> ، عن منع الباخلين ، وغنى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم عُدْ بِفِرَجِكَ القريب ، ومعرفك القديم ، وصادتك الحسنة .

قال طاوُس : ثم اختفى في الناس ، فألفيته بعرفات قائماً على قدميه وهو

[١] يقال « من أفناء الناس » إذا لم يعلم من هو ، واحده فتو كمل أو فتا كَمَا .

[٢] ظلوماً . [٣] ازور : انصرف ومال ، أي غضب منه . [٤] وجم : سكت على غير قصد .

[٥] أي لم يردده . [٦] أي منقصة .

يقول : « اللهم إن كنت لم تقبل حَجَّتِي وَنَصَبِي <sup>(١)</sup> وَتَعَبِي ، فلا تُخْرِمْني أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ ، فلا أَعْلَمْ مَصِيبَةً أَعْظَمَ مِنْ وَرْدِ حَوْضِكَ ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

### ١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :  
« إلهي عَجَّتْ <sup>(٢)</sup> إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نَسِيتني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي حقك ، وأرض عني خالقك ، اللهم لا تُعَيِّنِي في طلب ما لم تقدِّره لي ، وما قدَّرته لي فيسِّره لي » .

### ١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللهُ صَاحِبِي فِي أَمْرِكَ ، وَخَلِيفَتِكَ فِي أَهْلِكَ ، وَوَلِيَّ نُجْحِ طَلِبَتِكَ <sup>(٣)</sup> ، امْضِ مُصَاحِبًا مَكْلُومًا <sup>(٤)</sup> ، لَا أَشَمْتُ اللهُ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُجِيَّتَكَ فِيكَ سَوْءًا » .

( المقد الفريد ٢ : ٧٦ - ٧٩ )

### ١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى مِنَى فَقَطَعَ بِهَا الطَّرِيقُ فَقَالَتْ :  
« يَا رَبِّ : أَعْطَيْتَ وَأَخَذْتَ ، وَأَنْعَمْتَ وَسَلَبْتَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْكَ عَدْلٌ وَفَضْلٌ ، وَالَّذِي عَظَّمْتَ عَلَى الْخَلَائِقِ أَمْرَكَ ، لَا بَسْطَ لِي إِسَانِي بِمَسْأَلَتِهِ أَحَدٍ غَيْرَكَ ، وَلَا بَذَلْتُ رَغْبَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَغْنِنِي بِجُودِكَ مِنْكَ أَتَبَحِّجُ <sup>(٥)</sup> فِي

[١] في الأصل « ونسي » وأراء محرفا عن « نصي » ، ويؤيده قوله بعد « وتعبى » .

[٢] عَجَّ يَمِج بكسر العين وفتحها : صاح ورفع صوته .

[٣] النجح : النجاح ، والطلبة : ما طلبته . [٤] من كَلَاهُ كَنَمَهُ : حرسه .

[٥] تبحج : تمكن في المقام والحلول ، وتبحج الدار : توسطها ، والفراديس جمع فردوس : وهو البستان .

فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُواقِ نَضْرَتِهِ <sup>(١)</sup> ، اَتَحَلَّنِي مِنَ الرَّجُلَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَغْنِنِي  
مِنَ الْعَيْلَةِ ، وَاسْدُدْ عَلَيَّ سِتْرَكَ الَّذِي لَا تَخْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ  
صَمِيعُ الدُّعَاءِ . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٨ ، والمقد الفريد ٣ : ١٣٨ )

## ١١٤ - أدعية شتى

ومات ابن لأعرابي فقال : « اللهم إني وهبتُ له ما قَصَّرَ فيه من برِّى ،  
فَهَبْ لِي ما قَصَّرَ فيه من طاعتك ، فَإِنَّكَ أَجود وأَكرم » .  
( المقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )



ووقف أعرابي في بعض المواسم فقال : « اللهم إِنْ لَكَ عَلَيَّ حَقُّوْكَ فَتَصَدَّقْ  
بِهَا عَلَيَّ ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٌ قَبْلِي فَتَحْمَلْنَهَا عَنِّي ، وَقَدْ أَوْجَبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرْرِي <sup>(٣)</sup> ،  
وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ ، فَاجْعَلْ قِرْرَايَ فِيهَا الْجَنَّةَ » .  
( المقد الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٨ )



وقال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :  
« اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَتَقَبَّلْ تَعْبِي وَنَصَبِي ،  
فَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مُصِيبَتِهِ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٣ )



وقال الأصمعي : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي  
لَهُ ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جُوعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ  
جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنْكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » ( المقد الفريد ٢ : ٨٤ )

[١] في الأصل « راووق » وهو المصفاة ، وأراء عرقاً عن « رواق » وهو المسطاط ، والنضرة :  
النعمة والنفى . [٢] رجل كثر رح فهو راجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر يركبه ، والرجلة بالفتح  
فويكسر : شدة المشي ، والعيلة : الفقر .  
[٣] قرى الضيف كرى ، قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .

عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك الغفيرة <sup>(١)</sup> ،  
والناقة الغزيرة ، والشرف في العشيرة ، فإنها عليك يسيرة » . ( الأماي ٢ : ٢٣ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبَكَ  
الله الأَمْرَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، وكفاك شرَّ الأجوافَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، وأذاقك البرَدَيْنِ <sup>(٤)</sup> » .  
( الأماي ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإِثَاء <sup>(٥)</sup> ،  
وَحَطَّ الأَعْدَاء ، ورفع الأولياء » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماءً سَوِءً ، فَأَكُونَ امْرَأً سَوِءً » وقال  
أعرابي : « اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الكَرَامِ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سبيلا ،  
وللخير عليك دليلا ، وجعل عندك رفدا <sup>(٦)</sup> جَزِيلا ، وأبقاك بقاء طويلا ،  
وأبلاك <sup>(٧)</sup> بلاء جميلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا  
أَكْبِت <sup>(٨)</sup> به الأعداء ، وَبَنِينَ أَصُول بهم على الأقوياء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

[١] الغفيرة : المغفرة . [٢] الأمران : الفقر والهرم ، أو الجوع والعري . [٣] الأ-وفان :  
البطن والعرج . [٤] البردان : برد العين وبرد العافية . [٥] الإِثَاء : الرزق ، من أنت الشجرة  
أنتوا وإثاء : طلع ثمرها ، أو بدأ صلاحها ، أو كثر حملها . [٦] الرفد : انعطاف والصلح .  
[٧] الإِبْلَاء : الإِتمام والإِحسان ، أبليت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .  
[٨] كَبِتْه : صرعه وأدله ، ورد العدو بغيظه .

\*\*\*

ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوا حسودا ،  
وَجَمْعُ بكَ صَدِيقًا وَذُودًا ، وَسَلَطَ عَلَيْكَ هَمَّا يُضْنِيكَ ، وَجَارًا يُؤْذِيكَ » .

( العقد الفريد ٢ : ٩١ )

\*\*\*

ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر<sup>(١)</sup> والبواقِر ، ومن جارِ السوء ،  
في دارِ المُقَامَةِ وَالظُّمْنِ ، ومما يَنْكُسُ رَأْسَ المرءِ ، وَيُغْرِى به لثام الناس » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذى رَحِمٍ ودَعَوَاهُ ، ومن  
فاجِرٍ وَجَدَوَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وعمل لا ترضاه » .

( البيان والتبيين ٣ : ١٣٦ )

\*\*\*

ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوْلِكَ إِلَّا نَفْسَكَ » .  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خلقك » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا  
فَاعْفُ عَنَا » .

( البيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

\*\*\*

وقال أعرابي : « منَحِمَ اللهُ مِئْحةً لَيْسَتْ بِجِدَاءٍ ، ولا نَكْدَاءٍ ، ولا  
ذاتِ داءٍ » .

وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عَنَا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَذَابَ الشَّحْمُ ،  
وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَرَقَّ الْعَظْمُ ، فَارْحَمْ أُنَيْنَ الْآثَةِ ، وَحَنِينَ الْحَانَةِ ، اللهم ارحم  
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا ، وَأُنَيْنَهَا فِي مَرَابِضِهَا » .

[١] الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي الداهية ، والبواقِر جمع باقرة : وهي الفتنة الصاعدة للآفة الشاقة للمعصاة .

[٢] الجدوى : العطية .

\*\*\*

وحج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرج به ، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسّره » .

( البيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )

\*\*\*

ومات ولد لرجل من الأعراب فصلى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدّين ، سهّل الخدين ، فاغفر له وإلا فلا » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )

\*\*\*

وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بليلة لا أخت لها » أى لا تعيش

بعدها . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

\*\*\*

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفترق في غناك ، أو أضلّ في هداك ، أو أذلّ في عزّك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد والأمر إليك » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

\*\*\*

وقال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عمل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنعم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » . وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحيطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد <sup>(١)</sup> ، وأزسّخه على هامته كرسوخ السجّيل <sup>(٢)</sup> ، على هام أصحاب الفيل » . ( زمر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجّيل : طين مطبوع ، يشير إلى قوله تعالى :

« وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أى جماعات .



## ١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقتل له : ما رأيت مع رسول الله في غزاتك هذه ؟ قال : وَضَعْنَا نِصْفَ الصَّلَاةِ <sup>(١)</sup> ، وأرجو في الغزاة الأخرى أَنْ يَضَعَ النِّصْفَ الْبَاقِي .

\*\*\*

وَدَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ ، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، فَقَامَ يَصَلِّي ، فَلَمَّا قَرَعَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَقَدْ تَحَجَّجْتَ <sup>(٢)</sup> وَاسِعًا يَا أَعْرَابِي .

\*\*\*

وَخَرَجَ الْحِجَابُ مُتَصِيدًا بِالْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِي يَرْعَى إِبْلَاءً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمُ الْحِجَابِ ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : غَشُومٌ ظَلُومٌ ، لَا حَيَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : فَلِمَ لَا تَشْكُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : فَأُظْلِمُ وَأُغْشَمُ ! فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ ، فَأَوْمَأَ الْحِجَابُ إِلَى الْأَعْرَابِي ، فَأَخَذَ وَحْمِلَ ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لَهُ : الْحِجَابُ ، فَحَرَّكَ دَابَّتَهُ حَتَّى صَارَ بِالْقَرْبِ مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَاهُ يَا حِجَابُ ، قَالَ : مَا تَشَاءُ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : السِّرُّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا ، فَضَحِكَ الْحِجَابُ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .

\*\*\*

وَخَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ مُتَنَزِّهًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمِيعٌ فِي نَزْهَتِهِ ، وَانْتَبَذَ مِنْ

---

[١] يَمْنَى صَلَاةُ الْقَصْرِ . [٢] أَيْ ضَيِّقُ مَا وَسَّعَهُ اللَّهُ وَخَصَّصَتْ بِهِ نَفْسَكَ دُونَ غَيْرِكَ .

أصحابه ، فوافى خيابة لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أى كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

☆☆

وولى يوسف بن عمر الثقة صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عِدُوَّ الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكلُ إذا لم آكلُ مالَ الله ؟ لقد راودتُ إبليس أن يُعطيني فلساً واحداً فما فعل ، فضحك منه وخلق سبيله .

☆☆

وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شُكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقية أشعب ، فقال له : تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا فى القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يارب لا شُكراً فلا تزدني أسأتُ فى شكرى فاعف عني

، باعد ثواب الشاكرين مني

❖

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت <sup>(١)</sup> عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذجنها وأعلفها من قوتي ، وألئسها في آناء الليل ، فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدى ، فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخسمائة درهم .

❖

وسمِعَ أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمى » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسة ضعيفة .

❖

وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفطساً .

❖

وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرءوا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسنات وسيئاتي ، وأتم جثم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .

❖

واشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دجن الحمام والشاة وغيرهما كنصر : ألقت البيوت .

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس بمبيب ، إن وجد فراشاً فَلْيَبِلْ فيه »

\*\*\*

ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابناً له ، فقالوا له : صِفْهُ ، قال : كأنه دُنَيْنِيرٌ ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جُعَلٌ <sup>(١)</sup> ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْنِيرٌ ؟ قال : « الْقَرَنِيَّ <sup>(٢)</sup> في عين أمّها حسناء » .

\*\*\*

وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إني لَأُبْرِضُ الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه رَكُضًا ؟ .

\*\*\*

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كَانَ ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عمّ له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجت ، وَكَانَتْ لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك أنت ، وتخرّب بيوتنا ! » .

\*\*\*

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كَانَتْ في بعض الطريق عَطِبت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « ياربّ أخرجتنى من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

\*\*\*

وعُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صَلْبٌ ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أُطْلِقَ ، فأنشأ يقول :

[١] الجمل : الحرباء .

[٢] القرني : دويبة من خشاش الأرض فوق الحنفساء إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى قوم يلتسون هلال شهر رمضان فقال : « والله لئن آثرتموه لَتُمْسِكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي » عيش أغبر .

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : « أرى عليك قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِكَ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكَلُ بِدَجًا <sup>(١)</sup> ، وَشَرِبُ مِشْعَلًا <sup>(٢)</sup> ، وَنَامُ فِي الشَّمْسِ ، فَاتَ دَقَّانَ شَبْعَانَ وَرِيَّانَ » .

\*\*\*

وقيل لأبي الْخَشِ الْأَعْرَابِي : أَيْسُرُكَ أَنْتَ خَلِيفَةٌ ، وَأَنْ أَمَّتَكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرّني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لأنها كانت تذهب الأُمَّة ، وتضيع الأُمَّة » .

\*\*\*

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَلَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبُ اتَّجَعُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَّا فَلَا يَعْذُ إِلَيْنَا .

\*\*\*

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَرَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبُ تَخَيَّرَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

---

[١] الذَّنَابِي : الذنب . [٢] البَذَج : ولد الضأن .

[٣] للشعل : هي من جلود له أربع قوائم ينبذ فيه ، وهرب مشعلا أي هرب ما فيه .

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالفألوذج ، جعل يُسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمُزْدَرَدًا<sup>(١)</sup> لَيْنًا ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد فى الدِّماغ ، قال : كَذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ رَأْسُكَ مِثْلَ رَأْسِ الْبَغْلِ ! » .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شَعْرَةٍ فى لقمة الأعرابي ، فقال : أرى شعرة فى لقمته يا أعرابي ، قال : وإنك لتراعينى مُرَاعَاةً مِنْ يُبْصِرِ الشَّعْرَةَ فى لقمته ! وَاللَّهِ لَا وَكَلْتِكَ أَبَدًا » ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زَلَّةٌ ، وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا » .



وقال الأصمعى : قلت لأعرابي : أَتَهْمِزُ<sup>(٢)</sup> إِسْرَائِيلَ ؟ قال : إني إذن لَرَجُلٍ سَوْءٍ ، قلت له : أَفَتَجْرُ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إِذَا لَقَوِيَّ .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُنْكِحُوا<sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم تُنْكِحْهُمْ ، فقليل له إنه يلحن وليس هكذا يُقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قُبْحَهُ اللَّهُ ! لَا تَجْمَلُوهُ إِمَامًا ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » . (العقد الفريد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

وخطب أعرابي فلما أعجبه بعضُ الأمر عن التصدير بالتمجيد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير مَلَالٍ لذكر الله ، ولا إيثَارٍ غيره عليه ، فإننا نقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته بَتْرَاءً وَشَوَّهَاءً <sup>(١)</sup> .

( البيان والتبيين ٢ : ٢ ، ١ : ٢١٥ )

ودفعوا إلى أعرابية عِلْكَاً <sup>(٢)</sup> لَتَمَضُّغِهِ ، فلم تفعل ، ف قيل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إِلَّا تَعَبُ الْأَضْرَاسِ وَخَيْبَةُ الْحَنْجَرَةِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تَحِبُّ أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .

( البيان والتبيين ٢ : ٤٩ )

\*\*\*

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عِشُّ الدَّهْرِ : الماء ، والنوم ، وأمَّ عَمْرٍو ، لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القَبْرِ » .

( البيان والتبيين ٢ : ١٠١ )

\*\*\*

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُذَبَّدُ » .

( البيان والتبيين ٢ : ١٦٩ )

[١] وكانوا يسمون الخطبة التي لم يتبدى صاحبها بالتمجيد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البترء » ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة دلي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الشوهاء » .  
[٢] الملك : اللبان ( بالفم ) .



وسمع أعرابي رجلاً يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِى  
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرٌ <sup>(١)</sup> » ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :  
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون »  
( البيان والتبيين ٢ : ١٧٤ )



---

[١] ذات الألواح والدر : هي السفينة ، والدر ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها جمع دسار  
كتاب ، بأعيننا : برأى منا أى محفوظة ، وقد قرئ كُفر بالبناء للفاعل ، أى للكافرين ، أفرقوا



## الباب الرابع في خطب النكاح

### ١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعني خطبة النساء :  
« باسمك اللهم ، ذُكِرْتَ <sup>(١)</sup> فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ،  
لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

### ٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب  
فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزم  
بأحكامه وأعزّم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ، صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

---

[١] ذكر فلان فلانة ذكرا ( بفتح فسكون ) : خطبها أو تعرض لخطبتها .

جعل المصاهرة نَسَبًا لَاحِقًا ، وأمرًا مُفْتَرَضًا ، وَوَشَّحَ <sup>(١)</sup> به الأرحام ، وألزمه الأنام ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فأمرُ الله يجرى إلى قضائه ، ولكل قضاء قَدَر ، ولكل قَدَر أَجَلٌ « يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » . ثم إن ربِّي أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربعمائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك عليّ .

### ٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذى قرّب من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتّقيه ، وقطّع بالنار عدد من يعصيه ، أحمده بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكر من يعلم أنه خالقُه وباريه ، ومصوره ومُنشِيه ، ومميته ومُحييه ، ومقرّبه ومنجيّه ، ومُثبِتُه ومجازيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاة تُزلفه وتُدنيه ، وتمزّه وتُعليه ، وتشرفه وتجتبيه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قدّره الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صداق أربعمائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسألوه ، وكفى بالله شهيداً .

[١] وشجت العروق والأغصان كوعد : اشتبكت والتفت وتداخلت ، ورحم واشجة ووشيجة : شتبكة متصلة ، وقد وشجها الله توشيجاً ، وفي الأصل : « وشج به الأرحام » وأراء محرّفاً .

#### ٤ — خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عفّسة بن أبي سفيان إلى عُتْبَةَ بن أبي سفيان ابنته ، فأقعمه على نَحْذِهِ ، وَكَانَ حَدَّثًا فَقَالَ :

« أَقْرَبُ قَرِيبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حَيْبٍ ، لَا أُسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا ، وَلَا أَجِدُ مِنْ إِسْأَافِهِ بُدًّا ، قَدْ زَوَّجْتُكُمَا وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْهَا ، وَهِيَ أَلْصَقُ بَقَلْبِي مِنْكَ ، فَأَكْرِمْنَاهَا يَعْذُوبُ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تُهِنْنَاهَا فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وَقَدْ قَرَّبْتُكَ مَعَ قُرْبِكَ ، فَلَا تُبْعِدْ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ » .

#### ٥ — خطبة شبيب بن شيبه

وَقَالَ الْعُتْبِيُّ : زَوَّجَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ ابْنَهُ بِنْتَ سِوَارٍ<sup>(١)</sup> الْقَاضِي ، فَقُلْنَا : الْيَوْمَ يَعْبُ عُبَابُهُ<sup>(٢)</sup> ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَكَلَّمُ فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، بِنَا وَبِكُمْ<sup>(٣)</sup> ، تَمَنَعْنَا مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَإِنْ فَلَانَا ذَكَرَ فَلَانَةٌ » .

#### ٦ — خطبة الحسن البصري

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ ، بَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بِهَذَا النِّكَاحِ الْأَرْحَامَ الْمُنْقَطِعَةَ ، وَالْأَنْسَابَ الْمَتَفَرِّقَةَ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي سُنَّةٍ مِنْ دِينِهِ ، وَمِنْهَا جَاحٌ وَاضِحٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ فَلَانٌ ، وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يَبْذُلُ مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ ، وَرُدُّوا خَيْرًا ، يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ » .

[١] هُوَ سِوَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ قُضَاةِ الْبَصْرَةِ وَخُطْبَاتُهَا — انظر البيان والتبيين ١ : ١٦١ — وَاقْرَأْ فِي أَمَالِي السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ٤ : ٢٢ حَدِيثًا غَرِيبًا لِلْجَاهِظِ عَنْهُ فِي وَقَارِهِ وَضَبْطِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَمَلَكَهُ مِنْ حَرَكَتِهِ .

[٢] لِأَنَّ وَالِدِي الْعُرُوسَيْنِ خُطْبَانِ . [٣] أَيْ الْمَعْرِفَةُ مَنَا بَيْنَ ، وَالْمَعْرِفَةُ مِنْكُمْ بِنَا .

## ٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :  
« وما حَسَنٌ أن يَمْدَحَ المرء نفسه : ولكنَّ أخلاقاً تُذَمُّ وتُمدَح  
إن فلانة ذُكِرت لي » .

## ٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :  
« قد زَوَّجَكَ أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين  
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

## ٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدام قال :  
كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير<sup>(١)</sup> ،  
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز  
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :  
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن  
لرغبة منك دَعَتِكَ إلينا ، والرغبة فيك أجابَتْكَ منا ، وقد أحسن بك ظننا من  
أودعكَ كَرِيمَتَهُ ، واختارك ولم يَخْتَرْ عليك ، وقد زوجْتُكِها على كتاب الله :  
إِنْ سَأَلَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْمَرَ بِحَسَنٍ » .

---

[١] وكذلك روى الجاحظ في البيان والتبيين ( ١ : ٦٤ ) قال : « والسنة في خطبة للنكاح أن يطيل  
لخاطب ، ويقصر الجيب » والحصري في زهر الآداب ( ٢ : ٣١ ) قال الأصمعي : « كانوا يستحبون من  
لخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة » .

١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالّين فهدانا الله ، عبدين فأعتقنا الله ، فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن ترُدُّونا فالمستعانُ الله » .

١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوّج خالد بن صفوان مولاة من أمته ، فقال له العبد : لو دعوت الناس وخطبت ! قال : أذعُّهم أنت ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظم وأجلُّ من أن يُذكَر في نكاح هذين الكلبين ، وأنا أشهدكم أني زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِحُرْمَةٍ ، وَأَوَلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدْتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُوءٍ ، فَفَرَضْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أوّل كلامه ، وصلى على النبي صلى الله

عليه وسلم لفضحني يومئذ .

### ١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوّج ابنته من عليّ بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلّته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أوّلَى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذى تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوّجت ابنة المأمون من عليّ بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .



وخطب رجل إلى قوم ، فأتى بمن يخطب له ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر ذكر القرون ، حتى ضجر من حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما أسمعك أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيتُ أسمى من طول خطبتك ، وهى طالقٌ إن تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

( مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص ٢٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، وزهر الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١ )

## البابُ الخَامِسُ

في

### خطب من أرتج عليهم

ونوادِر طريفة لبعض الخطباء

روى الجاحظ قال : صَعِدَ عثمان بن عفَّان رضى الله تعالى عنه المنبرَ ، فأرْتَج عليه ، فقال :

« إن أبا بكر وعمر كانا يُعِدَّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل ، أحوجُّ منكم إلى إمام خطيب » .

❦  
وروى ابن عبد ربه قال : أول خطبة خطبها عثمان بن عفَّان أُرْتَج عليه ، فقال :  
« أيها الناس : إن أوَّلَ كلِّ مَرْكَبٍ صعب ، وإن أَعِشَ تَأْتِكُمُ الخطبُ على وجهها ، وسيجعل الله بعد عُسْرِ يُسْرًا إن شاء الله » .

❦  
ولما قَدِمَ يزيد بن أبي سُفيان الشام واليا عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرْتَج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال :

« يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، ومن بَعْدِ عِيٍّ يَانًا ، وأنتم إلى إمامٍ فاعل <sup>(١)</sup> ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إلى إمامٍ قائل <sup>(٢)</sup> » ، ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

\*\*\*

وكان يزيد بن المهلب وَلِيَّ ثَابِتِ قُطْنَةَ <sup>(٣)</sup> بعض قرى خُرَاسَانَ <sup>(٤)</sup> ، فلما صَعِدَ المنبر يوم الجمعة ، قال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :  
فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي      بسيفي إِذَا جَدَّ الْوَعْيَ لَخَطِيبُ  
فَقِيلَ لَهُ : « لَوْ قَلَّتْهَا فَوْقَ الْمَنِيرِ ، لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ » .

\*\*\*

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وَلِيَ ، فَخَصِرَ فَقَالَ :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعْدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَخَجِبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَدْلٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي أَمْرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] في عيون الأخبار : « إمام عادل » . [٢] وفي أمالي السيد المرتضى أن هذا القول يروى لعثمان بن عفان ، وفي روايتها : « إمام فَعَالٍ » و « إمام قَوَّالٍ » بصيغة المبالغة ، وفي الأُضَايِ أنه يروى لثابت قطنة ، وفيه : « أمير مَعَالٍ » و « أمير قَوَّالٍ » .

[٣] هو ثابت بن كعب ، ولقب قطنة لأن سبهماً أصابه في إحدى عينيه ، فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يحمل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيحمد فيها مكانه لكفائته وشجاعته ، وقد مال إلى قول المرجئة ، وله قصيدة في الإرجاء ، النظر ترجمته في الأُضَايِ ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] وفي رواية : أنه خطب على منبر سجستان ، وفي رواية الطبري : « فخطب الناس فخصر فقال : « من يطع الله ورسوله فقد ضل » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال البيت المذكور .

[٥] الآية الكريمة : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » .



\*\*\*

وصعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة ليخطب فارتج عليه ، فقال : «أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام ينجي أحياناً ، ويعزب أحياناً ، فيسبح عند محبته سببه<sup>(١)</sup> ، ويعز عند غزوبه طلبه ، وربما كوبر فأبى<sup>(٢)</sup> ، وعولج فئأى ، فالتأتى<sup>(٣)</sup> لمحبه ، خير من التعاطى لأبىه ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يختلج<sup>(٤)</sup> من الجريء جنانه ، وينقطع من الدرب<sup>(٥)</sup> لسانه ، فلا يبطره ذلك ولا يكسره ، وسأعود فأقول إن شاء الله » ، ثم نزل ، فأرئى حصر أبلغ منه .

\*\*\*

وصعد أبو العنابس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ، وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال : أما بعد : فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليخبر الذي يدرى منكم الذي لا يدرى ، ثم نزل .

[١] السبب : العطاء ، وفي رواية : « فيسبب عند محبته سببه » .

[٢] وفي رواية : « فسا » أى اشتد وصعب . [٣] تأتى له : ترفق ، وفي رواية :

« فالتأتى » بالنون . [٤] يضطرب .

[٥] الحاد اللسان ، وفي رواية : « ويرتج على البليغ لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على اللسان لسانه ، ولا ينظره القول إذا اتسع ، ولا يتيسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، غلبت أن تمن له النبوة » وفي أخرى : « وقد يعصى على الدرب لسانه ، ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد إذا اتسع ، وأولى الناس من عذر على النبوة ، ولم يؤخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتهر إحسانه وسأعود وأقول » .

\*\*\*

وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بالدندان ، فلما صعد المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجعلنى فِدَاءَها ، إني قد أمرت طائفتي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أتانى به ، وإن كنت أنا هو » ، ثم نزل .

\*\*\*

وخطب عبد الله بن عامر <sup>(١)</sup> بالبصرة في يوم أضحى ، فارتج عليه ، فكت ساعة ، ثم قال :

« والله لا أجمع عليكم عيًّا ولؤمًا ، من أخذ شاةً من السوق فهي له ، وئمنها على » .

\*\*\*

قال الجاحظ : ولما حصّر عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، شقّ ذلك عليه ، فقال له زياد : « أيها الأمير ، إنك إن أقتَ عامّةً من ترى ، أصابه أكثر مما أصابك » .

\*\*\*

وكان سعيد بن بخدل الكلابي على قنسرين <sup>(٢)</sup> ، فوثب عليه زُفر بن الحارث ، فأخرجه منها ، وباع لابن الزبير <sup>(٣)</sup> ، فلما قعد زفر على المنبر قال : « الحمد لله الذى أقعدنى مقعد الغادر الفاجر » ، وحصّر ، فضحك الناس من قوله .

---

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة بالشام . [٣] انظر هامش الجزء

✱

وصعد عدي بن أرطاة<sup>(١)</sup> المنبر ، فلما رأى جماعة الناس حَصِرَ فقال : « الحمد لله الذي يُطعم هؤلاء وَيُسقيهم » .

✱

وصعد رَوْح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم شَفَنُوا<sup>(٢)</sup> أَبصارهم ، وفتحوا أسماعهم نحوه ، حَصِرَ فقال : « نَكَّسُوا رءوسكم ، وَغَضُّوا أَبصاركم ، فَإِنَّ الْمِنْبَرَ مَرْكَبٌ صعب ، وَإِذَا يَسَّرَ اللهُ فَتَحَ قُفْلٌ تَبَسَّرَ » .

✱

وكان عبد ربه اليشكريّ حاملاً لعيسى بن موسى<sup>(٣)</sup> على المداثر ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأرتج عليه ، فسكت ثم قال : « والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة ، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فَمَحَاها من صدري ، ولقد كنتُ وما في الأيام يوم أحبُّ إلىَّ من يوم الجمعة ، فصرتُ وما في الأيام يوم أبغضُ إلىَّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

✱

وأرتج على معن بن زائدة ، فضرب المنبر برجله ، ثم قال : « قَتَى حُرُوب ، لَا قَتَى مَنَابِر » .

✱

وحدث عيسى بن عمر قال :

خطب أميرٌ مرةً فانقطع فحَجِلَ ، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وَافَّهَم<sup>(٤)</sup> ، وفيهم يَرْبُوعِيٌّ جَلَدٌ ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فَرَّ في الخطبة ،

[١] كان حامل يزيدي بن عبد الملك على البصرة .

[٢] شَفَنَهُ كَضَرِبَهُ وعلمه شَفَنُوا : نظر إليه بمؤخر عينيه ، أو رفع طرفه ناظراً إليه كالمتعجب أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أخي المصور وكان أمير الكوفة . [٤] لفهم : جهلهم .

حتى إذا بلغ « أما بعد » قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يدّر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أرِدْ أن أجمع <sup>(١)</sup> اليوم فمنعتنى ، وخطب آخر ، فلما بلغ « أما بعد » بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمحني ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القَرَاقِرَ <sup>(٢)</sup> من السفن تجري بيني وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : « أما بعد » فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : « الزيت مبارك <sup>(٣)</sup> ، فكلوا منه وادّهنوا » .

قال : فهو قول الشُّطَّار <sup>(٤)</sup> اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل في شأن الزيت ، وفي حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصر وقال : « الحمد لله الذي يرزق هؤلاء » وبقي ساكناً فأنزلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقعت عينه على صلعة <sup>(٥)</sup> رجل فقال : « اللهم العن هذه الصلعة » .

[١] جمع الناس بالتشديد : أى شهدوا الجمعة ، كما يقال : عيّدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القراقرير جمع قرقرور كمصفور : وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

[٣] يشير إلى الآية السكرية : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » .

[٤] الشطار جمع شاطر : وهو من أغيا أهله خبثاً ، والمراد به هنا أهل الدعارة والمحابب الدوادر

✱

وقيل لوازع اليشكري : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لعنها الله حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها مني طالق ثلاثا » .

✱

ودعي أيوب بن القرية لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال : « قد طال السمَرُ ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فاذا يُنْتَظَرُ ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق<sup>(١)</sup> ، فليَنطِق من نطق »

✱

وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

✱

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا<sup>(٣)</sup> بهذا القرآن ، فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو البراجم حيث قال :

[١] لئلا يؤمنوا كفرح : ركعت ربحه وكثر نداءه . [٢] وكانوا يطلون أصنامهم بالطيب والزعفران ، ويفلقون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله . [٣] مامرا حاذقا .

وما عاجلاتُ الطير يُدْنين للفتى      رشاداً ، ولا من ريشهن يحيبُ <sup>(١)</sup>  
 ورُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ      وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ <sup>(٢)</sup>  
 ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ      على نائبات الدهر حين تنوب  
 وفي الشكِّ تفريطٌ وفي الحزمِ قوةٌ      وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ <sup>(٣)</sup>

فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنْصَبْ للشعر ، بل ليُحْمَدَ الله تعالى ،  
 وَيُصَلَّى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام ، وللقُرآن ، فقال : أما لو أنشدتكم  
 شعر رجل من كلب لسرَّكم ، فكتب إلى يزيد بذلك فعزله ، وقال : قد كنت  
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أحسب أن الحق يبلغ بك إلى هذا المبلغ ، فقال له :  
 أحمق مني مَنْ وَلَا أَنِي !



وخطب عَتَّاب بن وَرْقَاء <sup>(٤)</sup> فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى  
 في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا      وعلى الغايات جرُّ الذُّيُولِ <sup>(٥)</sup>

[١] كانت العرب تتيمن بالطير السائح ، وهو ما ولاك ميامنه ، أن يمر من مياسرك إلى ميامنك ،  
 وتتشام بالبارح ، وهو ما ولاك مياسره ، أن يمر من ميامنك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رميه إلا  
 بأن تنحرف له ، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير ، فيعتمدها ، وعاجلات الطير هي أن يخرج الإنسان من  
 منزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فإسرها به أول ما يبصر فهو عاجلات الطير ، وإن أبطأت عنه واضطرها  
 فقد رانت أي أبطأت ، والأول عندهم محمود ، والثاني مذموم .

[٢] خشية خشية ومخشاة : خافه ، ووجب القاب وجيباً : خفق واضطرب . [٣] الحدس : الظن  
 والتخمين ، والأبيات لضاني بن الحارث البرجي ( انظر زهر الآداب ٢ : ٨٨ ) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير  
 قد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دما امرأته — وهي بنت العيمان بن بشير — إلى البراءة من المختار ،  
 فأبت فقتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إن من أعظم السكبات عندي      قتل حسناء عادة عطبول

✽✽

وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آت قريب » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .

✽✽

وخطب وكيع بن أبي سُود<sup>(١)</sup> بخراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » فقبل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأبيك لقد قُلتها وإني لأستقلها ! » .

✽✽

وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غَضَابًا على الله مذ بعث نبيّه من مُضَرَ ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشِفَ<sup>(٢)</sup> ، فإذا رأيتهم فاطمِنُوا الخيل في مناخيرها ، فإن فرسا لم يُطَمِّن في منخِره إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوّه<sup>(٣)</sup> » .

✽✽

وضربت بنو مازن الحُتَاتَ بن يزيد المُجَاشِعِيَّ ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجزِ القوم إذا تعاونوا » .

✽✽

وخطب عدى بن زياد الإياديّ ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup> » ، قالوا

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرّ الذبول

« والمعطبول كمصفور : المرأة الفتيّة الجميلة المتلثة الطويلة العنق » . [١] انظر الجزء الثاني ص ٢٩٧

[٢] كشف جمع أكشف : وهو من ينهزم في الحرب ، ومن لا ترس معه في الحرب ، ومن لا بيضة على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن خازم قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا

لقيتم الخيل فاطمِنوها في مناخيرها ، فإنه لن يطمئن فرس في منخِره إلا أدبر أو رمى بصاحبه » . ( الطبري

٧ : ٤٦ ) . [٤] الآية الكريمة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . »

له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .



وروى الطبري أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة ، ثم نزع عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنّع <sup>(١)</sup> بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمى مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا لهو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والى اليمامة <sup>(٢)</sup> ، فقال : « إن الله لا يُقَارُ <sup>(٣)</sup> عباده على المعاصي ، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » ، فسمى مقوم ناقة الله .



وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه <sup>(٤)</sup> على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى » .



ودعى مُصعب بن حيان ليخطب في نكاح فخير فقال : لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : تجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟ .



وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح فخير ، فقال : « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نُشْرِكُ بك » .

[١] يشير إلى محمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثانى ص ٣٣٣ .

[٢] لعلها المدينة . [٣] أى لا يقرنهم .





وخطب قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ على منبر خُرَّاسَانَ ، فسقط القضيب من يده ،  
فتفأل له عدوه بالشرِّ ، واغتمَّ صديقه ، فعرف ذلك قتيبة ، فأخذه وقال :  
« ليس الأمر على ما ظن العدو ، وخاف الصديق <sup>(١)</sup> ، ولكنه كما قال الشاعر :  
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى      كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ <sup>(٢)</sup> »



وتكلم صَعَصَعَةٌ عند معاوية فَعَرِقَ ، فقال معاوية : بهَّرك <sup>(٣)</sup> القول ! فقال  
صعصعة : إن الجياد نَضَاحَةٌ بالماء .



وشخص يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ إلى هشام بن عبد الملك ، فتكلم فقال هشام :  
ما مات من خلف مثل هذا ! فقال الأبرش الكلبى : ليس هناك ، أما تراه يَرَشِّحُ  
جبينه لِضَيْقِ صدره ! قال يزيد : مال ذلك رَشِّحَ ، ولكن لجلوسك فى هذا الموضع .



وقال عبيد الله بن زياد : « نِعَمَ الشَّيْءُ الإمَارَةُ ، لولا قَعَقَعَةُ البريد ،  
والتشرُّفُ للخطَبِ » .



وقيل لعبد الملك بن مروان : هَجَلٍ عليك المشيبُ يا أمير المؤمنين ، فقال :  
كيف لا يَهَجَلُ علىَّ ، وأنا أَعْرِضُ عَقْلِي على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين ؟  
« أو قال : شيبنى صعود المنابر والخوف من اللحن » .

( المقد الفريد ٢ : ١٦٢ — ١٦٣ و ٣ : ٢٥٦ ، و عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و  
٢٥٩ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ — ٢٢ ، والأغانى ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، وتاريخ الطبرى  
ج ٧ : ص ٩٠ ج ٨ : ١٨٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ — ٢ : ١٢٢ ، ١٢٦ ،  
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، وأمالى ١ : ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٧ ، وشرح العيون  
ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، والصناعتين ص ٢١ )

[١] وفى رواية : « كما ساء الصديق ، وسرَّ العدو » . [٢] النوى : الغربة البعيدة .

## بدء الخطب وختامها

قال ابن قُتَيْبَةَ في عيون الأخبار :

تتبع خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت أوائل أكثرها :  
« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ  
له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ،  
ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعته » ،  
ووجدت كلّ خطبة مفتاحها الحمد ، إلا خطبة العيد ، فإن مفتاحها التكبير .  
( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١ )

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرِف أنه قد فرغ من خطبته :  
« اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .  
وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : « اللهم  
لا تدعنى في غمرة ، ولا تأخذنى على غرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين » .  
وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : « اللهم إن ذنوبى قد  
عظمت وجلّت أن تُحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني » .

( العقد الفريد ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢ )

تم بحمد الله

جدول الخطأ والصواب

| الصواب             | الخطأ          | سطر | صفحة |
|--------------------|----------------|-----|------|
| ولى                | ولى            | ١١  | ١٦٧  |
| يقُولون            | يقُولون        | ٤   | ١٧٩  |
| البر               | البر           | ١٥  | ١٩١  |
| الموصل إلى المرغوب | الموصل المرغوب | ٥   | ١٩٣  |
| ولى                | ولى            | ١٣  | ١٩٣  |
| تتلى               | تتلى           | ١١  | ٢٠١  |
| الازدراء           | الازدراء       | ١٨  | ٢٠٥  |
| بضائعها            | بضائعها        | ١٣  | ٢٠٨  |
| شديد               | شديد           | ١١  | ٢١١  |
| يضيف               | يضيف           | ١٥  | ٢٢٣  |
| يداً               | يداً           | ١٣  | ٢٣٥  |
| غفلنا              | غفلنا          | ٢٠  | ٢٦٤  |
| أذابت              | أذبت           | ١   | ٢٧٨  |
| الرّدى             | الرّدى         | ١٠  | ٢٨٧  |
| شربك               | شربك           | ١٤  | ٣١٣  |
| وتُسلّ             | وتُسلّ         | ١٠  | ٣١٨  |
| صاب                | أصاب           | ٧   | ٣٢٠  |
| كالترس             | كالترس         | ١   | ٣٣٤  |
| التي               | لتي            | ٦   | ٣٤٠  |

| صفحة | سطر | الخطأ | الصواب |
|------|-----|-------|--------|
| ٣٤١  | ٢   | وتشنج | وتشنج  |
| ٣٤١  | ٥   | الذل  | الذل   |

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة

# فهرس ذيل الجمهرة

## الباب الأول

### في خطب الأندلسيين والمغاربة

| الخطبة أو الوصية                                            | رقم الصفحة |
|-------------------------------------------------------------|------------|
| خطبة عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري              | ١٦٦        |
| عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين                        | ١٦٧        |
| عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة            | ١٦٨        |
| تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر                        | ١٦٨        |
| عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً                        | ١٧٠        |
| يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه                       | ١٧١        |
| وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز       | ١٧٢        |
| خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم   | ١٧٣        |
| خطبة أخرى له                                                | ١٧٧        |
| أحد حساد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر                | ١٧٨        |
| ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح           | ١٨١        |
| دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بمحضرة ابن تاشفين         | ١٨٣        |
| موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي للأفضل بن أمير الجيوش          | ١٨٤        |
| خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين                           | ١٨٥        |
| مقال لسان الدين بن الخطيب في الحفص على الجهاد               | ١٨٨        |
| ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني | ١٩٠        |
| وصية لسان الدين لأولاده                                     | ١٩٢        |

|                                             |     |
|---------------------------------------------|-----|
| وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه              | ٢١٦ |
| خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف              | ٢٢٦ |
| » القاضى عياض التى ضمنها سور القرآن         | ٢٢٩ |
| » سعيد بن أحمد المقرئ التى ضمنها سور القرآن | ٢٣١ |
| » الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً       | ٢٣٤ |

## الباب الثانى

فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

|                                    |     |
|------------------------------------|-----|
| خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة  | ٢٣٦ |
| وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده     | ٢٤١ |
| » رجل لآخر وقد أراد سفراً          | ٢٤١ |
| » » لابنه وقد أراد الزواج          | ٢٤٢ |
| » بعض العلماء لابنه                | ٢٤٢ |
| » لبعض الحكماء                     | ٢٤٢ |
| » أخرى                             | ٢٤٣ |
| » »                                | ٢٤٣ |
| عظة لبعض الحكماء                   | ٢٤٤ |
| نصيحة » »                          | ٢٤٤ |
| كلمات شتى لبعض الحكماء             | ٢٤٤ |
| رجل من العرب والحجاج               | ٢٤٦ |
| أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز | ٢٤٦ |
| كاتب وأمير                         | ٢٤٧ |

|                       |                                         |
|-----------------------|-----------------------------------------|
| ٢٤٧                   | وصف الملبأة                             |
| ٢٤٩                   | بعض البلقاء يصف رجلا                    |
| ٢٤٩                   | أمس آوار من العرب يصفن آباءهن           |
| ٢٥٢                   | رجل من العرب يصف مطراً                  |
| <b>الباب الثالث</b>   |                                         |
| <b>فى نثر الأعراب</b> |                                         |
| ٢٥٣                   | قولهم فى الوعظ والتوصية                 |
| ٢٥٣                   | مقام أعرابى بين ىدى سليمان بن عبد الملك |
| ٢٥٤                   | أعرابى يعظ هشام بن عبد الملك            |
| ٢٥٤                   | خطبة أعرابى                             |
| ٢٥٥                   | » أخرى                                  |
| ٢٥٦                   | » »                                     |
| ٢٥٦                   | أعرابية توصى ابنها وقد أراد السفر       |
| ٢٥٧                   | أعرابية توصى ابنها                      |
| ٢٥٧                   | أعرابى توصى ابنه                        |
| ٢٥٧                   | » ينصح لابنه                            |
| ٢٥٨                   | » » »                                   |
| ٢٥٨                   | » » لأخيه                               |
| ٢٥٨                   | » يعط أخاه                              |
| ٢٥٩                   | » » صاحبه                               |
| ٢٥٩                   | » » أخاه                                |
| ٢٥٩                   | » » رجلا                                |

|                                        |     |
|----------------------------------------|-----|
| أعرابي يعظ رجلا                        | ٢٦٠ |
| أعرابي يعظ رجلا                        | ٢٦٠ |
| كلام أعرابي لابن عمه                   | ٢٦٠ |
| كلمات حكيمه الأعراب                    | ٢٦١ |
| أجوبة الأعراب                          | ٢٦١ |
| مجاوبة أعرابي للحجاج                   | ٢٦٧ |
| مسألة الحجاج أعرابياً فصيحاً           | ٢٦٨ |
| مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان      | ٢٦٨ |
| مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسرى | ٢٦٩ |
| أجوبة شتى                              | ٢٦٩ |
| قولهم فى الاستمناح والاستجداء          | ٢٧٢ |
| أعرابى يجتدى عتبة بن أبى سفيان         | ٢٧٢ |
| أعرابى يجتدى عمر بن عبد العزيز         | ٢٧٣ |
| خطبة أعرابى بين يدى هشام بن عبد الملك  | ٢٧٣ |
| مقام أعرابى بين يدى هشام               | ٢٧٣ |
| أعرابى يستجدى عبيد الله بن زياد        | ٢٧٤ |
| أعرابية تستجدى عبد الله بن أبى بكره    | ٢٧٥ |
| أعرابى يستجدى خالد بن عبد الله القسرى  | ٢٧٦ |
| » » معن بن زائدة                       | ٢٧٧ |
| خطبة الأعرابى السائل فى المسجد الحرام  | ٢٧٧ |



|     |                      |
|-----|----------------------|
| ٢٧٩ | صورة أخرى            |
| ٢٨٠ | أعرابي يستجدي        |
| ٢٨٠ | » »                  |
| ٢٨١ | » »                  |
| ٢٨١ | » »                  |
| ٢٨٢ | أعرابية تستجدي       |
| ٢٨٢ | أعرابي يستجدي        |
| ٢٨٣ | » »                  |
| ٢٨٣ | » »                  |
| ٢٨٣ | » »                  |
| ٢٨٤ | أعرابية تستجدي       |
| ٢٨٤ | أعرابي يستجدي        |
| ٢٨٥ | » »                  |
| ٢٨٥ | » »                  |
| ٢٨٥ | » »                  |
| ٢٨٥ | » »                  |
| ٢٨٦ | » »                  |
| ٢٨٦ | » »                  |
| ٢٨٦ | » »                  |
| ٢٨٦ | » يسأل رجلا حاجة له  |
| ٢٨٦ | قولهم في بكاء الموتي |
| ٢٨٧ | أعرابية تبكي، ابنها  |

|     |                                              |
|-----|----------------------------------------------|
| ٢٨٨ | حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها |
| ٢٩٠ | حديث امرأة مات ابنها بين يديها               |
| ٢٩٠ | قولهم في الشكوى                              |
| ٢٩٠ | أعرابي يشكو حاله                             |
| ٢٩١ | كلمات شتى في الشكوى                          |
| ٢٩٦ | قولهم في العتاب والاعتذار                    |
| ٢٩٧ | قولهم في المرح                               |
| ٣٠٧ | قولهم في الذم                                |
| ٣١٤ | قولهم في الغزل                               |
| ٣١٩ | قولهم في الوصف                               |
| ٣١٩ | أعرابي يصف مطراً                             |
| ٣٢٠ | » » مطراً                                    |
| ٣٢١ | » » مطراً                                    |
| ٣٢٢ | ثلاثة غلمة من الأعراب يصفون مطراً            |
| ٣٢٤ | أعرابي يصف مطراً                             |
| ٣٢٥ | » » »                                        |
| ٣٢٦ | » » »                                        |
| ٣٢٧ | » » »                                        |
| ٣٢٨ | » » »                                        |
| ٣٢٩ | » » »                                        |

|                      |     |
|----------------------|-----|
| أعرابي يصف مطراً     | ٣٣٩ |
| » » »                | ٣٣٠ |
| » » أرضاً            | ٣٣٠ |
| رائد يصف أرضاً جديدة | ٣٣١ |
| » » »                | ٣٣٢ |
| » » »                | ٣٣٢ |
| أعرابي يصف أرضه وما  | ٣٣٣ |
| » » بلاداً           | ٣٣٤ |
| » » أشد البرد        | ٣٣٤ |
| » » إبلاً            | ٣٣٤ |
| » » ناقة             | ٣٣٥ |
| » » خيلاً            | ٣٣٥ |
| » » »                | ٣٣٥ |
| » » »                | ٣٣٥ |
| » » فرساً            | ٣٣٦ |
| » » خاتماً           | ٣٣٦ |
| » » أطيب الطعام      | ٣٣٦ |
| » » السوق            | ٣٣٧ |
| » » الجبال           | ٣٣٧ |
| أبو الخش يصف ابنته   | ٣٣٧ |
| أعرابي يصف بنيه      | ٣٣٨ |
| أعرابي يصف أخويه     | ٣٣٩ |

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نواذر وملح لبعض الأعراب

## الباب الرابع في خطب النكاح

|                                                 |     |
|-------------------------------------------------|-----|
| خطبة قریش فی الجاهلیة                           | ٣٦٠ |
| » النبی صلی اللہ علیہ وسلم فی زواج السیدة فاطمة | ٣٦٠ |
| » الامام علی کرم اللہ وجہہ                      | ٣٦١ |
| » عتبة بن أبی سفیان                             | ٣٦٢ |
| » شبيب بن شیبہ                                  | ٣٦٢ |
| » الحسن البصری                                  | ٣٦٢ |
| » ابن الفقیر                                    | ٣٦٣ |
| » عمر بن عبد العزیز                             | ٣٦٣ |
| » أخرى له                                       | ٣٦٣ |
| » بلال                                          | ٣٦٤ |
| » خالد بن صفوان                                 | ٣٦٤ |
| » أعرابی                                        | ٣٦٤ |
| » المأمون                                       | ٣٦٥ |

## الباب الخامس

|                                                |     |
|------------------------------------------------|-----|
| فی خطب من أرتج علیہم ونوادر طریفة لبعض الخطباء | ٣٦٦ |
| بدء الخطب وختامها                              | ٣٧٧ |